

حال من حال

AL MANHAL

مجلة العرب الأدبية

العدد (٤٦٢) المجلد (٦١) العام (٦٥) شعبان/رمضان ١٤٢٠ هـ - نوفمبر / ديسمبر ١٩٩٩ م

إقرأ

الجمعية الأولى - الهيئة الأولى
(متعة الإعلام الهادف)

نجم إسلامي
في سماء العوامة الفضائية



الصورة البيانية

في الشعر الأندلسي

تحت الجليلد

بحور زاخرة

علاقة «الخطا»

بارمريكا

الزمننة ..

وجوهود الدولة

رمضان .. الصوم جنة

دار المنهل

مجلة شهرية للأدب
والعلوم والثقافة

تصدر في المملكة
العربية السعودية - جدة
عن دار المنهل
للحداقة والنشر المحدودة

أولى أمهات الصحافة السعودية

أسسها المغفور له

عبد القدوس القاسم الأنصاري

عام ١٣٥٥هـ / ١٩٣٧م

المركز الرئيسي:

جدة الشرفية ص.ب ٢٩٢٥ رمز
بريدي ٢١٤٦١ برقية: المنهل
فاكس: ٦٤٢٨٨٥٢ : ٦٤٢٧٨٣١ -
٦٤٢٩٧٦٥ - ٦٤٣٢١٢٤ - ٦٤٢٥٦٨٧
- الرياض: ص.ب ٢٩٠ : ٤٥٢٤٣٢

سعر النسخة:

السعودية ١٠ ريال - قطر ٨ ريال -
المغرب ٩ دراهم - مصر ٢٥٠ قرشاً -
تونس ٨٠٠ مليم - الكويت ٦٠٠ فلس -
عمان ٦٠٠ بيسة - الامارات ٨ دراهم -
البحرين ٧٠٠ فلس - موريتانيا ١٠٠
أوقية - الأردن ٥٠٠ فلس.

الاشتراكات:

- جدة: ٦٤٣٢١٢٤
● قيمة الاشتراك السنوي
للمؤسسات الحكومية ٢٥٠ ريال.
● قيمة الاشتراك للأفراد ١٥٠ ريال

المنهل



قمل

بمناسبة موثق الغرب من العرب والاسلام في الوقت الراهن

واليوم يقف العرب والمسلمون، من الغرب وذويله، وقفة المناضل، المدافع عن حقوقه السليبية، واستقلاله المراد له هضماً واحتلالاً، ويحشد الغرب في قلب البلاد العربية والاسلامية «جرشومة» الفساد الإنساني، ويحاول أن يقيمها دولة اسرائيلية، على حساب بلاد العرب، ومقدرات العرب... فهل أن للعرب، وهل أن للمسلمين أن يستيقظوا، وأن ينفضوا عن أرواحهم وجسومهم غبار التواكل والتخاذل، والاستهانة بشأن الاعداء الراضين لهم والمتريصين بهم من وراء عقر ديارهم؟! إن الحمل ثقيل، والعدو المتريص مكتتل ونو قوة مادية هائلة، فلا بد من حشد العزائم واستبسال الهمم، والاستقلال في بث روح التضحية، والجلاد... والإيمان القوى العميق بفعل الغرائب والمدهشات، ويطغى على المادة الهائلة اذا سوغت بمادة ملائمة... وكل عربي ومسلم مطالب بأن يعمل شيئاً من أجل إيمانه ووطنه، وأي شيء يكون هذا الشيء الذي يعمل عليه العربي والمسلم لمصلحة دينهما وبلادهما فهو عظيم وناجع، لكن علماً يتقنانه، أو عملاً يتقنانه فيه، أو جندياً يتمرسان بها على أحدث الأصول، أو أدبياً يدعون فيه في حرارة وإخلاص الى القوة والاستعداد أو مقاومة سلميٍّ أو اقتصادية، أو استخباراً عن اسرار العدو الرابض واسرار العدو المتريص، للأفادة منها، فليس كالأستخبارات أفيد لحرر الاعداء، ولا ننس حادث الصحابي الجليل ابي نعيم في غزوة الخندق، إذ خذّل الله به عن المسلمين اعداءهم المتجمهرين للقضاء على الاسلام القضاء الاخير... في تلك الغزوة الهائلة... ليعمل كل واحد منا ما يستطيع بإخلاص، وليعتبر كل واحد من العرب والمسلمين أيّا كان ليعتبر نفسه جندياً من جنود الاسلام والعروة، وليأت كل منا ما يستطيع اتيانه من خير للعرب وضرر لاعداء العرب... فالقليل الى القليل كثير، وبم امر ضئيل وكيد نزر، يقوم به فرد عادى يقلب وجه التاريخ... لنبعد عن انفسنا داء الغرور وداء الاستخفاف، فما ضر أمة من الامم شيء كما يضرها داء الاستخفاف بمقدرات العدو وله در الاسلاف حينما حذرونا في احد امثالهم الحكمة البليغة من الركوب الى هذا الداء الوييل، فقالوا لنا فيما قالوا: «اذا كان عدوك نملة فلا تتم له» والسعيد من اتعظ بغيره، ومن افاد من الاحداث ما يقيه شرورها المطايرة.

«عبد القدوس الأنصاري»

نوال القعدة ١٣٧٣هـ / أكتوبر ١٩٥٤م



General Organization Of the Alexandria Library (GOAL)

Bibliotheca Alexandrina



صاحب المجلة

رئيس التحرير

نجيبه بن عبد القدوس

الأنصاري

مستشار التحرير

أ.د / عبد الرحمن الأنصاري

نائب رئيس التحرير

المدير العام

زهير بن نجيبه الأنصاري

عزيزي القارئ

عزيزتي القارئة

هذه المجلة تحمل في العديد من صفحاتها آيات قرآنية كريمة وأسماء الله الحسنى فضلا عن أحاديث نبوية شريفة الرجاء المحافظة عليها.



فئات العدد

طبع بمطابع
شركة المعبدة المنورة للطباعة والنشر
جدة - تليفون ٣٦٩١٠٦٠ فاكس ٣٦٩١٠٠٣

«ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم»

إشارة

- تحتفظ هيئة التحرير بالحق في تحديد أولويات النشر ويخضع ترتيب مواد المجلة لاعتبارات فنية لا علاقة لها بالموضوع أو مكانة الكاتب ويشترط في الإسهامات عناصر الجودة، العمق والرصانة العلمية، للمجلة الحق في عدم نشر المواضيع التي تراها غير مناسبة للنشر دون الالتزام بإعادة الموضوع لمصدره، كما يرجى الإشارة لمصادر المادة بصورة واضحة.

الفهرس

- ٤ - أول الفئث.
- ١٢ - بحر زاهر تحت الجليد (استطلاع علمي مصور) - م. مازن محارب.
- ١٨ - من اعجاز القرآن الكريم (٣ - ٢) - د. حسن محمد باجودة.
- ٢٢ - في القصص النبوي (٥٨) - د. عبد الباسط حمودة.
- ٢٨ - صلة البيهيات بالمدايح النبوية (٢ - ٢) - د. يحيى محمد العلييف.
- ٣٤ - رمضانيات (ملف خاص).
- ٦٠ - سر أصغر مصحف (تحقيق مصور) - يعقوب السيد حسنين.
- ٦٤ - من زعماء الاصلاح (٢) (السنهوري باشا) - د. محمد عمارة.
- ٦٨ - ابو العلاء المعري .. والسجن الرابع - د. خليل ابو ذياب.
- ٧٦ - البارودي الشاعر الرائد - د. كمال نشأت.
- ٧٨ - سرية الهوى إلى تبوك (شعر) - د. بهاء بن حسين عزي.
- ٨٠ - من شعراء التراث - (زيد بن حارثة) - د. عبده بدوي.
- ٨٣ - مجلة السائح العدد (١١٧).
- ٩٤ - الصورة البيانية في الشعر الأندلسي - د. قرش عبد القادر.
- ١٠٨ - حوار مع الدكتور عبد القادر طاش (المدير العام لقناة اقرأ القضائية).
- ١١٦ - صدى الالان (شعر) - مفرج السيد.
- ١١٧ - مجلة هن العدد (١٢٠).
- ١٤٢ - موسى بن ميمون وتعاليم التلمود (٢ - ٢) - الدكتور محمد علي البار.
- ١٥٢ - رحلة في المكتبة (١٣) - د. محمد رجب البيومي.
- ١٥٦ - الفروق في اللغة (٤) - د. يس الخطيب.
- ١٥٨ - تحقيقات عرضية - د. علي جواد الطاهر.
- ١٦٠ - أحماض أدبية (٤) - د. احمد عطية السعوي.
- ١٦٢ - ذكرى حدث صحفي - المنهل.
- ١٦٤ - بين السطور - د. عبد الفني عبد الحميد رجب.
- ١٦٦ - اثر ازدياد ثاني اكسيد الكربون على النبات - د. علي احمد غانم.
- ١٧٠ - شذرات الذهب (٥٥) - د. ابو حسام.
- ١٧٤ - مسك الختام - د. طاهر تونسسي.



العدد: (٥٦٢)
المجلد: (٦١)
العام: (٦٥)



**** تحت القطبين مناسات
ملايين الأطنان من المياه .**

د. مهندس مازن محارب ص ١٢
**** النقص بين المنهج
الموضوعي والانطباع الذاتي
تضي على كثير من الادعاء .**

د. يحيى آل عطيف ص ٢٨
**** اخوان الصفا تركوا ابداع
الرسائل الفلسفية لو اتبعت
لها الدراسات الجادة
لاستخرجوا منها تراثاً
بديعاً .**

د. محمد رجب البيومي ص ١٧٠
**** كل الاختصاصات المعروفة
تؤكد ان عدد الرجال اكثر من
عدد الاناث لكل مراحل
العمر .**

أبو عواد / ام عمر، ص ١٤٠
**** المصري تليس نفسية
المتنبى ذات التسمالى
والكبرياء .**

د. خليل أبو نياب ص ٦٨
**** القصيدة الحديثة ربما
ظلمت لأن تكون قصة
متكاملة لها ما يميزها .**

د. وجدان الصائغ ص ١٢٤

مفارات قرن

حتى منتصف هذا القرن، كانت جيوش المستعمر لا تزال تتجول - بكل جبروتها - في طرقات وأزقة عالمنا العربي والإسلامي، تنهب ثرواتنا، وتفرض فكرها وثقافتها ولغتها، حتى بات المصلحون فينا يخشون على أمتنا من ضياع ذاتها وهويتها .

ومنذ منتصف القرن، بدأت حركات الاستقلال، والتحرر، وطرد المستعمر، وخرجت جيوشه من ارض العرب والمسلمين، واستبشر الناس خيراً . هؤلاء حكامهم من بنى جلدتهم .

وما بال الناس وقد علت وجوههم علامات استفهام لا تنقضي عجائبها . . وغنو يرددون مع الشاعر القديم وظلم ذوي القربى أشدّ مطارة

على النفس من وقع الحسام المهند
وغداً . . نعم غداً، قرن جديد . . وأمتنا من محيطها الى خليجها على ما ترون!!

وأساطيل الأطلسي تجوب أعالي البحار والمحيطات، بكل قاذفاتها وغواصاتها . . وبكل ما أوتيت من علوم التدمير والدمار . . وتمدها من ورائها سياسات (الاحتواء، والازدواج، والضغط . .) وما نعلم من مسميات، وما لم نعلم بعد .

وتتقدم كل ذلك (فضائيات العولة) و(القرية الكونية) كما أسموها . . إنها (بشائر) ومقدمات الاستعمار (الكوني الجديد) . . لعالمنا الجديد . . أليست من المبكيات المضحكات، ان يخرج (عالمنا) من استعمار الى استعمار . . ؟!!

المحرر

الاعلانات:

يراجع بشأنها

الادارة ت: ١٤٢٢١٢٤

٤١٤١٨٢ - وكالة التوزيع الأردنية/ عمان ٦٣٠١٩١ - دار اقرأ للنشر/ الخرطوم ٤١٨٠٩ - الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات د.م.م/ الكويت/ ٢٤٢١٤٦٨ - مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف/ البحرين/ النامة ٥٣٤٥٥٩.

دعوة للترشح لجائزة مكتب التربية العربي لدول الخليج في مجال البحوث التربوية للدورة المالية ١٤٢٠ و ١٤٢١ هـ



١٠ - يمكن قبول الأعمال المترجمة المتميزة التي تقدم الثقافة والتربية والتعليم في منطقة الخليج العربية، مع تقديم دراسة تحليلية وتقويمية للعمل ومدى الاستفادة منه في دول المنطقة، ولم تتجاوز طبعته الأولى في لغته الأصلية خمس سنوات من تاريخ نشر الإعلان.

ثانياً: إجراءات التقديم:

١ - أن تكون طلبات الترشيح مصحوبة بما يلي:
١ - عشر نسخ من الإنتاج المرشح للجائزة، ولا يعاد الإنتاج سواء أفاض المرشح أو لم يفز، وبالنسبة للإنتاج المترجم فيرفق نسخة من الأصل المترجم عنه.
٢ - بيان تفصيلي عن حياة المرشح العلمية والشخصية ومؤلفاته المنشورة.

٣ - ثلاث صور فوتوغرافية للمرشح.

٤ - العنوان البريدي للمرشح ورقم هاتفه.

٥ - توجه طلبات الترشيح إلى:

المدير العام لمكتب التربية العربي لدول الخليج ص.ب (٩٤٦٩٣) - الرياض (١١٦١٤) - المملكة العربية السعودية.
على أن تصل طلبات الترشيح إلى المكتب في موعد لا يتجاوز يوم الأربعاء ١٤٢٠/١٢/٣٠ هـ، الموافق ٢٠٠٠/٤/٥ م.

وقد أسند المكتب مسؤولية اختيار الفائزين إلى لجنة من علماء ومفكري المنطقة، تقوم بدراسة الأعمال المقدمة، ودراسة آراء المختصين في موضوعاتها، وتنح جائزة المكتب وقدرها مائة ألف (١٠٠.٠٠٠) ريال سعودي، وشهادة منح الجائزة للعمل الفائز، ويمكن منح الجائزة مناصفة لعملين.

يسر مكتب التربية

العربي لدول الخليج أن يعلن

عن جائزة المكتب للإنتاج العلمي في

مجال البحوث التربوية وفقاً لما يلي:

أولاً: شروط التقديم للجائزة:

١ - أن يكون المرشح من مواطني الدول الأعضاء بالمكتب.

٢ - ألا يكون المرشح قد نال جائزة عن الإنتاج المقدم، أو حصل به على شهادة علمية (ماجستير/ دكتوراه).

٣ - يمكن قبول العمل المشترك من قبل المؤلفين أنفسهم إذا كانوا من مواطني الدول الأعضاء.

٤ - يقبل تقديم البحث للمكتب مباشرة من قبل المؤلف نفسه، أو بترشيح من إحدى المؤسسات العلمية.

٥ - أن يكون البحث المقدم يمثل نظرية تعليمية تربوية، أو مساهمة مبتكرة في مجال البحث التربوي، أو يكون تحقيقاً علمياً مكتوباً باللغة العربية الفصحى لأحد مصادر التراث التربوي العربي الإسلامي.

٦ - في حالة تقديم بحث منشور بغير اللغة العربية يجب أن يرفق معه مستخلص باللغة العربية.

٧ - أن يكون العمل المقدم ملتزماً بالمنهج العلمي.

٨ - أن يكون البحث المقدم منشوراً وفق قواعد النشر العلمي وأصوله أو مقبولاً للنشر بتأكيد من مؤسسة أو هيئة علمية معترف بها، ويمكن قبول الأعمال غير المنشورة إذا حظيت بتزكية من مؤسسة أو هيئة علمية متخصصة في مجال العمل المقدم.

٩ - أن يكون العمل المقدم غير ممول من مؤسسات أو هيئات.

مقدمة من صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل بن عبد العزيز أمير منطقة عسير .
قيمة الجائزة مليون ريال سنوياً لأربعة فروع:
فرع جائزة أبها للثقافة (٢٠٠.٠٠٠ ريال)
١٤٢١ هـ

جائزة أبها: (الخدمة الوطنية - الثقافة)
التعليم الجامعي - التعليم العام

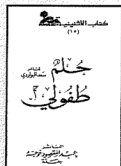
بالذكر أن صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل بن عبد العزيز كان قد زار فاس مؤخرا بدعوة من جمعية فاس - سايس عقب إحيائه لألفية شعرية بالرباط. وقد نصبه والي جلالة الملك على جهة فاس بولان، رئيسا شرفيا للجمعية في حفل حضره نخبة من رجال السياسة والفكر بفاس. وكذا عدد من الشخصيات المرافقة لسموه نذكر منهم أصحاب السمو الأمراء: بندر بن خالد الفيصل - سعود بن خالد الفيصل - سلطان بن خالد الفيصل والدكتور عبد الله بن صالح العثيمين أمين عام جائزة الملك فيصل العالمية وعضو مجلس الشورى السعودي وسفير خادم الحرمين الشريفين الدكتور عبد العزيز محي الدين خوجة.

« سعيد بنونوار » - المغرب

جلالة المغفور له قامت رئيسة الخيمة الشاعرة لويزا بولبرس ، فذكرت بأنشطة الجمعية الثقافية لهذا العام وركزت على المؤتمر الثاني للشعر العربي الذي سينظم في شهر أبريل المقبل والذي سينور محوره حول الأنماط المتجددة في الوطن العربي، وأولى جلساته النقدية ستتناول بالدرس والتحليل أعمال صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل، أمير الشعر الشعبي أو النبطي بمشاركة نخبة من كبار أعلام الفكر والنقد في هذا المجال ، ويمكن ان نذكر هنا: الدكتور علي عقلة من سوريا والدكتور عبد السلام المسدي من تونس والدكتور عباس الجداري والدكتور محمد بنشريفه وعشرات المبدعين سيتم الإعلان عن أسمائهم قريبا ، كما سيشهد المؤتمر أمسيات شعرية من نفس الأنماط. والجدير

اصدارات

- معارك الغريال مع خصومه.
- تراجم لبعض من ورد ذكره في هذه الدراسة.
- وفي نهاية هذا الكتاب مجموعة من الصور والرسومات والرسائل النادرة.



- « حلم طفولتي » ديوان شعر للأديب الشاعر الأستاذ سعد البواردي، الناشر عبد المقصود خوجة/ جدة.

الديوان من الحجم المتوسط، في حوالي مئة صفحة، في طباعة فاخرة ومجلدة، جاء الديوان في (٢٩) قصيدة.

وجاء في كلمة الناشر لهذا الديوان أن هذا (الديوان) جاء ليشكل سيمفونية عطاء تألق بكل ألوان الطيف، وتحدث عن كثير من القضايا الجوهرية التي تمس الانسان حاضراً ومستقبلاً. والاستاذ الشاعر الاديب سعد البواردي، شاعر مسكون بالكلمة الناضرة البهيبة، والكلمة الناقدة القوية، جمع بين الكلمتين في ابداع واقتدار.

- «* الغريال» قراءة في حياة وأثار الأديب السعودي الراحل محمد سعيد عبد المقصود خوجة» بقلم حسين عاتق الغريبي، الناشر عبد المقصود خوجة/ المملكة العربية السعودية/ جدة.
- الكتاب في (٤٠٠) صفحة من الحجم العادي في طباعة فاخرة



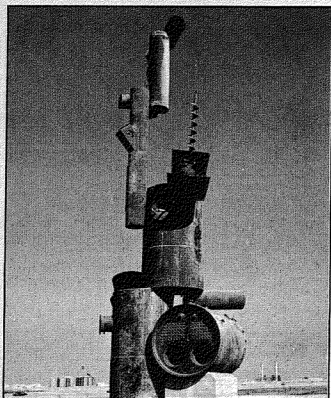
مجلة.

الاستاذ الأديب الراحل (محمد سعيد عبد المقصود خوجة) واحد من رواد الحركة الأدبية والفكرية في المملكة العربية السعودية، وكانت له بصماته الواضحة في تشكيل حركة الادب والفكر والتاريخ.

وجاء هذا الكتاب ليسجل الاتي:

- مقدمة موجزة عن العصر الذي عاشه محمد سعيد عبد المقصود خوجة ومتابعة لتطور حياته في مجالات عطائه المتنوعة والمتعددة.
- (الغريال) وهو الاسم المستعار الذي كتب تحته الخوجة، قراءة متأنية في الغريال، تحليل ودراسة ونقدا.

الماء .. امانة الزملحة .. وجهود الدولة



من الكنداسة لتحلية

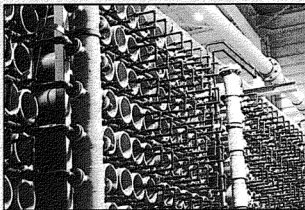
- نقول البسمة: أي بسم الله الرحمن الرحيم.
- نقول الحمد: أي الحمد لله رب العالمين.
- نقول الحقلة: أي لا حول ولا قوة إلا بالله.
- نقول البياضة: أي بياي أنت وأمي.
هذه الطريقة عند اللغويين تسمى (النحت).
والزملحة هي نحت الجملة (إزالة ملوحة المياه) أو ما اصطلح عليه تحلية مياه البحر المالحة.
وتحلية المياه أو إزالة ملوحتها لتصبح صالحة للشرب وبالكميات المطلوبة لحاجات شعب بأكمله عملية صعبة جدا، وتحتاج الى مجهودات جبارة وإلى أموال طائلة.
والمعروف أن حكومة خادم الحرمين الشريفين - حفظه الله - لا تدخر سعيها ولا جهدا لتوفر لمواطنيها حياة رغدة كريمة - فما بالك بعصب الحياة وأصل الحياة الماء -
«الماء الذي ذكره الله سبحانه وتعالى في كتابه المنزل أكثر من ستين مرة، تأكيداً لأهميته... ففي سورة الفحل الآية ٦٥ يقول تعالى: (والله أنزل من السماء ماء فأشيا به الأرض بعد موتها)، وفي الآية ٩٩ من سورة الأنعام (وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرج به نبات كل شيء)، وفي سورة الأنبياء آية ٣٠ (وجعلنا من الماء كل شيء حي)».

وبالأمس القريب وتحديداً في العاشر من رجب ١٤١٠هـ افتتح صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز آل سعود ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني مشروع محطة التحلية وتوليد الطاقة الكهربائية ونظام نقل المياه المحلاة الى منطقة المدينة المنورة (المرحلة الثانية). وهذا المشروع الكبير بضخامته يمثل حلقة في منظومة مشاريع تحلية المياه التي أولتها حكومة السعودية كل العناية والرعاية والاهتمام.
«والتكلفة الاجمالية لهذا المشروع بلغت ٨٦٦٠٨٦٩ر٤ (أربعة بلايين وثمانمائة وتسعة وستين مليوناً وثمانمائة وستة وعشرين الفا وخمسمائة وستين ريالاً سعودياً).»

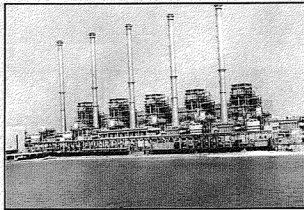
ويتكون المشروع من محطتين لتحلية المياه المالحة احدهما تعمل بطريقة التبخير الومضي، والاخرى تعمل بطريقة التناضح العكسي بطاقة انتاجية للمحطتين تبلغ ٢٢٧٠٠٠ مائتين وسبعة وعشرين الف متر مكعب من المياه المحلاة يومياً.

وعن مشروع نظام نقل المياه الى المدينة المنورة (المرحلة الثانية) فقد تم إنشاء هذا النظام بطاقة تصميمية تصل الى ٢٥٣٠٨٥ ثلاثمائة وثلاث وخمسين ألفاً وخمسمائة وخمسة وثمانين متراً مكعباً يومياً. ويتكون من خطوط أنابيب ذات ضغط عال ومنخفض يصل مجموع أطوالها حوالي ٣٧٢ ثلاثمائة واثنين وسبعين كيلومتراً، ومحطتي ضخ في كل من موقع المحطة بينين والسيجد وثلاثة وعشرين خزاناً (تجميعياً وتشغيلياً) في مواقع المشروع المختلفة بسعة ٥٠٠٠ خمسة آلاف و١٤٠.٠٠٠ مائة وأربعين ألف متر مكعب لكل خزان ويسعة اجمالية ١٢٥٦٠٠٠ مليوناً ومائتين وستة وخمسين الف متر مكعب لكل من خزانات محطة الضخ الأولى بينين والمفرحات والحمراء ويدر والسيجد والرايس والمدينة المنورة، بالإضافة الى إنشاء تسع نقاط توزيع لإيصال المياه الى معظم القرى الواقعة على امتداد خط الأنابيب لتغذية ما يقارب من ٢٠ عشرين بلدة.

كما تم إنشاء نظام تحكم عن بُعد، ونظام الحماية



منظر داخلي لمحطة تناضح عكسي



محطة تحلية بالتقطير الوميضي لإنتاج الماء والكهرباء

١٣٩٤هـ.

- تم افتتاح محطة أمّلع (المرحلة الأولى) عام ١٣٩٥هـ.
- تم افتتاح محطة جدة (المرحلة الثانية) عام ١٣٩٨هـ.
- وفي العام ١٣٩٩هـ تم افتتاح أربع محطات في كل من الوجه وضباء (المرحلة الثانية) وفرسان (المرحلة الأولى) وجدة (المرحلة الثالثة).
- في العام ١٤٠٠هـ تم افتتاح محطة حقل (المرحلة الأولى).
- في العام ١٤٠١هـ تم افتتاح محطة المدينة/ ينبع (المرحلة الأولى).
- في العام ١٤٠٢هـ تم افتتاح ثلاث محطات في كل من الجبيل (المرحلة الأولى)، رابغ (المرحلة الأولى)، وجدة (المرحلة الرابعة) وفي نفس العام تم افتتاح مركز التدريب بالجبيل وبدأ أولى دوراته.
- في العام ١٤٠٣هـ تم افتتاح محطة البرك (المرحلة الأولى) والمرحلة الثانية لمحطتي الجبيل والخبر.
- في العام ١٤٠٦هـ تم افتتاح (التوسعة الأولى) لمحطة الوجه، والمرحلة الثانية لمحطتي الجبيل والخبر.
- في العام ١٤٠٧هـ تم افتتاح (المرحلة الأولى) لمحطة العزيزة، وفي نفس العام تم افتتاح مركز الأبحاث والتطوير في محطة الجبيل.
- في العام ١٤٠٩هـ تم افتتاح خمس محطات هي: ضباء (المرحلة الثالثة)، الوجه (التوسعة الثانية)، جدة بالتناضح العكسي (المرحلة الأولى)، مكة/ الطائف (المرحلة الأولى) وعسير (المرحلة الأولى).
- في العام ١٤١٠هـ تم افتتاح (المرحلة الثانية) لمحطة حقل، كما تم افتتاح التوسعة الأولى لمحطة فرسان.
- في العام ١٤١٤هـ تم افتتاح محطة جدة بالتناضح

الكاثودية، وأنظمة مكافحة الحريق، وصمامات التهوية والتصريف والفلق والتحكم لكامل أجزاء المشروع بتكلفة ٢,٣٦٢,٠٠٠ مليون وثلاثمائة واثنين وستين مليون ريال سعودي.

هذه المشروعات (في مجال تحلية المياه) تم افتتاحها بالأمس القريب... أما ما سبق إنشاؤه من مشروعات ضخمة في كافة مناطق المملكة فقد تكلفت آلاف الملايين من الريالات السعودية انفتحتها الحكومة لتوفير المياه الصالحة للشرب وللتنمية الزراعية والصناعية وكل مناحي الحياة التي تعود على المواطن السعودي بالرفاه والخير العيم.

ولمتابعة مسيرة التحلية من الكنداسة حتى الآن نقرأ هذه السطور:

- أنشئ أول جهاز تكثيف لتقطير مياه البحر في جدة عرف باسم الكنداسة في العام ١٣٤٨هـ.
- تم استحداث مكتب بوزارة الزراعة والمياه لدراسة الجنبى الاقتصادية والخطوات التمهيدية لإنشاء محطات التحلية في العام ١٣٨٥هـ.
- تم افتتاح المرحلة الأولى لمحطتي الوجه وضباء في العام ١٣٨٩هـ.
- تم افتتاح محطة جدة (المرحلة الأولى) عام ١٣٩٠هـ.
- أنشئت وكالة الوزارة لشئون تحلية المياه المألحة بوزارة الزراعة والمياه عام ١٣٩٢هـ.
- تم افتتاح محطة الخبر (المرحلة الأولى) عام ١٣٩٣هـ.
- في ١٣٩٤/٨/٢٠هـ صدر المرسوم الملكي الكريم رقم ٤٩/م بإنشاء (المؤسسة العامة لتحلية المياه المالحة) كمؤسسة عامة مستقلة.
- تم افتتاح محطة الخفجي (المرحلة الأولى) عام



بحر زآخر تحت

الى مدار المشتري عام ١٩٧٩ العلماء على صياغة عدة تصورات عن البنية الداخلية لهذا القمر المغطى بالجليد ويقول أحد أكثر هذه التصورات منطقية إن محيطا من الماء السائل يهدر تحت طبقة الجليد المغطية لسطح القمر التي تبلغ سماكتها بضعة كيلومترات وإن هذا المحيط يقبع فوق نواة من السيليكات الصلبة.

بحر تحت الجليد؟

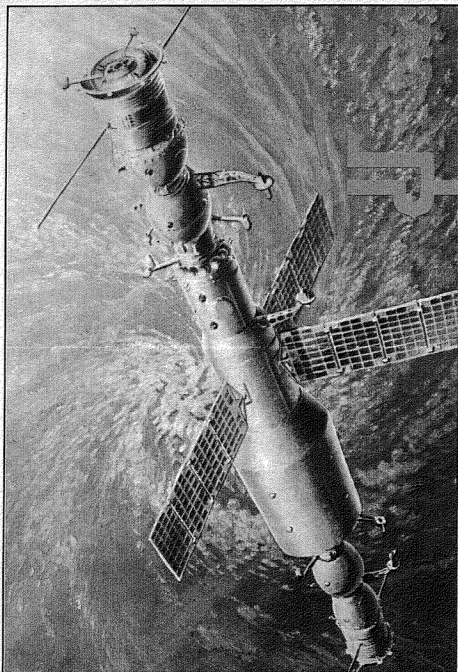
إنذاً لقد غدا «أوروبا» محط أنظار رواد هذا الفرع الجديد من العلوم وذلك لاحتوائه على عنصر الماء السائل الذي قلما نجده على كواكب المجموعة الشمسية، ويقودنا احتمال وجود هذا العنصر الذي لا بد منه لنشوء الحياة الى عدة تساؤلات: هل يحتضن «أوروبا» حياة ما؟ وكيف لنا أن نتعرف الى هذه الحياة في حال وجودها؟ تقدم لنا نماذج الاحياء التي نشأت وتطورت في أعماق المحيطات السحيقة طرف الخيط للإجابة عن هذه التساؤلات اذ تحل عملية التركيب الكيميائي عندها محل عملية التركيب الضوئي نظرا لعدم تمكن الضوء من الوصول الى الاعماق وتتم عملية التركيب الكيميائي هذه بفضل الغازات المنبعثة من الينابيع الحارة وبمساعدة الكبريتات المعدنية لذلك فان وجود ينابيع حارة كذلك التي نتحدث عنها في أعماق بحر «أوروبا» المفترضة كاف ليعزز فكرة وجود كيمياء حيوية أولية قادرة على التطور وعلى انتاج متعضيات

لا تفتأ الحياة تنتقل من كوكب لآخر ومن فرضية لأخرى في أذهان الباحثين على الأقل، لقد أسس العلماء في بحثهم المستمر عن الحياة في الكون الواسع فرعاً جديداً من العلوم أسموه بـ «الأكسيولوجيا» أي علم الحياة الخارجية ولا يقتصر هذا العلم على دراسة الحياة غير الأرضية وانما يتناول موضوع الحياة بمفهومها الواسع فيدرس كيفية انتظام المادة الحية انطلاقاً من المركبات العضوية وتعتقدها التدريجي الى بنى منظمة بما يتناسب مع البيئة المحيطة بها .

ويختص في البحث بأصولها وتطورها وانتشارها وتحليل الآليات والبنى التي تساهم في ذلك كله .
لقد كان العامان المنصرمان حافلين بكل ما هو جديد في هذا العالم من شواهد محسوسة واكتشافات حقيقية، صحيح أن العلماء لم يتوصلوا بعد الى الدليل القاطع على وجود حياة في مكان ما خارج الأرض مما يضعف هذا الاحتمال، لكن ذلك لا يمنع أن الدلائل التي تشير الى وجودها في مجموعتنا الشمسية تتزايد يوماً بعد يوم، وقد انضم آخرها منذ فترة ليست ببعيدة الى رفاقه وكان مصدره «أوروبا» أحد أهم أقمار الكوكب العملاق «المشتري» وأحدث ذلك ضجة كبرى اذ أعلنت وكالة الفضاء الامريكية عن اكتشافها وجود جبال من الجليد على سطح «أوروبا» وقد ساعدت المعلومات التي جمعها المسبار «فوياجي» منذ وصوله

بقلم: المهندس/ مازن محارب

- سوريا -



الجليدية

تتعدد قدرة على التطور وعلى نحو يتناسب مع بيئتها لكننا لا نزال في بداية الطريق بعد لأن مجرد وجود بخار على «أوروبا» ليس الا افتراضا قائما على تصور نظري هو الآخر.

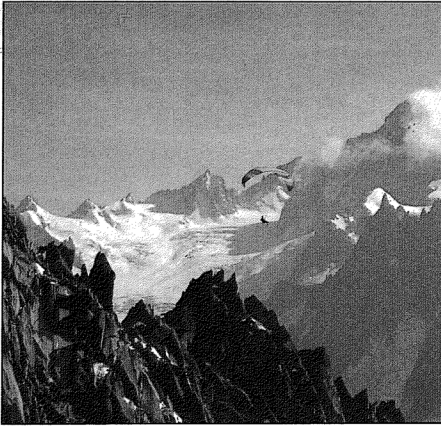
في العاشر من ابريل ١٩٩٧م بثت وكالة الفضاء الامريكية ناسا على شبكة الانترنت صورة ساحرة لسطح «أوروبا» كانت قد التقطت في العشرين من شباط الماضي على بعد أقل من (٥٨٠) كم عن سطحه وقد قام بالتقاطها المسبار «جاليلو» الذي اتخذ مدارا له حول المشتري منذ شهر كانون الأول سنة ١٩٩٥

وقد ظهرت في هذه الصورة الجبال الجليدية الضخمة المتوضعة على طبقات من الماء المتجمد بكل وضوح وبدأت أشبه ما تكون بكتل المحيطات القطبية الجليدية على كوكبنا ولم تعزز هذه الصورة احتمال وجود طبقة من الماء المتجمد تخفي تحتها خزائناً هائلاً من الماء السائل على القمر فحسب وإنما قوّت الاعتقاد بوجود نشاط بركاني في قاع هذا الخزان.

شواهد قادمة من السماء :

هل توجد حياة في هذه المحيطات الافتراضية التي تتأكد حقيقة وجودها شيئاً فشيئاً؟ يتم حالياً

التحضير لرحلات فضائية هدفها الاجابة عن هذا التساؤل بيد أنه ينبغي الانتظار حتى بداية القرن المقبل لتتجسد هذه المشاريع على أرض الواقع، وبانتظار ذلك لم يكسل العلماء بل استطاعوا منذ شهر آب ١٩٩٦ دراسة الحياة غير الارضية على الارض نفسها فقد أعلنت ناسا عن اكتشاف آثار حياة بدائية على أحد النيازك الساقطة من المريخ في العام الماضي وقد استغرق العمل على تحليل هذا النيزك النادر المسمى «إس إن سي» بأحد تقاصيله قرابة السنتين وأحيط بالسرية التامة كما شارك فيه عدد كبير من العلماء



الأمريكيين ويذكر أن هذا النيزك هو واحد من عدة نيازك لم يكشف النقاب إلا عن عشرة منها حتى الآن وهي كلها تحمل دلائل تشير الى أنها تعود للكوكب الأحمر «المريخ» ونظرا لأهمية هذه النيازك، قام دافيد ماكي وفريقه العلمي بدراسة بنية النيزك (ALH) الذي عثر عليه في المنطقة القطبية الشمالية سنة ١٩٨٤ في موقع ألان هيلين، وقد استخدموا لهذا الغرض مجاهر الكترونية ذات قدرة عالية وأجهزة تحليل كيميائي متطورة جدا

تم جمعها من دراسة النيزك (ALH) التصور التالي: قبل ٣.٦ مليار سنة تجمعت الاحياء الدقيقة ضمن الشقوق الموجودة على سطح صخرة النيزك ثم غمرت هذه الصخرة بالماء الذي كان متوفرا على سطح المريخ بكثرة في ذلك الوقت وخلال مليارات السنين اللاحقة فقد الكوكب الأحمر تدريجيا الماء المتواجد على سطحه كما تبديد القسم الأعظم من غلافه الجوي الذي يعتقد أنه كان كثيف مما هو عليه اليوم بكثير إذ أن الضغط الجوي على سطح المريخ حاليا لا يعادل سوى ١/١٣٠ من الضغط الطبيعي الجوي على سطح الأرض تقريبا وقد أدت كل التغيرات الانفة الذكر الى انطفاء الحياة تدريجيا على سطح المريخ وبالتالي فقدت المتعضيات الدقيقة، التي تسربت عبر شقوق الصخرة، الحياة لكن بقاياها ظلت شاهدا على وجودها ومنذ حوالي (١٦ مليون) سنة اصطدم جرم سماوي غريب بالمريخ مما أدى الى تحطم جزء من قشرته السطحية وتناثر أشلائها التي ظلت سابحة في الفضاء الخارجي الى أن التقطعتها الجاذبية الأرضية منذ حوالي ١٣ ألف سنة فعبرت الغلاف الجوي الأرضي واستقرت في

مكتنهم من اكتشاف عدة آثار مثيرة للجدل كان أهمها بقايا ترسبات كربونية على شكل خطوط متوضعة ضمن السطوح الموجودة على سطح النيزك ويتميز الكربون الموجود فيها بخواص تشير الى أصله المريخي كما لاحظ العلماء وجود هيدروكربورات عطرية متعددة الحلقات وأكسيدات وكبريتات الحديد الى جانب بعض الرسوبات الكربونية.

إن وجود هذا العدد الكبير من العناصر يحمل على الاعتقاد بأن ثمة نشاطا حيويًا كيميائيًا حدث على سطح المريخ وأدى الى نشوء متعضيات دقيقة جدا مشابهة لبعض أنواع البكتيريا المعروفة لدينا ولكنها تختلف عنها بالحجم إذ أن أبعادها أصغر من أبعاد البكتيريا الأرضية بمئة مرة، إن أول ما يتبادر للذهن كتفسير لكل هذه الملاحظات هو ترجيح وجود نشاط حيوي (ويقصد بها البنى التي لا تتجاوز أبعادها الـ ٢٠٠ نانومتر مع الإشارة الى أن (نانومتر = ١٠ - ٩م) يعود لبكتيريا مريخية كانت في يوم من الأيام متعضيات بدائية مشابهة للحياة الدقيقة الأرضية. وقد صاغ الباحثون استنادا الى المعلومات التي



خدمات جليلة لعلم مازال في بداية الطريق كعلم الحياة الخارجية اذ يعد اكتشاف الـ (HAP) أي الهيدروكربورات العطرية المتعددة الحلقات، في حال ثبوت أصلها المريخي دليلا على وجود مركبات كربونية معقدة على سطح الكوكب الأحمر صمدت بقاءها حتى وقتنا الحالي بالرغم من الاشعاعات التي تتعرض لها من الشمس، لكن الحدث الاهم يبقى هبوط المركبة باثنايدر في الرابع من تموز ١٩٩٧ على سطح المريخ واطلاقها للعربة الجوالة سوجرنر، ويعول العلماء على هذه الرحلة الفضائية الكثير اذ أن العربة سوجرنر فاقت التوقعات وقامت بالكثير مما هو مطلوب منها، فجمعت عدة عينات من تربة المريخ والتقطت صورا كثيرة ستفيد في دراسة تضاريسه وتاريخه الجيولوجي لكن للأسف فإن رحلة باثنايدر لا تهدف الى دراسة احتمال وجود حياة على المريخ، وينطبق نفس الكلام على الرحلات الفضائية اليابانية بلاني والأمريكية سورفاير المريخ ٩٨، بالمقابل فإن بداية القرن العشرين ستشهد دفعا قويا لعلم الحياة الخارجية المريخية وذلك بفضل عدة رحلات فضائية تم البدء بعدد منها ولا يزال عدد آخر قيد الدراسة في حالتي الفضاء الأمريكية ناسا والاروبية ايسا ومن المقرر أن تقوم بجلب عينات منها الى الأرض أو بدراستها على ارض الواقع كما يعول علماء الحياة الخارجية على دراسة «تيتان» التابع لكوكب زحل الكبير مع أن وجود حياة على سطحه أمر مستبعد.

في الحقيقة لقد دخل المسبار (فوياجي ١) ضمن نطاق جاذبية الكوكب الساحر نبي الاساور «زحل» ومكن العلماء من اكتشاف اهم اقماره «تيتان» الذي غدا منذئذ محط انظار علماء الحياة الخارجية كلهم.

يعد تيتان أكبر أقمار زحل وثاني أقمار المجموعة الشمسية من حيث الحجم بعد «جانيميد» قمر المشتري التابع الوحيد الذي يتمتع بغلاف جوي كثيف في المجموعة الشمسية، وقد تبين من خلال المعلومات التي جمعها (فوياجي ١) أن كثافة هذا الغلاف المكون في معظمه من الأوزون ونسبة كبيرة من الميثان تفوق كثافة

برادات المنطقة القطبية التي حفظتها كما هي حتى قبض للعلماء اكتشافها.

نظرية براقة بمضمون باهت:

لقد قبولت التصويرات التي صاغها الباحثون انطلاقا من دراسة النيزك المريخي بانتقادات كثيرة في الاشهر القليلة التي تلت نشرها وقد كان أشد هذه الانتقادات يتعلق بالتاريخ الحراري للنيزك وبالترسبات الكربونية المتوضعة في شقوقه على وجه التحديد ويقول الانتقاد أن هذه النقطة يلفها الغموض اذ أنه يتضح من خلال تركيب الكربونات أنها تشكلت في درجات حرارة عالية جدا تتجاوز الـ ٥٠٠ درجة مئوية مما يتعارض كليا مع وجود أي نشاط حيوي كما أن الـ (HAP) لم تعد تشكل دليلا مقنعا بعدما تم اكتشافها في العديد من النيازك أضف الى ذلك أن مجرد الافتراض بوجود نشاط حيوي على سطح المريخ لا يغني عن تقديم الأدلة الدامغة لدعمه وأخيرا فقد بات القول بوجود بني دقيقة جدا ذات منشأ حيوي موضع شك فمن الممكن أن لا يكون الأمر سوى خطأ ارتكبه الباحثون أثناء تحضير العينة للدراسة.

وهكذا تحول التصور من شبه يقين الى فرضية تقتصر الى التماسك في غضون أشهر قليلة لكن المريخ يبقى مع ذلك المرشح الأقوى بين كواكب المجموعة الشمسية لاحتضان حياة على سطحه.

لم يعد هناك شك بأن المريخ كان زاخرا بالماء السائل منذ حوالي (٣٦) مليار سنة الامر الذي استدعى وجود غلاف جوي كثيف ونشوء ظروف مواتية لظهور الحياة تماما في الوقت الذي بدأت فيه الاحياء الدقيقة تغزو كوكبنا ويمكن أن نستدل من خلال التقارب الكبير بين الأرض والمريخ على أن الكيمياء الحيوية البدائية التي مهدت لظهور الحياة على سطح كوكبنا خطت نفس المسار الذي خطته الكيمياء على سطح المريخ وعلى الرغم من الشغرات التي يعيها الباحثون على النظريات المؤسسة على المعلومات التي تم جمعها من دراسة النيزك (ALH) الا أنها قدمت

لعلماء الحياة الخارجية نظرا لما يتمتع به من قواسم مشتركة مع كوكبنا الأرض بالإضافة الى أنه يشكل مفاعلا كيميائيا حيويا حقيقيا في المجموعة الشمسية لوفرة المركبات العضوية فيه وقد تم جمع الكثير من المعلومات عنه بعد تحليل المسبارين «فوياجي ١» و«فوياجي ٢» في عامي ٨٠ و١٩٨١م فوفاة سواء من الأرض عن طريق التلسكوبات أو من الفضاء، كما تم اجراء العديد من التجارب ووضع عدة نظريات وبالرغم من ذلك كله بقيت تساؤلات كثيرة معلقة يدور أهمها حول الطبيعة الكيميائية الحقيقية للرذاذ المنتشر في غلافه الجوي وتعقيد الكيمياء الحيوية على سطحه وفي تربوسفيره ويبدو أن الرحلات الفضائية التي تسمح بالمرابعة عن قرب هي وحدها القادرة على تقديم اجابات شافية عن هذه التساؤلات لذلك يعتزم الامريكيون القيام بالرحلة الفضائية الاستكشافية «كاسيني - هويجن» التي يأتي في مقدمة الاهداف المقررة لها تبديد الغموض المحيط بالقمر تيتان، وستقوم وكالة الفضاء الأمريكية ناسا في هذه الرحلة باطلاق أضخم مسبار عرفته الرحلات الاستكشافية الفضائية حتى يومنا هذا .

أما المركبة «كاسيني» فيبلغ ارتفاعها سبعة أمتار ووزنها الاجمالي ٦ أطنان ويخرج منها هوائي بطول (٤)م وسوف يتم اطلاقها الى الفضاء الخارجي بواسطة صاروخ هائل كما أنها ستحتوي على «١٢»

جهاز للرصد والمراقبة والقياس بالإضافة الى تصميمها بحيث تقوم لوحدها باجراء ست تجارب علمية ومن المقرر حسب المخطط العلمي لسير الرحلة ان تمر المركبة كاسيني بكواكب

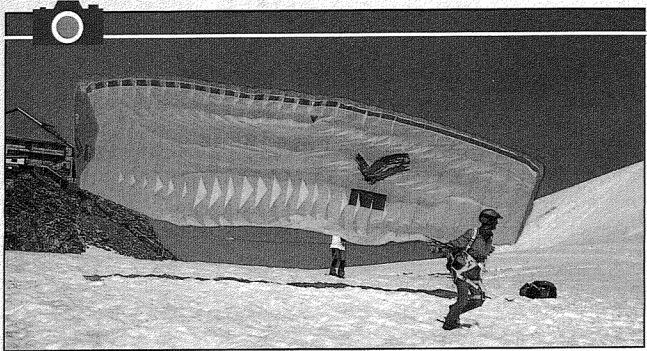
الغلاف الجوي الارضي بأربع مرات اذ يبلغ الضغط الجوي على سطحه (١٥) بار وتصل درجة الحرارة الى (١٨٠) درجة مئوية تحت الصفر، وقد بينت التجارب المخبرية ان العناصر التي يتكون منها غلاف تيتان الجوي تؤلف وسطا يعتبر من اكثر الاوساط ملامة لتشكيل المركبات الكربونية الاولى، وقد تم ايضا بمساعدة المسبار (فوياجي ١) اكتشاف عدة مركبات عضوية كالهيدروكربون وبعض المركبات الازوتية العضوية وحمض السياندريك والسيانوجين والسيانوسيتلين وتلعب كلها دورا مهما جدا في النشاط الكيميائي الحيوي الاول .

يتبين لنا من خلال ما تقدم ان تيتان يشكل ملقأى لعدة مركبات عضوية معقدة لا توجد في غلافه الجوي فحسب وانما في قشرته الصلبة ايضا وفي الرذاذ المنتشر في غلافه الجوي والذي يوشى سطحه بهالة ضبابية جميلة .

لقد شهد تيتان منذ حوالي (٥٤) مليار سنة مجموعة تأثيرات متبادلة بين عناصر ما يسمى «الجيوفلود» والتي هي : الغاز والرذاذ والمسطحات السائلة المفترضة الموجودة على السطح أو تحته مع الاشارة الى أن هذه المسطحات لا تحتوى على الماء السائل لأن درجات الحرارة المنخفضة جدا لا تسمح بوجود الماء في الحالة السائلة، ويرجح العلماء أن هذه المسطحات هي بحيرات أو بحار صغيرة من الميثان

والايتان السائلين وهي تقع فوق سطح القمر أو تحته لذلك نرى أنه من المستبعد أن تكون الحياة قد نشأت وتطورت على سطح تيتان، يعد تيتان أحد أهم أقمار المجموعة الشمسية بالنسبة





المرشحة لاحتضان مركبات حيوية أولية على سطحها مع أن غنى نواها بالمركبات العضوية والور الذي يفترض أنها لعبته في كيمياء كوكبنا الحيوية الأولية يؤهلها لتحتل مكانا مرموقا بين مواضيع علم الحياة الخارجية لقد تحدثت وسائل الاعلام بأسهاب عن اصطدام مذنب «شوميكر - لفي» المثير بالمشترى سنة ١٩٩٤ وعن اكتشاف مذنب هوكي بوب سنة ١٩٩٥ هذا المذنب الذي ستبقى ذكرى تجواله في سماء الارض في سنة ١٩٩٧ حدثا مميزا كما تحدثت أيضا عن اكتشاف المذنب هياكوتاكا سنة ١٩٩٦ مطولا فيما لم تأخذ الرحلة الاستكشافية «روزيتا» حقها من التغطية الاعلامية مع أنه ينتظر من هذه الرحلة تقديم معلومات قيمة جدا عن التركيب الكيميائي لنوى المذنبات وعن طبيعة المركبات العضوية المعقدة الموجودة فيها، وتقوم وكالة الفضاء الاوروبية «ايسا» باعداد برنامج لهذه الرحلة التي ستجرى مراحلها على النحو التالي: في سنة (٢٠٠٣) ستنطلق المركبة روزيتا باتجاه مذنب «ويرتائن» وسوف تلاحقه لمدة عدة سنوات وفي سنة (٢٠١١) تطلق المركبة جهازا للرصد ليحط على سطح المذنب سنة (٢٠١٣) ويحتل أن يكون الباحثون قد توصلوا الى اكتشاف حياة على كواكب أقمار أخرى من المجموعة الشمسية حتى ذلك الوقت.

الزهرة والارض والمشتري لدراسة التأثيرات المتبادلة بين حقول جاذبيتها ثم تصل الى كوكب زحل في عام (٢٠٠٤) وتتخذ مداراتها حوله في غضون أربع سنوات مما يمكنها بمساعدة الاجهزة التي تحملها من مراقبة الكوكب والاقمار التابعة له وستقوم المركبة كاسيني في أول دورة لها حول زحل بوضع المسبار «هيوجين» في مدار له حول الكوكب ثم يخترق هذا المسبار الغلاف الجوي لتيتان بعد عدة أسابيع ويقوم أثناء عملية هبوطه على سطح هذا القمر بإجراء عدة تحاليل علمية وستتم عملية الهبوط التي يتوقع أن تستمر ساعتين ونصف الساعة على النحو التالي: ستفتح أولا مظلة مهمتها تخفيف سرعة هبوط المسبار تحت تأثير جاذبية القمر وسوف يحميه من الحرارة الناتجة عن الاحتكاك مع الغلاف الجوي درع حراري مخصص لهذا الغرض، ثم تفتح مظلة أخرى رئيسية لتمكنه من القيام بمهمته المقررة في حال نجاح هذه العملية - وهذا المتوقع - ستتابع أجهزة المراقبة والرصد جميع المعلومات خلال عدة دقائق لاحقة للهبوط ويتوقع علماء الاحياء الخارجية أن تساعدهم المعلومات التي سيتم جمعها من هذه الرحلة كثيرا في أبحاثهم.

هل تحمل المذنبات حياة؟:

تقف المذنبات التي يسميها الفلكيون بـ «متسكيي المجموعة الشمسية» في آخر طابور الاجرام السماوية

من مظاهر إعجاز الآيات الكونية في سورة البقرة

قال تعالى: [ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة. وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار. وإن منها لما يَسْقُفُ فيخرج منه الماء. وإن منها لما يهبط من خشية الله. وما الله بغافل عما تعملون].

إن أول ما يلاحظ بشأن الآية الكريمة أنها تستعمل ضمير المخاطبين: «ثم قست قلوبكم من بعد ذلك» وذلك على غرار استعمال ضمير المخاطبين من بنى إسرائيل في القول: «وإذ قتلتم نفساً فادّارأتم فيها» ومعروف أن حادثة البقرة والقتيل كانت في عهد موسى عليه السلام فما الحكمة من استعمال ضمير المخاطبين؟ الحكمة هو التنبيه إلى أن زراي بنى إسرائيل راضون عن أخطاء أسلافهم وقبيح أفعالهم مستعدون في حالة الظروف المشابهة أن يقوموا بقبيح الأفعال ذاتها ومما تشابهت فيه بنو إسرائيل قسوة القلوب على النحو الذي قرره الآية الكريمة.

وبشأن القول: «ثم قست قلوبكم من بعد ذلك» نستطيع أن نفهم منه استبعاد قسوة قلوب القوم بعد أن أراهم الله سبحانه وتعالى على يد رسوله موسى عليه السلام الكثير من المعجزات والآيات البينات، وفي مقدمة هذه الآيات إحياء القتيل الذي أمروا بضربه ببعض البقرة وذكر اسم

الآية الكريمة ميدان الدراسة ذات علاقة ببنى إسرائيل الذين كثرت عليهم فكثّر الله تعالى إليهم وكثرت آيات أولئك الرسل كي يسير بنو إسرائيل في الطريق المستقيم ولكنهم لا يكادون يستقيمون على الطريق وقتاً من الأوقات حتى يسلكوا الطرق المعوجة والسبل المتفرقة.

والآية الكريمة ذات علاقة على نحو من الأنحاء بقصة البقرة التي أمر الله تعالى بنى إسرائيل على لسان نبيه موسى عليه السلام أن يذبحوها وكان يجزئهم أن يذبحوا أي بقرة ولكنهم شددوا على أنفسهم فشدد الله تعالى عليهم وكلما ضيقوا على أنفسهم السبل بالسؤال عن أوصاف البقرة ضيق الله عليهم.

وقد شأت إرادة الله تعالى أن يقتل بنو إسرائيل نفساً حرم الله تعالى قتلها إلا بالحق فتخالفوا وتنازعوا بشأنها كل يدفع عن نفسه تهمة القتل التي يطرحها عليه الطرف الآخر. وقد أوحى الله سبحانه وتعالى لموسى عليه السلام أن يأمر قومه بأن يضربوا القتيل ببعض البقرة التي أمروا بذببحها فضرّبوه بذنبيها فيما يقال فأعاد الله تعالى الحياة إلى القتيل [١]، وأخبر بقاتله ثم عاد ميتاً كما كان [٢] وإلى حادثة القتيل أشارت الآيتان الكريمتان من سورة البقرة [٣]: [وَإِذ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ. فَلَمَّا أَضْرِبُوهُ بِيَعْضِهَا كَذَلِكَ يَحْيِي اللهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ] ثم تاتى الآية الكريمة ميدان الدراسة.



بقلم : أ.د. حسن محمد باجود
جامعة أم القرى - مكة المكرمة

من قتله ثم مات مرة أخرى بإذن الله تعالى. إن المنتظر من بنى اسرائيل تجاه هذه الآيات البينات أن تكون قلوبهم رقيقة لينة، بل أن تسيل رقة وتذوب لينا. والعجيب أن العكس هو الذى حدث فقد قست قلوب القوم، بل غدت في القسوة كالحجارة، بل أشد من الحجارة قسوة كالحديد وصلب الحديد. قال تعالى: **ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً**.

ويلاحظ أن الحجارة تجيء في صيغة الجمع وذلك على غرار القلوب التي جاءت هي الأخرى في صيغة الجمع. وحينما تكون القلوب في القسوة كالحجارة فذلك معناه أنها جميعاً قاسية قسوة الحجارة، وحينما تكون القلوب أشد قسوة من الحجارة فذلك معناه أن أقل القلوب قسوة هي في مستوى قسوة الحجارة، وليس أي حجارة، بل هي الحجارة القاسية وحدها لأن جملة قست من القول: «ثم قست قلوبكم من بعد ذلك» صرفت الكلام إلى الحجارة القاسية وحدها فخرجت بذلك الحجارة غير القاسية، اللينة والرخوة وما إليهما. ويجتهد الذهن في البحث عن أشد الحجارة قسوة كي يشبه بها تلك القلوب، بل كي يشبه بها أقل القلوب قسوة، كما يجتهد الذهن في البحث عن المشبه به الذى يفوق الحجارة قسوة والذى شابه به القلوب الأخرى. وربما وجد المرء جواباً لبحثه في الحديد أو في صلب الحديد وما إليهما.

ولا يكاد ينقضى عجب المتأمل لآية الكريمة من بنى اسرائيل الذين انتهت بهم آيات الله تعالى الى عكس المقصود منها تماماً فبدلاً من أن تلين تلك القلوب وترق، وبدلاً من أن تمتلئ حنائاً وتتدفق إحساناً تحولت كالحجارة قسوة أو أشد من الحجارة قسوة.

وكي تعمق الآية الكريمة من خلُق قلوب بنى اسرائيل من الرحمة، وتبين مثلاً بالقسوة وتفجراً - تبعاً لذلك - بالحد والبغضاء قارنت الآية الكريمة بين قلوب بنى اسرائيل العقلاء المكلفين الذين نسوا الله تعالى فأنساهم أنفسهم وبين تلك الحجارة القاسية.

إن قلوب بنى اسرائيل الخالية من أي رحمة الفارغة من أي عطف ولين تخالفها الحجارة القاسية الصلبة الصلدة في الصفات، إذ يتفجر من بعض تلك الحجارة القاسية الصلبة الصلدة الأنهار، ويشقق بعضها الآخر طولاً وعرضاً فيخرج منه الماء الأقل كمية من سابقه الذى يتدفق جدولاً ررقاً أو عيناً ثرة، بينما يهبط البعض الآخر من الحجارة من خشية الله تعالى، ولعل لذلك الهبوط الذي تتركه العينان علاقة بالماء الباطن أو الظاهر. قال تعالى: **وَإِنْ مِنْ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ، وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَشَقَّقُ فِيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ. وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ. وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**.

وإن كلا من الجزئيات الكريمات بحاجة منا الى أن نقف عنده على حده، فمع هذه الجزئية الكريمة ابتداء: «وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار» وأول ما يلفت الانتباه النص على التفجر الذى يغرى بالمقارنة بينه وبين الانفجار والانبجاس إن التفجر هو التفتح بالسعة والكثرة [٤] والانفجار دونه [٥] والتفجر والانفجار يقترن بهما اتساع المسارب أو الشقوق أما الانبجاس فيقترن به ضيق الشقوق ابتداء. يقول الراغب [٦]: «لكن الانبجاس أكثر ما يقال فيما يخرج من شيء ضيق، والانفجار يستعمل فيه وفيما يخرج من شيء واسع».

ونستطيع أن نفهم من القول: «إن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار» بأن انفجار الحجارة أشد ما يكون الانفجار وأقواه، ولهذا نتبين أن الماء هو الذى يتفجر من الحجارة بالمعنى الذى يفيد التفجر من غزارة الماء وقوة اندفاعه مع اتساع في الشقوق. ونستطيع أن نتبين أن تجاوب الحجارة مع الماء مساو لغزارة بل مجاز لتلك الغزارة والجيشان، بمعنى أن اتساع شقوق الحجارة قابل للزيادة تبعاً لزيادة كمية المياه التى جرت أنهاراً، ومما هو مقوّل لكثرة الماء واتساع انسياحه لفظة الأنهار التى يعود أصلها اللغوي «نهر» إلى معنى

السعة لأن النهر هو مجرى الماء الفائض وجمعه أنهار[٧].

ومن البين أننا بصدد مقارنة ملحوظة بين قلوب بنى إسرائيل التي عليها أقفالها وبين الحجارة القاسية التي تتفجر أنهارها . والعجيب في الأمر أن هذا السائل العذب الفرات يتفجر أنهاراً من صدور الحجارة القاسية التي لا تعقل أمّا قلوب بنى إسرائيل فلا يأتي منها خشية ولا إنابة، ولا يلجها نور ولا هدى .
حقناً بشأن هذه الجزئية الكريمة: «وإنّ منها لما يهبط من خشية الله» أن نفهم بأن العلاقة لازالت هنا بين الحجارة وبين الماء وأن الانفعال والتجاوب لازالا بين الصجارة وبين الماء ولكن بما أن الماء هنا في أضعف حالاته وأقل كمياته وبما أن الانفعال والتجاوب من الحجارة مساو لحاجة الماء وكان الماء غير قادر على التفجر أنهاراً أو الانبجاس عيوناً أو التفرق جداول فقد كان هذه المرة التفاعل من الحجارة والتجاوب منها مساويين لحاجة الماء ورغبته وقد تمثل كل ذلك فيما طرأ على الحجارة من هبوط، وكأنّ هذا النوع من الحجارة قد طرأ على مستواه بعض انخفاض وعلى صدره بعض تظامن انفعالا بالماء المنطوي عليه وتجاوباً مع هذا السائل الذي تلبى الحجارة دائماً رغبته وتحقق مطالبه . وبما أن الماء هنا يغمغم ويجمجم فإن الحجارة تكثف في انفعالها وتجاوبها في انخفاض مستواها وتظامنها تضامناً مع الماء وتعاطفاً .

ويصح أن تتسع دائرة الهبوط كي تعني السقوط من أعلى والانحدار على سبيل القهر[٨] ويصح أن يكون هذا الانحدار بفعل الماء وبفعل غير الماء وإنما كانت نظرتنا الأولى إلى هبوط الحجارة بمعنى انخفاض مستواها بفعل الماء في باطنها لأن هذه النظرة تتمشى مع الحالين الأولين للحجارة وللماء في باطن الحجارة ولاتجاه الماء من القوة إلى الضعف . إن الماء حينما كان غزيراً تفجر أنهاراً وحينما كان أقل غزارة انبجس من شقوق الحجارة عيوناً . أما حينما كان الماء في أضعف قواه وأقل كمياته فإنه ظل

مضمرأ في باطن الحجارة فكان من تلك الحجارة هبوط .

على أن الآية الكريمة تقرر أن الهبوط في حقيقته من خشية الله تعالى وبسبب الخوف الذي يشوبه التعظيم والمعروف أن ذلك أكثر ما يكون عن علم بما يخشى منه[٩] والمعنى أن هبوط الحجارة وانحدارها وإن كان في ظاهره بفعل الماء الباطن إن كان الهبوط بمعنى انخفاض مستوى الحجارة وبفعل الماء الظاهر إن كان الهبوط بمعنى سقوط الحجارة من المرتفعات والصخور من رؤس الجبال إلى السفوح، فإن الهبوط في حقيقته بسبب خشية الحجارة الله تعالى . «وإنّ منها لما يهبط من خشية الله» .

وإن من العلماء من ذهب الى أن الخشية هنا على الحقيقة ومنهم من ذهب إلى ذلك من المجاز[١٠] ونحن نميل إلى أن خشية الحجارة هنا على الحقيقة وليس على المجاز ونبادر إلى تسجيل الأدلة من القرآن الكريم على ذلك . جاء في خشية الجبال من الله تعالى قوله عز من قائل في سورة الحشر[١١] {لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون} وجاء في إباء السماوات والأرض والجبال حمل الأمانة والإشفاق منها قوله تعالى في سورة الأحزاب[١٢] {إنّا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً} وجاء في تسبيح السماوات السبع والأرض ومن فيهن وما فيهن الله تعالى قوله عز من قائل في سورة الإسراء[١٣]: {تسبيح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن . وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم . إنه كان حليماً غفوراً} والسماوات والأرض تائبان الله سبحانه وتعالى طائعتين على نحو ما بينت سورة فصلت . قال تعالى[١٤]: {ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعتين} وما أكثر الآيات القرآنية الكريمة التي تقرر سجود السماوات والأرض وما فيهن

بنى اسرائيل التي عليها أقفالها فلا الشر خارج منها ولا الخير داخل فيها، نستطيع أن نفهم أبعاد التهديد الموجه في تذييل الآية الكريمة إلى بنى اسرائيل القساة القلوب الغلاظ الأكباد: «وما الله بغافل عما تعملون».

إن الله سبحانه وتعالى سيجازي بنى اسرائيل بما اقترفته أيديهم وقد جاء في حق بنى اسرائيل عبدة العجل المعتدين في السَّبْت قوله عزَّ من قائل في سورة الاعراف[١٨]: «وَإِذْ تَأْتِيَنَّ رِيكَ لِيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ. إِنَّ رِيكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ».

الهوامش:

- (١) الكشف ٢٢٢/١.
- (٢) تفسير القرطبي ٣٨٨.
- (٣) الآية ٧٢، ٧٣.
- (٤) الكشف ٢٢٢/١ والبحر المحيط ٢٦٥/١.
- (٥) البحر المحيط ٢٦٥/١.
- (٦) مفردات الراغب الأصفهاني ٣٧.
- (٧) مفردات الراغب الأصفهاني ٥٠٦.
- (٨) مفردات الراغب الأصفهاني ٥٣٦.
- (٩) مفردات الراغب الأصفهاني ١٤٩ وانظر البحر المحيط ٢٤٩/١.
- (١٠) انظر هنا الكلام العظيم لأبى حيان في البحر المحيط ٢٦٦/١.
- (١١) الآية ٢١.
- (١٢) الآية ٧٢.
- (١٣) الآية ٤٤.
- (١٤) سورة فصلت ١١.
- (١٥) الآية ١٥.
- (١٦) الآية ١٨.
- (١٧) الإبتقان ٣٦٢/٢.
- (١٨) الآية ١٦٧.

لله تعالى. جاء مثلاً في سورة الرعد[١٥] قوله تعالى: [وله يسجد من في السماوات والأرض طوعاً وكرهاً وظلالهم بالغشوق والأصال] وجاء في سورة الحج[١٦] قوله تعالى: [ألم تر أن الله يسجد له من في السماوات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والبواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فما له من مكرم. إن الله يفعل ما يشاء].

والحقيقة أن لفظة خشية ذات المعاني العميقة والمرامى البعيدة حينما تثبتها الآية الكريمة للحجارة الصماء ويفهم منها عظيم خشية الحجارة لله تعالى وذلك في معرض المقارنة بين قلوب بنى اسرائيل القاسية كالحجارة أو أشد قسوة وبين الحجارة التي تخشى كلها الله تعالى، وقد قال السيوطي[١٧] في معنى الخشية: «الخوف والخشية لا يكاد اللغوي يفرق بينهما، ولا شك أن الخشية أعلى منه وهي أشد الخوف». ويبدل لذلك أن الخفاء والشين والياء في تقاليبها تدل على العظمة نحو: شيخ للسيد الكبير، وخيش لما غلظ من اللباس، ولذا وردت الخشية غالباً في حق الله تعالى «الحقيقة أن لفظة خشية وصفة الخشية التي تثبتها الآية الكريمة للحجارة تبين أبعاد قسوة قلوب بنى اسرائيل في القول: «ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة».

والحقيقة كذلك أننا حينما نتبين أن صفة الخشية خلعتها الآية الكريمة على الحجارة التي انفلتت بالماء انفعالا يسيراً بينما انفلتت الحجارة الأخرى انفعالا أكبر فأكبر، فذلك معناه ضمناً أن الحجارة الأخرى التي انفلتت بالماء امتثالاً لأوامر الله تعالى انفعالا كبيراً فتفجرت المياه أنهاراً أو انبجست عيوناً، فذلك معناه ضمناً أن الحجارة الأخرى قد حلَّ بها ما بالحجارة الأولى من خشية الله تعالى. والمعروف أن الخشية ثمرة طاعة الله تعالى.

إن كل هذه المعاني حينما تتبينها والتعوت حينما نتأملها في حق الحجارة الصماء في مقابل قسوة قلوب

القصص النبوية | قصص النبوة والأدب العربي

يخترق عالم الغيب، أو يجري على لسان الجن والشياطين، والطير والحيوان، وتقع أحداثها في ممالك الأرض والبحار، والسموات والفضاء، مثل رسالة الغفران، وكليلة ودمنة، وألف ليلة وليلة، والمقامات، والتبويح والزبوايع، وحي بن يقظان وغيرها. وهذا التراث يستلهم ويستمد من مصدرين ثابتين موثقين هما: قصص القرآن الكريم، وقصص النبوة، وهما يشعان بتوجيهات لها القداسة في سلوك المسلم العملي، لتفقيه العقيدة، وتصحيح العبادة، وتنظيم المعاملة، ومن هنا تكون مصدر الهام وتجديد القيم النبيلة، ومنها الفنون الأدبية على اختلاف ألوانها. وهذه الفنون تغطي نماذج ومثالا في القديم والحديث، وتؤثر في المسلمين وفيمن بخاطهم، في كل زمان ومكان، في بلاد الفرس والهند والصين، في الأندلس وأوربا، وفي الحروب الصليبية، وفي السلم، في التجارة والصناعة والزراعة وغيرها.

أثر قصص الجنة في الآداب العالمية:

تشير هنا إلى بعض ما قلناه عن تأثير القصص النبوية في الآداب العالمية، وبصفة خاصة ما يتعلق بالجنة والنار في قصة المعراج، ومدى تأثيرها في أدب كبار الكتاب العالمين، من أمثال دانتي. يقول الدكتور محمد غنيمي هلال في كتابه الأدب



بقلم: أ.د. عبد الباسط أحمد حمودة

- مصر -

من غير شك أن الأدب العربي تأثر تأثراً كبيراً بالقصص النبوية، ولا نريد أن نستطرد في هذا الموضوع غير أننا نشير - في هذا الصدد - إلى رسالة الغفران التي رد فيها أبو العلاء المعري على ابن القارح، وفيها من وقائع ومشاهدات تشبه ما جاء في القصص النبوية عن الجنة والنار، ويصفه خاصة عن الشعراء من أمثال امرئ القيس بن حجر، وعلقمة وطرفة والحطيئة والأخطل وغيرهم. وقد جاء ذكر بعض هؤلاء في كتب السنة تحكي مصير بعضهم، ففي منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال [١] عن أبي هريرة عن النبي (صلى الله عليه وسلم) (امرؤ القيس صاحب لواء الشعراء إلى النار) و(امرؤ القيس قائد الشعراء إلى النار؛ لأنه أول من أحكم قوافيها) وغير ذلك كثير. لذلك وضع تأثر أبي العلاء بذلك وما جاء في قصة الإسراء والمعراج، وانتقلت رسالة الغفران إلى أوربا فأثرت في الآداب الغربية مع غيرها من الثقافة الإسلامية ومصادرها المختلفة [٢]: (هذا هو الشاعر الأعمى أبو العلاء المعري الذي لا يزال شهيراً في العالم الإسلامي، بل في أوربا أيضاً، وهو سوري الأصل عاش في القرنين العاشر والحادي عشر من الميلاذ، وهو الملقب بفيلسوف الشعراء وشاعر الفلاسفة ألف رسالة الغفران، وهي في حقيقة الأمر، محاكاة بارعة، لتلك الروايات البسيطة التي دارت أحداثها حول قصة الإسراء فحسب. ورسالة الغفران رد على أحد أصدقاء أبي العلاء الشاعر الحلبي ابن القارح...).

وعلى كل حال يبرز تراث العرب الأدبي، وبصفة خاصة بعد الإسلام بالكثير والكثير، من القصص التي استلهمها العالم في القديم والحديث، من قصص فني،



عن طريق الفلسفة العربية وكان يعرف الشيء القليل عن الفارابي، وابن سينا، والغزالي، وابن رشد، ويضع ابن رشد في المحيط الخارجي للجحيم..

وتؤكد الدراسات الحديثة ما استمده دانتي من المصادر الشرقية، وبخاصة المصادر الإسلامية، كقصة: (أردا فيراف) التي تصف الصعود إلى السماء، ووصف الجحيم الوارد في القرآن، وقصة المعراج، ووصف الجنة والنار في رسالة الغفران لأبي العلاء المعري، وفتوحات ابن عربي).

ويقول الدكتور محمد غنيمي هلال^[٥]: (وأما هذا التشابه بين رسالة أبي العلاء و(كوميديا) دانتي فقد يكون راجعا إلى أنهما كليهما قد أفادا من حكاية الإسراء والمعراج. وفي هذه الحالة يكون لأبي العلاء فضل الإفادة أدبيا من التراث الإسلامي قبل دانتي).

ويرى ميغيل أسين^[٦] أن دانتي قد (لجأ) هو أيضا إلى نفس هذه الوسائل، وإن كان مستوى تصميم الكوميديا الإلهية أكبر كثيراً من مستوى تصميم رسالة الغفران، لقد عمل دانتي بنفس المنهج الذي اتخذه أبو العلاء، ولكنه تخطى مجرد الهدف الأدبي الذي رمى إليه المؤلف الإسلامي).

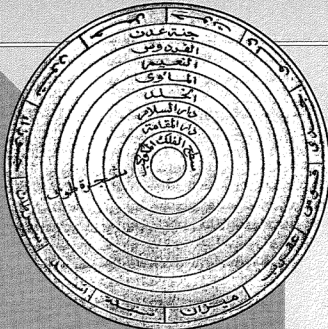
ويتحدث ميغيل عن الصور المنقولة في كوميديا دانتي عن القصص النبوي للجنة فيقول: (ومن المشابهات الغريبة إن إحدى القصص الإسلامية قد كررت حادثة الشجرة ثلاث مرات «... فترفع له وهو على الصراط شجرة، فيقول: أي رب أدنني من هذه الشجرة لأستظل بظلها وأشرب من مائها. فيقول الله - تعالى - : يا ابن آدم ... (القصة) وعلى الرغم من أن نهاية القصتين مختلفة، فإن الخطوط للحادثة متشابهة جدا في كلتا القصتين).

ويبدو واضحا تأثر دانتي بابن عربي الذي تصوّر الجنة، ووضح هذا التصور برسوم هندسية^[٧]: (والآن نرى أنه لا يلزمنا أن نبذل مجهودا ذهنيا مفرطا، لتبين التشابه بين هذا التصور ووردة دانتي، لم يستخدم ابن

المقارن^[٢]: (ولقد قضى على كل معارضة في ذلك التأثير، وزالت كل شبهة أمام الباحثين، بفضل عاملين مستشرقين أحدهما: ايطالي وهو (تشيرولي) في بحثه الطويل الذي عنوانه: (كتاب المعراج ومسألة المصدر العربي الأسباني للكوميديا الإلهية).

والمستشرق الثاني أسباني هو (مونيوس سندنو) في كتابه الذي عنوانه: (معراج محمد). وقد قام هذان العالمان ببحثهما كل على حدة، ونشرا كتابيهما في وقت واحد تقريبا، عام ١٩٤٩م، واتفقت نتائج بحثهما على الرغم من أن أحدهما لم يتصل بالآخر، وقد اكتشفا مصدر (دانته) في مخطوطة أصلها عربي، وموضوعها (معراج الرسول). وقد ترجمت هذه المخطوطة إلى الأسبانية (في لهجة قشتالة) ثم إلى الفرنسية واللاتينية، بأمر من الملك (ألفونس العاشر ١٢٥٢ - ١٢٧٢) الذي كان ملك (قشتالة)، ثم امبراطور المانيا، ويسمى: (ألفونس الحكيم) وفي الكتابين السابقين الذكر نص المخطوطتين اللتين بقيتا في الإسراء والمعراج، إحداهما (وهي باللغة الفرنسية القديمة) في مكتبة (أكسفورد) والثانية (وهي المخطوطة اللاتينية) في المكتبة الأهلية بباريس. وقد كان بلاط (ألفونس العاشر) مقصد كثير من عظماء أوروبا ومفكرها، هذا إلى أن لدينا معلومات تاريخية، تدل على أن نسخة من هاتين المخطوطتين كانت في مكتبة الفاتيكان، ثم إن سيطرة (ألفونس العاشر) على دول الغرب لعصره - كما هو ثابت تاريخيا - قد جعلت كل جهوده العلمية تعم ممالك أوروبا جميعا. على أنه من الثابت أن (دانته) كان كثير الاطلاع على ما يتاح له من جميع الثقافات الأخرى. وفي (الكوميديا الإلهية) نفسها ما يثبت اطلاع (دانته) على الشفافة الإسلامية...).

ويقول ول ديورانت في قصة الحضارة^[٤]: (إن تصوير دانتي لله بأنه نور وحب (الحب الذي يحرك الشمس وسائر النجوم) لهو قول أرسطو، انتقل إليه



أثبت ميغيل أسين هذا الشكل وقال إن ابن عربي وضعه في كتاب الفتوحات المكية ونقله دانتى في الكوميديا الإلهية

السابقة - من ابن عربي ومؤلفاته عموماً، وعلى الأخص كتابه الفتوحات المكية، حيث أخذ الفكرة العامة لقصيدته [٩] (والأرجح أن دانتى وقع في هذا الكتاب أيضاً على التصميمات الهندسية لبناء الجحيم والفردوس، وعلى الملامح العامة للمناظر التي وضعت على أساسها الكوميديا الرائعة، وعلى الصورة الزاهية لحياة النعيم التي يحياها المتعمون في الجنة، وعلى تحلي النور الإلهي، وعلى اللذة التي يحصل عليها من يراه).

وما وجدناه في الثقافة الإسلامية وتأثيرها في العالم الغربي، وبصفة خاصة تأثير القصص النبوي، نجده في الآداب الشرقية التي كانت على جانب كبير من الحضارة قبل الإسلام: (ولكن أبرز المؤثرات الدينية بلا مرأى هي تلك المؤثرات الإسلامية، ويرجع هذا إلى اعتناق الكثرة العظمى من الإبرانيين للإسلام بعد الفتح العربي، وكان من نتيجة ذلك أن اصطبلت (الشاهنامة) نفسها، حين جمعها ونظمها بهذه الصيغة الإسلامية، فنرى كل ملوكها وأبطالها - تقريباً - موحدون، يؤمنون بالله واليوم الآخر، وقضائه وقدره، خيره وشره...)

وأثرت الثقافة الإسلامية في القارة الهندية، فما يزال أهل السند الهندوس ينطقون بكلمات عربية

عربي في الحقيقة تشبيه الورد في نضه، غير أن لمحة واحدة لتصميم الذي وضعه بنفسه بدقة هندسية كبيرة، من شأنه أن يفصح عن مثل هذا التشبيه... ونقع على تشابه آخر بين وردة دانتى وقصة إسلامية ظلت فيها الجنة شجرة هائلة، وقد استخدم ابن عربي حديثاً شهيراً جداً في الإسلام (يعني قصة: إن طوبى شجرة في الجنة) وأدخل في تصميمه شجرة هائلة تخرج أصولها من سماء الحرك الأول... وهذا هو نفس الانطباع الذي يحدثه النظر إلى الورد).

[انظر الشكل رقم (١)]

ويتحدث ميغيل أسين عن تأثير النماذج الإسلامية في آداب أوروبا مثل أيرلندا، واسكتلندا وفرنسا، والماني، وإيطاليا، حيث انتقلت إلى أوروبا المسيحية عن طريق الحجاج، والصليبيين والمبشرين والتجار أو عن طريق المغامرين (النورمان) أو الرقيق، أو رجال الأدب والعلم، أو الرحالة العاديين [٨] (والحقيقة أن أسبانيا قد اعتبرت في القرن التاسع الميلادي، موطناً للأحاديث النبوية، وكان طبيعياً أن تكون أحاديث عروجه إلى السماء أكثرها شيوعاً، باعتبارها الأحاديث التي تروي فصلاً هاماً من فصول سيرته - وهي رواية انجازه لعجزته الكبرى التي أصبحت عقيدة من عقائد الإسلام، التي لا يزال المسلمون في كل أنحاء العالم يحتفلون بذكرها حتى يومنا هذا).

ويعد أن يذكر الكاتب معرفة الأسباب بقصة المعراج، يحدد بعض القديسين ورؤساء الأديرة الذين قرأوا هذه القصص مراراً وتكراراً، وعلى ذلك فلا يستبعد وصول قصة المعراج إلى إيطاليا التي كانت مرتبطة بأسبانيا بروابط اتصال وثيقة ودائمة: (وفي هذا الوقت كان التصميم الذي وضعه دانتى لقصيدته الإلهية، قد تحيز نهائياً في تفكيره، وصور الجحيم، وهو أول أجزائها في سنة ١٣٠٦م).

ويدل ميغيل أسين في أكثر من موضع بأن دانتى استقى كتابه (الكوميديا الإلهية) إلى جانب المصادر

فعملوا بكل الوسائل السياسية والاقتصادية والثقافية والعلمية والاجتماعية، وسخروا كل الامكانات: كالاستشراق، والتبشير، والاستعمار واعاد القادة في مختلف التخصصات من أبناء المسلمين المبعوثين أو المتعلمين في مدارسهم وجامعاتهم في بلاد الإسلام، أو عن طريق الإعلام الموجه، أو بتصدير الآراء والأفكار في صور علمية أو مذهبية متقدمة.

ونجح أعداء الاسلام في تحقيق الأهداف التي لم يحققوها في الحروب الصليبية ولا غيرها، وذلك عن طريق تغيير المفاهيم التراثية، والثقافية، والدينية، حيث [١٢] سادت نزعة التغريب، وتسلك من مجرد الدعوة إلى التبعية الثقافية للغرب، اتصل إلى إذاعة الآراء المنحرفة، وذلك عندما سيطرت الروح العلمانية، وبالذات في مجال التعليم وعندما ظهرت الدعوة التي قادها سلامة موسى لإحياء العامية وكتابة العربية بالحروف اللاتينية، وعندما ظهر كتاب الدكتور طه حسين (في الشعر الجاهلي) ثم تلاه كتابه الآخر (مستقبل الثقافة في مصر). وكذا كتاب علي عبد الرازق (الإسلام وأصول الحكم) وما كتبه قاسم أمين (تحرير المرأة) و(المرأة الجديدة) ونجد الانحراف قد تركز بصورة أكيدة فيما دعا إليه الدكتور أحمد زكي أبو شادي من مهاجمة الإسلام، باسم مهاجمة الأديان وذهب أيضا إلى ضرورة اغلاق الأزهر ليحيا المصريون حياة مدنية، وروج لتيار العلمانية بحجة الإيمان بقداسة البحث، وفي مواضع أخرى تغنى بآراء (فرويد) عالم النفس اليهودي، وخاصة فيما يتعلق بالغريزة الجنسية، على اعتبار أنه رسول جديد لم يستند إلى ديانة تقليدية - على حد قوله - كبقية الرسل، إنما استند إلى العلم وحده.

ودعا أذناب الغرب وعملاء أعداء الإسلام إلى دعوات اقليمية وقومية وعرقية، وقامت مدارس لترسيخ الثقافات والآداب الواردة لتغيير مفاهيمنا التراثية والأدبية كمدارس المهجر، والديوان، وأبولو، التي ألقت

ويسمون يوم الخميس خميسا، والحصير حصيرا، والثوم ثوما، ومازال خطهم عربيا إلى انتشار الدعوة الطائفية ومثل ذلك وأكثر في اندونيسيا وماليزيا [١١]. ويقول ابن، سني، مهتا في كتابه (الحضارة الهندية والإسلام): (إن الإسلام قد حمل إلى الهند مشعلا من نور، قد انجلت به الظلمات التي كانت تغشى الحياة الإنسانية في عصر مالت فيه الدينيات القديمة إلى الانحطاط والتدننى، وأصبحت الغايات الفاضلة معتقدات فكرية، لقد كانت فتوح الإسلام في عالم الأفكار أوسع وأعظم منها في حقل السياسة).

تراث العرب والمسلمين:

القصص النبوي هو تراث خالد للعرب والمسلمين، تهوى إليه أفئدة المسلمين في كل مكان وزمان يقول أحد المسلمين من غير العرب [١٢]: (فكتب الحديث النبوي، تسد هذا الفراغ الواقع في تاريخ الأدب العربي، وتنقل إلينا النذر الأدبي الذي اعتقد أنه قد ضاع، وتمتاز أنها قد اتصل سندها وصحت روايتها، فهي أوثق مصدر للغة العربية البليغة التي كانت سائدة في عهدها الذهبي الأول، وللأدب العربي الذي كان منتشرا في جزيرة العرب).

إن هذه الكتب تشتمل على روايات قصيرة وطويلة، وكلها أمثلة جميلة للغة العرب العرياء، التي كانوا يتكلمون بها، ويعبرون فيها عن ضمائرهم وخواطرهم، ويجد نارس الأدب العربي فيها من البلاغة العربية، والقدرة البيانية، والوصف الدقيق، والتعبير الرقيق، وعدم التكلف والصناعة ما يقف أمامه خاشعا معترفا للرواة بالبلاغة والتحرى في صحة النقل والرواية، وللغة العربية بالسعة والجمال).

لذا عمل أعداء الإسلام من الغرب والشرق، ومنذ زمن بعيد - في جد ونشاط، وتنظيم دقيق على غلبة ونشر ثقافتهم العلمانية، المعزولة عن الأديان في الظاهر، والمعادية للإسلام في الباطن، والملاحقة لتراثه،

الإسلامي، حتى لا تكون لنا عودة إلى قيمنا وأخلاقنا وديننا [١٥] (فإن المقصود الأول بالتبشير عن طريق التعليم هم المسلمون، وخصوصاً بعد أن تبدلت الأحوال والعقليات بعد الحرب العالمية الأولى، وهكذا كان تاريخ الأعمال التنصيرية في البلاد الإسلامية، إلى حد كبير، تاريخاً للتعليم الأجنبي).

(ومن رأي المنصرين أن تؤسس الكليات في المراكز الإسلامية، ولذلك لم يكتفوا ببيروت، بل أرادوا أن يكون ثمة كلية في القاهرة نفسها إلى جانب الجامع الأزهر، وهكذا أصبح للمنصرين الأمريكيين الكلية الأمريكية في القاهرة، بعد كلية روبرت في استانبول أيضاً، ولم يكن رأى المنصرين الفرنسيين مخالفاً لذلك، فانشأوا كلية لهم في مدينة لاهور، وهي مدينة من المدن الإسلامية الكبرى في الهند) وعاصمة مقاطعة في باكستان اليوم).

وأمام هذه الحقائق الواضحة، والتي لا يجادل فيها مخلص لدينه ولقومه، وأمام اشتداد حملات أعداء الإسلام وآتباعهم - ممن أشرنا إليهم - لمحو شخصية المسلم وتفرغه من كل قيمه وأخلاقه نقول أمام ذلك كله، من الواجب والمحتّم على الأمة وفي مقدمتها دعاة الإصلاح والغيورين على بناء وترقية الأجيال تصحيح هذا الخلل والمرض العضال الذي سيقضى على البقية الباقية من الأمة، وذلك بوضع خطة على مستوى العالم الإسلامي، يلتزم بها المسؤولون وأفراد الأمة وتنفذ في أجهزة المعارف والتربية والتعليم والتوجيه والثقافة، لتدارك الخلل الذي دخل في الثقافة والتراث العربي والإسلامي، وتنقيته من كل ما أثر ويؤثر أو يتعارض معه، وأن تبني المناهج على الاحتكام والاستلھام لديننا وتقاليدنا ومعالم حضارتنا.

وفي هذا المقام نذكر على سبيل المثال ما يجب النظر إليه في تراثنا وهي السنة النبوية التي ينظر إليها البعض بأنها قاصرة على الدين فقط، تقول إنها مثال حي وصورة صادقة للتربية والنشأة في ظلال الأدب العربي والإسلامي، فهي مصدر موثق لا يبلغ درجته مصدر في عالم الأمس أو اليوم، ولذا يجب أن

في روع الجيل الماضي والحاضر، بأن علاج القصور الذي لحق بأدبنا منذ الجاهلية إلى اليوم، يمكن تداركه عن طريق الأخذ بالمذاهب الغربية، وبخاصة الرومانتيكية.

واتضح الآن على أرض الواقع الإسلامي، طغيان الثقافات التغريبية على تراثنا العربي الإسلامي، فزلزل كيان اللغة العربية، مما نراه من مظاهر التحقير والسخرية والاستخفاف بها وبأهلها، والعمل المتواصل للتكر من قواعدها، بدعوى صعوبتها، وتنحية بلاغتها، بحجة تكلفها وبعدها عن روح العصر، وفي مجال أدبها توجيه ضربات قاصمة للشعر وموسيقاه العربية، القائمة على تقاعيله وقوافيه وبحوره، وفي جانب آخر الترويج للشعر المنشور أو النشر المشعور الذي لا يقوم على رابطة فنية ثابتة.

وفي تاريخ الأدب ونقده أخرجوا الأدب الذي يفيض بالاخلاص والصدق، اللذين يهبان الأدب روحاً وقوة وحيوية، من حظيرة الأدب، وهو فن الخطابة الدينية والكتابة كالمقالة والوصايا الدينية، وكذا القصص العربي قبل العصر الحديث، بدعوة خلوه من عناصر القصة الحديثة، ووضوح الجانب الخطابي بالدعوة إلى القيم والأخلاق، مما يتعارض مع (الأدب للأدب) ٠٠ وغير هذا وذاك مما هو قائم في مفاهيم الأدب والنقد الغربي [١٤]: (إن المتأمل في عامة النتاجات الفنية والأدبية للإنسان العربي المعاصر، ليجدها - إلا قليلاً - تتحرك من جذور أوربية، إفريقية، مسيحية، وتعبر عن وجدان أوربي في همومها، وخيالاتها، وحسها الفني كذلك، تحت ستار ما يسمى بالحدائق).

ولقد سأل صحفي جزائري المستشرق الفرنسي المعاصر (شارل بيلا) ماذا تقرأ، الأدب العربي القديم أم الحديث؟ فأجابته على الفور: بل أقرأ الأدب العربي القديم وحده، فسأله الصحفي فزعا: ولم لا تقرأ الأدب العربي الحديث؟ فأجاب (شارل بيلا): لأنه أدب أوربي مكتوب باللغة العربية).

هكذا نجح الأعداء في إبعادنا عن التراث

ويمثل هذا المسلك في وضع الخطط والمناهج نصل حاضرنا بماضينا، ونشعر بواقعة ينهل من تراثنا ويبنى شخصيتنا، ونعيد أمجادنا، ونبنى حضارة على هدى من كتابنا وسنة نبينا (صلى الله عليه وسلم). ويمثل هذا أيضا تتوحد مناهل الأمة، وتلتقى على كلمة سواء، ومفاهيم موحدة لها ومدارها مآدبة القرآن الكريم، والسنة المطهرة، والشعر العربي الذي هو ديوان العرب، وكذا النثر الذي يضم الأعراف والتقاليد، وبذلك تتحقق رابطة اللغة العربية في بناء الأمة، عن طريق توحيد الروح، والحس، والشعور؛ فتصير كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تجاوزت معه سائر الأعضاء.

■ الحديث صلة ■

الهوامش:

- (١) ج ٥ ص ٢٠٠.
- (٢) ميجيل آسين: أثر الإسلام في الكوميديا الإلهية ص ٦٦.
- (٣) ص ١٤٦.
- (٤) ترجمة محمد بدران ص ٣٢٤ ج ١٧.
- (٥) الأدب المقارن ص ٢١٧.
- (٦) أثر الإسلام في الكوميديا الإلهية ص ٧٤، ١٣٦.
- (٧) المرجع السابق ص ١٥١ وما بعدها.
- (٨) المرجع السابق ص ٢٣٧ - ٢٤٢.
- (٩) ص ٢٦٢.
- (١٠) د. أمين عبد المجيد: القصة في الأدب الفارسي ص ٣٨٦.
- (١١) أبو الحسن النوني: أحاديث صريحة ص ٦٧.
- (١٢) أبو الحسن على الحسن النوني: نظرات في الأدب ص ٢٣.
- (١٣) محمد جاد البنا: المعارك الأدبية ص ١٦٧.
- (١٤) جمال سلطان: الغارة على التراث الإسلامي ص ٢٣.
- (١٥) التبشير والاستعمار ص ٦٩، ٧٩.
- (١٦) سيرة ابن هشام ج ٤ ص ٢٠٥ - ٢١٠.

تتحم مجال الأدب العربي، وتكون لها الصدارة على كل المستويات، في التعليم العام والعالي، وتقرر منها مواد أدبية مختلفة تمثل جيل صدر الإسلام والأجيال التالية له ومالها من تأثير في العصور التالية، فالنثر في صدر الإسلام يكشف عن ذلك، ويعوض عما يقال من ضياع أكثر النثر الجاهلي، ففي السنة الأمثال والحكم والمواظ، وفيها الخطابة والمناظرات، على نحو ما نرى بين الوفود بخطبائها وشعرائها وبين خطباء وشعراء رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وفيها أيضا نماذج القصص الموجز، والوسيط، والطويل، وأن يشار في هذا المجال إلى الحقائق العلمية من تأثيرها في الآداب العالمية؛ لزوع الثقة في ناشئ الأمة، وهذا إن صحت النيات، وصدقت العزائم أمر ميسر، حيث نجحت رابطة العالم الإسلامي في إدخال مادة الأدب الإسلامي في كثير من الجامعات الإسلامية. ويمكن أن يكون هذا الأدب في مواد دراسية في المدارس الابتدائية والثانوية كالمطالعة والمحفوظات والقراءة والنصوص والبلاغة والتعبير والنقد وغيره، وفي المرحلة الجامعية تكون بصورة أوسع في الكليات الأدبية والنظرية في مواد تاريخ الأدب والنصوص والنقد، وفي صور أخرى لمواد قواعد النحو والبلاغة، ففي السنة أقوى وأبلغ ما في الأدب العربي وتاريخه من نماذج ونصوص وشهادة أهل البيان من العرب، فقد ذكر ابن هشام [١٦] أن السنة التاسعة للهجرة تسمى سنة الوفود، حيث قدم وفد بنى تميم، وكان فيما قالوه: يا محمد جئنا نفاخرك فأتان لشاعرنا وخطيبنا، قال: (قد أذنت لحطيتكم فليقل) فقام عطار بن حاجب فقال خطبة، ثم قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ثابث بن قيس بن الشماس، أخى بنى الحارث بن الخزرج: (قم فأجب الرجل في خطبته) فقام ثابت فقال خطبته، ثم قال الأقرع - من وفد بنى تميم: وأبى، إن هذا الرجل لموتى له، لخطيبه أخطب من خطيبنا، ولشاعره أشعر من شاعرنا، ولأصواتهم أحلى من أصواتنا - ثم أسلم القوم وجوزهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فأحسن جوائزهم.

في الموازنة بين البديعيات المبكرة

الموصلي وابن جابر الأندلسي، مستهدفا إبراهيم محاسن بديعته، وتأكيد قوة شاعريته، وإظهار تقدمه في ميدان البديعيات على من سبقه.

وليس بغريب أن يستخدم ناقد كابن حجة هذه الوسيلة النقدية لتحقيق ما يهدف إليه، لكن الغريب حقاً أن يكون المباشر للعملية النقدية طرفاً في هذه القضية - أعني المفاضلة والموازنة بين هذه البديعيات - وتلك ظاهرة نادرة في تاريخ النقد العربي. لذلك سنسير مع صاحب الخزانة بحذر فيما يديه من آراء، وسنكتفي في الحديث عن هذا الموضوع بما يوضح طبيعة هذه الموازنة، وأسسها ومقاييسها التي استخدمها «ابن حجة».

لعل أبرز سمات هذه البديعيات هي التي حذبت المقاييس التي استخدمها صاحب الخزانة ونعني ما تضمنته من الفنون البلاغية أو البديعية، فقد وازن على أساس هذه الفنون ومدى مطابقة بيت البديعية لمفهوم الفن الذي تضمنه، وصحة الاستشهاد به، اتبع ذلك في جل أبيات البديعيات المذكورة.

يقول في «براءة

بقلم: د. يحيى بن محمد العطيف

جامعة الملك خالد - أبها



الموازنة فن من فنون النقد الأدبي، ووسيلة من وسائله، ظهرت مبكرة في تاريخ النقد العربي، وأخذت تسايده على مر العصور، وفي رحلتها هذه وضعت أصولها وأوضاعها وشروطها اللازمة لعقدتها، بعضها يتصل بالناقد الموازن، وبعضها يتعلق بطرفي الموازنة، منها اتحادهما في الموضوع أو المضمون [١].

والموازنات من حيث كونها أداة من أدوات النقد تتنوع وتتباين بين موازنة عامة واستحسان مطلق، وبين مفاضلة مشروحة معقدة، فقد يعتمد الناقد أو الموازن بين نصين أو شاعرين على نوقه الخاص دون أن يوضح أسباب التفضيل وعلة، وذلك ما كان عليه النقد العربي منذ العصر الجاهلي حتى العصر العباسي. وقد يحتكم الناقد إلى منهج موضوعي يعتمد فيه على الشرح والتحليل والتعليل على النحو الذي نجده عند صاحب «الموازنة بين الطائيين» تلك الموازنة التي «تعد فريدة من نوعها في تاريخ النقد العربي» [٢].

ومن الموازنات في تراثنا الأدبي والنقدي تلك الموازنة التي عقدها ابن حجة الحموي في كتابه «خزانة الأدب أو التقديم» بين بديعته والقصائد البديعية المبكرة في مدح الرسول (صلى الله عليه وسلم) أعنى بديعية صفي الدين الحلبي وعز الدين

الاستهلال»: «وبراعة الحلي من أحسن البراعات وأحشمها وهي:

إن جئت سلعا فسل عن جيرة العلم

واقر السلام على عرب بني سلم

فقد شيب بذكر سلم، والسؤال عن جيرة العلم، والسلام على عرب بني سلم، ولا يشكل على من عنده أدنى ذوق أن هذه البراعة صدرت لمديح نبوي. ويعد أن يورد مطلع بديعية «ابن جابر» وهو:

بطيبة أنزل ويمم سيد الأمم

وانشر له المدح وانشر أطيب الكلم

يقول: «هذه البراعة ليس فيها إشارة تشعر بغرض الناظم وقصده بل أطلق التصريح، ونشر المدح، ونشر طيب الكلم، فإن قال قائل: إنها براعة استهلال قلت: إن البديعية لا بد لها من براعة وحسن مخلص وحسن ختام فإذا كان مطلع القصيدة مبنياً على تصريح المدح لم يبق لحسن التخلص محل ولا موضع» [٣].

ويقول عن مطلع بديعته وهو:

لي في ابتداء منحكم يا عرب ذي

براعة تستهل النعم في العلم

«وأما براعة بديعيتي فإنها ببركة ممدوحها (صلي الله عليه وسلم) نور هذه المطالع، وقبله هذا الكلام الجامع، فأني جمعت فيها بين براعة الاستهلال وحسن الابتداء بالشروط المقرر لكل منهما، وأبرزت تسمية نوعها البديعي في أحسن قوالب التورية، وشنفت بأقراط غزلها الأسماع مع حشمة الألفاظ، وغنوتها، وعدم تجافي جنوبها عن مضاجع الرقة» [٤].

مما سبق نرى المؤلف يبين في موازنته خصائص كل مطلع، ومدى استيفائه الشروط المقررة لهذا الفن عند علماء البديع، ولذلك استحسن بيت بديعته وبيت بديعية الحلي، أما مطلع «ابن جابر» فلم يستوف مقاييس هذا الفن - في نظر ابن حجة - لأنه صرح فيه بغرضه، وذلك إخلال بشرط من شروط براعة الاستهلال لأنه اشترط في المطلع أن يكون مشعراً بغرض الناظم مشيراً إليه من غير تصريح. وابن حجة محق فيما ذهب إليه. أما إذا عرضنا مطلع بديعية «ابن جابر» على مفهوم ناظمها لبراعة الاستهلال فإننا نجد مطابقاً له يقول ابن جابر في تعريفه: «هو أن يبين الشاعر في المطلع غرضه» [٥] ولقد جاء هذا المطلع مبنياً لغرض ناظمها وهو مدح الرسول الأمين (صلى الله عليه وسلم) وسهولة هذا المطلع ورقته وسلاسته، واضحة ظاهرة.

أما مطلع بديعية «الموصلي» فلم يذكره «ابن حجة» كعادته ولعل علة ذلك أنه أخذ الشطر الأول من بديعية الموصلي وضمّنه بيت براعة استهلال بديعته، وكان الأولى وهو بصدد الموازنة أن يشير إلى ذلك لا سيما وأن التضمنين مباح في قانون الشعر والاعتراف بالحق فضيلة.

وبيت بديعته على شرطه المقرر كما ذكر لكنه ارتكب فيه ضرورة لغوية هي قصر الممدوح في قوله: «لي في ابتداء» على حين تخلو مطالع البديعيات الأخرى من مثل تلك الضرورة وأود أن أشير إلى أن ابن حجة لم يتناول الجانب اللغوي في موازنته.

وهو يسلك سبيل الموازنة التفضيلية كثيراً

الاستعارة جمع بين التورية والاستعارة والترشيح مع عدم الحشو، وصحة التركيب، والمشي على جادة الرقعة، والالتزام بتسمية هذا النوع موزون به من جنس الغزل».

والحق أنني لم أجد مطعنا في بيت ابن حجة سوى أن التورية فيه باسم النوع مستعارة من بيت شيوخه الموصلي الأنف.

وقد يجانب صاحب الخزانة الصواب في حكمه كما في نوع «الطاعة والعصيان» [٧]. وقد يكون تفضيله لبيتته مشفوعاً بروح الزهو والإعجاب كقوله في النزاهة: «والذي أقوله إن بيتي في هذا الباب جر أذيال البلاغة مع جرير وشاركه في العذوبة والتباري، ولكن له نبأ في التسمية صدر عن خير» [٨] وهذه الروح نجدناها كثيراً في مؤلفات ابن حجة ولا سيما في «خزانة الأدب» [٩]، وابن حجة معجب بالحي وبديعته لذلك نجده يثني عليها كثيراً ويسمها بالرقعة والانسجام ويفضل أبياتها على بديعتي الموصلي والأندلسي في كثير من الأحيان نجد ذلك في مواطن متعددة منها قوله في تجاهل العارف [١٠]: «وبيت الشيخ صفي الدين غاية في هذا الباب وهو:

يا ليت شعري أسحراً كان حكيم

أزال عقلي أم ضرب من المم

وكما استهجن بعض أبيات بديعية الموصلي أستحسنها كثيراً، وفضله بها على من سبقه نجد ذلك في «الاستطرد والمناقضة والاكتفاء والتكميل والتفريق وانتلاف اللفظ مع المعنى، والغلو الذي يقول فيه - بعد أن تناول بالنقد بيتي الحلي والعميان وهما:

فيصرح برأيه وحكمه مفضلاً أبيات بديعته غالباً كما في «التتميم والاستعارة والتشريع، والاستثناء والاطراد والمناسبة والنوادر والاعتراض والطيرز».

وقد يصيب في حكمه كما في قوله في الاستعارة [٦]: «فبيت الشيخ صفي الدين - رحمه الله - في بديعته وهو الشاهد على نوع الاستعارة:

إن لم أحت مطايا العزم مثقلة

من القوافي تؤم المجد عن أم

وبيت العميان:

يقول صحبي وسفن العيس خائضة

بحر السراب وعين القيط لم تنم

بيت الشيخ صفي الدين وبيت العميان لم يحسن السكوت عليهما، ولا تتم الفائدة بهما، فإن بيت الشيخ صفي الدين متعلق بما قبله، وبيت العميان متعلق بما بعده، وبيت الشيخ عز الدين صالح للتجريد وهو:

دع المعاصي فشيبي الرأس مشتعل

بالاستعارة من أزواجها العقم

أقول: ... إن في قوله: «من أزواجها العقم» ما

يرغب السامع

وبيت بديعتي:

وكان غرس التمني يانعا فنوى

بالاستعارة من نيران هجرهم

وقد تقدم أن المقدم عند علماء البديع الاستعارة

المرشحة لفظة «غرس» رشحت بياناً وأما قول:

«بالاستعارة من نيران هجرهم» بعد «نوى» فما أعده

إلا من المنح الإلهامية فإن اسم النوع الذي هو

عزيز جارلو الليل استجاربه

من الصباح لعاش الناس في الظلم

تكاد تشهد أن الله أرسله

إلى الورى نطف الأبناء في الرحم

«وبيت الشيخ عز الدين في بديعته يقول فيه عن

النبي {صلى الله عليه وسلم}:

في محله نفحات لا غلّ بها

يكاد يحي شذاها بالي الرمم

نفحات هذا البيت عطّرت الوجود بالمديح

النبوي، وغلّوها فيه ملحوظ بعين القبول، وتقريبها

بكاد أحرز قصبات السبق ولا أقول كاد، وهذا عندي

مقدم على بيت بديعية الشيخ صفى الدين، وبيت

العميان، لالتزامه بتسمية النوع البديعي مورى به من

جنس المديح مع إنسجامه ورقته» [١١].

وابن حجة عندما يصرح بتفضيل بيت من أبيات

البديعيات الأخرى إما أن يضم بيت بديعته إلى

البيت المفضل غالباً ويساويه به، وإما أن يكتفي

بتبيان محاسنه، وإما أن يحيله إلى أصحاب الذوق

السليم، ولا يقر لغيره بالفضل إلا نادراً وجدنا ذلك

في موضع يتيم من موازنته يقول - بعد أن ذكر أبيات

بديعيات الحلي والموصلي وابن حجة في التكرار -

«كاد بيت الشيخ صفى الدين وبيت الشيخ عز الدين

وبيت بديعتي أن تكون بيتاً واحداً لمنا سبة التركيب،

وإن كان بيت الشيخ الحلي مميزاً بزيادة واحدة في

التكرار فقد جاء موضعها التورية في تسمية

النوع .. والذي يظهر أن مكرر بيتي حالوته ظاهرة

على بيت الشيخ عز الدين فإن مكرره ناقص

الحالوة» [١٢].

ومما سبق يتضح لنا أن «ابن حجة» يصرح

بحكمه ونتيجة موازنته، لكن ذلك لا يطرد في

موازناته، فنجدته يكتفي في مواضع منها بالجانب

الوصفي، فبين المحاسن والمساويء نون أن يصرح

بالأفضل، نجد ذلك في «إرسال المثل، والتوشيح،

والمبالغة والإغراق، ونفي الشيء بإيجابه، والترتيب

والفرائد، وغيرها .

يقول في الفرائد: «وبيت الشيخ صفى الدين:

ومن له حاور الجذع اليبيس ومن

بگه أورقت عجرا من سلم

الفريدة في بيت الحلي هي «العجرا» و«العجرا»

هي العصا المعقدة وبيت الشيخ عز الدين:

كم حصص الحق إذا وافت فرائده

وفي الوطيس بدا ثبتا بلا برم

الفريدة في بيت الشيخ عز الدين هي لفظة

«الوطيس» وأما «برم» فما أبرم فيها أمراً .

وبيت بديعتي أقول فيه:

وشم وميض برق من فرائده

وانظم حنانك عقدا غير منقصم

الفرائد في هذا البيت ثلاثة وهي «شم وحنانك

ومنقصم» [١٣].

ولقد تجافى قلم ابن حجة في موازنته عن

الوضوح في المعاني من حيث الصحة والفساد،

والابتداع والاتباع والوضوح والغموض إلا ما جاء

نادراً في ثنايا مقاييسه السابقة في نوع

«الاستخدام، والهجو في معرض الذم، والتوشيح،

والالغاز» يقول في الهجر في معرض المدح «وبيت

الحلي:

لا يحتمل المدح، لأن الشاعر صرح في البيت بالهزاء في قوله: «تهجى» فكيف يكون محتملاً للمدح بعد هذا التصريح؟

وأشار ابن حجة إلى روح الرفض في بديعية الحلي، وفضل بيته بهذا المعيار، وعدّه الوحيد الذي يجب أن يستشهد به كما في نوع «جمع المؤنث والمختلف» وبيت الحلي في هذا النوع هو قوله في وصف الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين:

هم هم في جميع الفضل ما عدمو

سوى الإخاء ونص النكر والرحم

ومعنى هذا البيت: «أن الصحابة جميعهم مستوون في الفضل، وما عدمو في استوائهم غير الإخاء مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وغير نص النكر أي ورود القرآن والقراءة للنبي (صلى الله عليه وسلم)». ومراد (الشاعر) بذلك أن هذه الثلاثة مختصة بالإمام علي - رضي الله عنه - وبقيّة الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - متساوون في الفضيلة» [١٦]. يقول ابن حجة معلقاً على هذا البيت:

«الحلي أساء الأدب في نظم هذا البيت، وكان يجب أن يؤدب على نظمه، فإنه يخس فيه حق صحابة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وكذب في الثلاثة التي استثنّاها وقال: إن الصحابة رضي الله عنهم عدموها، وقوله «هم هم في جميع الفضل» لا يفهم منه مدح لأنه سلبهم الفضل في الشطر الثاني من البيت ولهذا قال الشيخ عز الدين في بديعيته مشيراً إلى هذا البيت:

من معشر يرخّصُ الأعراض جواهرهم

ويحملون الأذى من كل مهتضم

فقلوه ويحملون الأذى ٠٠ ينظر إلى قول الحماسي «يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة» ٠٠ وبيت عز الدين:

في معرض المدح تُهَجَّى من قبيلته

أعراضهم بين معمر ومنهزم

الذي أقوله: إن الشيخ عز الدين قفل مصراعي بيته، ومنع الإقحام من الدخول إليه، فإنّي لم أجد فيه ما يدل على مجرد المدح، ولا اقترن به ما يصرفه إلى صيغة الهجو بل أقول - وأنا أستغفر الله - إن هذا البيت أجاد ألفاظه ما دب فيها من المعاني روح وليس له بهذا النوع إلمام» [١٤].

وحقاً إن البيت لا يخلو من غموض إلا أننا نرى أن ابن حجة قد بالغ في وصفه بذلك، ومعنى البيت أن العاذل الذي ذكره الناظم فيما سبق من أبيات أعراض قبيلته بين معمر ومنهزم. والشاهد في «أعراضهم»: «وأعراضهم يحتمل معنيين: أحدهما جمع عرض بفتح العين والراء وهو المال. والثاني جمع عرض بكسر العين وسكون الراء وهو محل الهزاء والمدح من الإنسان. فإذا نويت أن العرض المفتوح العين معمر وأن العرض المكسور العين منهزم كان هجاء في معرض مدح وإن عكسته كان مدحاً» [١٥]. ومعنى قوله: «وإن عكسته كان مدحاً» ٠٠ أن القارئ إذا نوى أن العرض المفتوح العين منهزم وأن العرض المكسور العين معمر كان مدحاً في معرض الهزاء. والذي أراه أن هذا البيت

هم هم في جميع الفضل ما عدوا

ما قاله الراضى النذل في الكلم

وعلى هذا الترتيب الفاسد فما اجتمع في البيت غير المختلف لأن المؤلف عنه بمعزل [١٧].

هذا وقد رد الشيخ الموصلي في شرح بديعته على هذه الروح الراضية في بيت الحلي بالأدلة الثابتة الواضحة منتصراً لمذهب أهل السنة والجماعة في هذه القضية [١٨].

تلك أبرز ملامح هذه الموازنة في خزانة الأدب، ومن خلالها تبدو طبيعتها فهي تفضيلية في أكثرها تقوم غالباً على ذوق صاحبها ومقاييس البديع وخصائصه التي تمثل الاتجاه الغالب على النقد في عصر ابن حجة. وقد وصل من تلك الموازنة إلى نتائج لم نسلم له ببعض مقدماتها، وقد أجملها في خاتمة الخزانة فقال: «إن العميان اختصروا جانباً كبيراً من البديع، وما أجادوا النظم فيما وقع اختيارهم عليه. والشيخ صفي الدين الحلي أجاد في الغالب لخلاصه من التورية في تسمية النوع، ولكنه قصر في مواضع نبهت عليها في مظانها. والشيخ عز الدين - رحمه الله - قصر في غالب بديعته لالتزامه بتسمية النوع البديعي ومراعاة التورية» [١٩].

وواضح من هذا ومما سبق أنه يفضل بديعته على سائر البديعات الأخر، ويجعل بديعية العميان في الدرجة الأخيرة بين هذه القصائد.

ونحن نعتقد أن «ابن حجة» لو لم يكن طرفاً في هذه القضية، ولو تجرد عن روح الإعجاب والزهو،

وتحرر قليلاً من فنون البديع، ووسع دائرة مقاييسه لوفق كثيراً، ولكان لموازنته شأن في تاريخ النقد العربي.

الهوامش:

(١) انظر: أصول النقد العربي: الأستاذ أحمد الشايب - الطبعة الثامنة سنة ١٩٧٣م مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ص ٢٩٠.

(٢) النقد المنهجي عند العرب: الدكتور محمد مندور - طبعة مكتبة النهضة المصرية ص ٣٥٦.

(٣) خزانة الأدب: طبعة بولاق سنة (١٢٩١هـ) ص ١٤، ١٥.

(٤) الخزانة/ ١٦.

(٥) شرح «ابن جابر» على بديعته مخطوط ورقة ٢.

(٦) الخزانة/ ٦٤.

(٧) انظر: الخزانة/ ٥١١.

(٨) الخزانة/ ٩٦.

(٩) انظر: الخزانة/ ١١، ١٦، ١١٧.

(١٠) الخزانة/ ١٥٧.

(١١) الخزانة/ ٢٨٥، ٢٨٦.

(١٢) الخزانة/ ٢٠٦.

(١٣) الخزانة/ ٤٥٥.

(١٤) الخزانة/ ١٨٥.

(١٥) التوصل بالبديع: ورقة/ ١١٩.

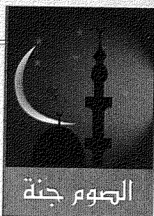
(١٦) نقحات الأزهار/ ١٥٤.

(١٧) الخزانة/ ٥١٤.

(١٨) التوصل بالبديع ورقة/ ١١٩.

(١٩) الخزانة/ ٥٧٠.

أتاكم رمضان شهر البركة



عليهم رحمته، واستجاب دعاءهم، ويعبر الحديث الشريف عن هذه الصلة بتعبيرات موحية تمس القلب: «يغشاكم الله فيه»، «ينظر الله تعالى إلى تنافسكم فيه»، «يباهي بكم ملائكته».

ويقرب البيان النبوي مظاهر فضل الله إلى الأذهان من خلال التصوير: فرحمة الله تصبح كالغيث المنزل؛ «فينزل رحمته» وخطايا العباد تصبح كالأنقال شديدة الوطأة التي يحطها فضل الله عن العباد في رمضان «ويحط الخطايا» وتعتمد صورتان على الفعل المضارع الدال بدوره على تجدد إنزال الرحمة، وعلى استمرار غفران الذنوب، وهو ما يدفع المؤمنين إلى اليقين بفضل الله، والاجتهاد في التعرض له عبر أوقات الشهر الكريم كلها.

وينتقل الحديث بعد ذلك إلى أحوال العبودية، والاجتهاد في الطاعات، وعلى رأسها «الدعاء» الذي يبلور يقين العبد بقدرة الخالق التي لا تحد، بالافتقار إلى عطائه سبحانه ورحمته: ففي رمضان يتأكد فضل الله باستجابة الدعاء استجابة دائمة متصلة على نحو ما يفهم من مجيء «يستجيب» مضارعا.

ويعبر الحديث عن الاجتهاد في الطاعات تعبيرا دالا على ما امتلأت به نفوس المؤمنين من عزم على أداء القربات: حتى لتعد أوقات رمضان ميدانا يتنافس المسلمون في تضيئتها في الطاعة، وهم إن فعلوا ذلك ظفروا بسمو المنزلة عند الله؛ على نحو ما يدل قوله عليه السلام: «يباهي بكم ملائكته» وفي الفعل «يباهي» بمعناه وصيفته - ما يشير إلى ارتفاع مكانة العابدين المجتهدين

عن عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال يوما - وقد حضر رمضان - «أتاكم رمضان شهر بركة، يغشاكم الله فيه؛ فينزل الرحمة، ويحط الخطايا، ويستجيب فيه الدعاء، وينظر الله تعالى إلى تنافسكم فيه، ويباهي بكم ملائكته، فأروا الله من أنفسكم خيرا، فإن الشقي من حرم فيه رحمة الله».

لا يكاد المرء يتأمل طبيعة شهر رمضان، إلا وتمتلىء نفسه بحمد الله سبحانه، واليقين برحمته وشفقته بعباده، فها هو شهر رمضان يمثل موسما من مواسم رحمة الله، يتفضل فيه الله سبحانه بالمنح والعطايا، فيملا حياة العباد بالخير والبركة، وينزل رحمته عليهم ويغفر ذنوبهم، ويتجاوز عن خطاياهم، ويستجيب فيه دعاءهم، ويباهي بالصائمين القائمين من عباده ملائكته الأبرار. ولهذا فإن أيام رمضان ملأى بأوجه الخير في الدنيا والآخرة، فالسعداء المفلحون من جدوا في العبادة وتعرضوا لعطايا الله، والأشقياء المحرومون من فاتهم هذا الخير العميم؛ وهم المقصرون في الطاعات فيحرمون لذلك من رحمة الله.

والحديث في مجموعه كشف عن فضل رمضان، وحفز لهمح المؤمنين للاجتهاد في العبادة، وهو ما يتضح بدءا من الكلمة الأولى في الحديث «أتاكم رمضان» إذ أصبح الشهر الفضيل في صورة الزائر الكريم الذي يأتي، وهو ما يوضح العلاقة الحميمة النبيلة التي تربط المؤمنين بشهر رمضان، وتثير هذه الجملة تساؤلا لدى السامعين؛ وكأنهم يقولون: وماذا في رمضان؟ وهنا ترد الجملة التالية: «شهر بركة» موضحة فضل رمضان توضيحا مطلقا عاما، يستقي منه السامعون أوجه الخير كلها في الدنيا والآخرة، وسائر جمل الحديث تفصيل لأبعاد هذه البركة المرتجاة: إذ تتأكد فيه صلة العباد بخالقهم، وقد قربهم الصيام والقيام إليه سبحانه، فأنزل

بقلم: د. طارق سعد شلبي
كلية الآداب - جامعة عين شمس

في الطاعة في أوقات رمضان وهو ما أكدته تقديم «بكم» المرتبطة بالمؤمنين العابدين على «ملانكتة».

ويحرص الرسول (صلى الله عليه وسلم) على إيقاظ بعض القلوب من غفلتها، وأي حفز يحرك القلوب أعظم من أن يذكر المسلم أن الله مطلع عليه؟! «ينظر الله إلى تنافسكم فيه» وهو ما يوجب على المرء أن يستجيب للتوجيه النبوي الكريم: «فأروا الله من أنفسكم خيرا» ويعبر الحديث الشريف عن الغافل عن فضل رمضان، المفرط في عبادة الله، الظالم نفسه تعبيرا يكشف عن مدى الخسران المبين الذي يحقق بهذا الغافل: فهو «شقي»؛ ويهب هذا اللفظ آفاقا دلالية رحبة تجتهد الأذهان في إدراك مداها خاصة حين يقترون هذا الشقاء بالحرمان، ويكون هذا الحرمان من أمر يمثل الغاية العظمى التي تهفو إليها كل نفس: «فإن الشقي من حُرِم فيه من رحمة الله».

ولهذه العبارة قدرة لافتة على جذب انتباه السامعين: فهي ترد مقابلة لما قبلها، فإذا كان السامعون قد تابعوا فيما مضى أحوال أهل الطاعة الذين يتنافسون في العبادة وتباهى بهم الملانكة، ويلتسون سبل مرضاة الله، إذ بالسياق ينقل السامعين نقلة مغايرة إلى الغافلين عن ذلك الخير كله، وانتقال السامعين بين المقابلات على هذا النحو له أثره في دفع الأذهان إلى التأمل في حال كلا الفريقين، وهو ما يكشف عن توجيه نبوي خفي لطيف، قادر على مخاطبة أعماق القلوب.

وتتأكد مزية هذا التوجيه بالكشف عن المصير الوبيل الذي حاق بهذا الشقي، وهو ما أكتب «إن» التي صدرت الحديث عن حاله: «فإن الشقي من حُرِم فيه رحمة الله» ويرد لفظ «من» ليدل مع «إن» المؤكدة أن لا شقي إلا هذا المحروم من رحمة الله، ويستبقي الرسول الكريم انتباه السامعين منصبا على الشهر الكريم من خلال قوله: «فيه» فهذا الشهر فرصة عظمى لنيل رحمة الله، فمن لم يدرك الرحمة فيه فهو الشقي، ولا شقي سواه!

وتتأكد دلالة الحرمان والخسران من خلال بناء الفعل «حُرِمَ» للمجهول، فهو - بمعناه وصيغته - يؤكد الحرمان المطلق الذي يحقق بالمقصرين في الطاعات. ومن يتأمل طبيعة الخطاب النبوي بجده منصبا على جماعة المخاطبين، وهو ما يجعل مثل هذا الحديث صالحا

لكل زمان ولكل مكان، فما من جماعة مؤمنة تصغي إلى هذا الحديث - وقد أقبل عليها رمضان - إلا وتشعر أنها مخاطبة به «أتاكم رمضان شهر بركة يغشاكم الله فيه.. ينظر الله إلى تنافسكم فيه، ويباهي بكم ملانكتة، فأروا الله من أنفسكم خيرا» ومثل هذا الخطاب يجعل النفوس أقرب إلى الاستجابة والطاعة، وهي تجد شفقة الرسول بها، وحرصه عليها؛ في توجيهها إلى ما ينفعها.

ويجمع الحديث الشريف بين الخبر والإنشاء: إذ جاءت معظم عبارات الحديث خبرية تقريرية، وهو ما أسهم في عرض فضائل الشهر الكريم في صورة البدهات القارة التي لا شك فيها، مما يؤكد في النهاية المعنى في الأذهان، أما الإنشاء فقد ورد من أساليبه أسلوب الأمر «فأروا الله من أنفسكم خيرا»، وقد ورد هذا الأسلوب تاليا للأساليب الخبرية التي أشرنا إليها، مرتباً عليها؛ ففضائل رمضان توجب الأمر بالاجتهاد في العبادة «أتاكم رمضان شهر بركة، يغشاكم الله فيه، فينزل الرحمة، ويحط الخطايا، ويستجيب فيه الدعاء»، ينظر الله تعالى إلى تنافسكم فيه، ويباهي بكم ملانكتة فأروا الله من أنفسكم خيرا»، والنظر في علاقة أسلوب الأمر هنا بما قبله يؤكد ترابط وحدات الحديث، وتسلسلها: إذ تؤدي كل وحدة منها إلى تاليها، فالتنافس في العبادة يصل بالعباد إلى منزلة عظمى؛ تتمثل في مباهاة الله بهم ملانكتة، وهي مكانة لا سبيل إلى نيلها إلا بالعمل الصالح الموصول، ويرتبط الأمر النبوي «فأروا الله من أنفسكم خيرا» بقوله عليه السلام «ينظر الله تعالى إلى تنافسكم فيه».. ومثل هذا الترابط المحكم يجعل النفوس أقرب إلى الاقتناع بالفكرة، والاستجابة للتوجيه.

وفي هذه المواضع من الحديث عموم يلائم حفز النفوس على تحري أبواب الخير، فلم يقيّد الرسول الكريم طاعة بعينها يتنافس المؤمنون في أدائها، كما بقي لفظ «خيرا» بتكثيره شاملا كل ما يمكن أن يرد في الأذهان من قربي يتقرب بها العباد إلى خالقهم المطلع عليهم.

وبعد فنسأل الله أن يجعلنا من عباده المقبولين في رمضان، فينزل علينا رحمته، ويحط عنا خطايانا، ويباهي بنا ملائكة، ولا يجعلنا من الأشقياء المحرومين من فضل رمضان.

الصيام وتربية النفوس



جل وعلا . لذلك كان الإمام أحمد يقول (الصوم لا رياء فيه) فلا يصوم إلا المخلصون التاركون لطعامهم وشربهم وشهوتهم من أجل طاعة ورضا الله وحده دون سواه ولما كان الصوم كله خالصاً لله لا تشبه شائبة الرياء نسبه الله تعالى الى نفسه وتكفل بالجزاء عليه . فقال تعالى في الحديث القدسي (كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به) رواه مسلم .

وتكفله سبحانه بالجزاء عليه يعني أنه تعالى قد كشف مقادير ثواب غيره من الأعمال الصالحة والطاعات وأنها تضاعف من حسنة إلى عشرة إلى سبعمئة ضعف إلى ما شاء الله إلا الصيام فإنه سبحانه وتعالى يثيب عليه بغير تقدير فهو جل شأنه الذي انفرد بعلم مقدار ثوابه وتضعيف حسناته وكل هذا من ثمرة الإخلاص في تلك العبادة الجليلة .

وحاجة النفس للإخلاص أشد من حاجة الجسد للطعام والشرب والهواء فالإخلاص من أهم أسباب تزكية النفوس وطهارتها ونجاتها يوم القيامة فكل طاعة أو عمل نرجوا جزاءه عند الله تعالى لايد له من إخلاص يبعده عن النظر للمخلوقين ويوجهه للخالق جل وعلا وبذلك يكون له عند الله القبول والمثوبة فهو

بقلم : د. خالد سعد النجار

- مصر -

الصوم أعظم مدرسة لتربية النفوس المسلمة، إنه مدرسة تختلف كثيراً عن المدارس التربوية الأخرى التي تعتمد في التربية على الإلقاء البحت للمواعظ والحكم التي تحرك القلوب ثم ما تلبث أن يذهب ما فيها من خشوع بمرور بعض الوقت دون أن تؤثر في السلوك الشخصي للفرد بفعل أو عمل جديد يقوّم النفس ويهذبها ويصير لها عادة ملازمة في طريق الحياة .

أما في مدرسة الصوم فتتم التربية الإيمانية بممارسة عملية للصائمين أنفسهم طيلة شهر بكامله يتدربون فيها على الايمان والمثل علماً وعملاً ويجدون في الصوم دروساً غالية يتعلمون منها الكثير .

وفي هذا الشهر الكريم نستعرض بعض هذه الدروس العظيمة التي نجدها في مدرسة الصوم حيث يظهر لنا روعة هذه العبادة، فسبحان العليّ التقدير الذي شرع لنا كل هذا الخير الذي فيه صلاح نفوسنا وحياتنا .

الإخلاص:

فالإخلاص من الدروس الغالية التي تتعلمها النفوس بالصوم فما سمعنا أنه صام مُراء أو منافق قط، ذاك أن غاية الرياء وهدفه الحقيقي هو مدح المادحين أو طلب المنزلة في أعين الخلق بما يمارسه المرائي من وجوه الطاعات والبر وهذا الأمر غير حاصل له بالصوم لأن الصوم سر بين العبد وربه



ركن من أركان العمل وشرط
من شروطه قال تعالى
[فمن كان يرجو لقاء ربه
فليعمل عملاً صالحاً
ولا يشرك بعبادة ربه
أحداً]
(الكهف/١١٠).

وعن أبي هريرة
رضي الله عنه قال
سمعت رسول الله
[صلى الله عليه وسلم]
يقول (قال الله تعالى: أنا
أغنى الشركاء عن الشرك
من عمل عملاً أشرك فيه معي
غيري تركته وشركه) رواه مسلم.

فالإخلاص روح أى عباده عليه تقوم وبه

تقبل عند الله وشواهد هذه القاعدة عديدة نجدها في
أكثر من حديث من أحاديث رسول الله [صلى الله
عليه وسلم] كقوله (ما قال عبد لا إله إلا الله قط
مخلصاً إلا فتحت له أبواب السماء حتى تفضي إلى
العرش ما اجتنبت الكبائر) رواه الترمذي.

وقوله (ما منكم من أحد يتوضأ فيحسن الوضوء
ثم يقوم فيركع ركعتين يقبل عليهما بقلبه ووجهه
وجبت له الجنة وغفر له) رواه أبو داود. وقوله
(صنائع المعروف تقي مصارع السوء، وصدقة السر
تطفي غضب الرب، وصلة الرحم تزيد في العمر)
رواه الطبراني. وقوله (من سأل القتل في سبيل الله
صادقاً من قلبه أعطاه الله أجر شهيد وإن مات على
فراشه) رواه الترمذي.

وثمره الإخلاص الفلاح والنجاح في الدنيا
والآخرة.

- فالأمة المسلمة لا تنصر إلا بإخلاص أفرانها.
قال [صلى الله عليه وسلم] «إنما ينصر الله هذه
الأمة بضعيفها بدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم» رواه
النسائي. وقال (بشر هذه الأمة بالسنة والدين
والرفعة والتمكين في الأرض فمن عمل منهم عمل
الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة من نصيب) رواه
أحمد.

- والود والحب والألفة بين المسلمين لا تكون إلا
بالإخلاص قال [صلى الله عليه وسلم] (ثلاث لا يغفل
عليهن قلب امرئ مؤمن: إخلاص العمل لله
والمناسحة لأئمة المسلمين ولزوم جماعتهم فإن
دعاهم يحيط من وراءهم) رواه البزار. فلا يجتمع
غل مع إخلاص في قلب المسلم أبداً.

- والرفعة والمنزلة في الآخرة لا تكون إلا

بالإخلاص حيث يقول تعالى في شأن طائفة من المخلصين.

- (ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيمماً وأسيراً إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً إنا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطورياً فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا وجزاهم بما صبروا جنة وحريراً) الإنسان/ ٨ - ١٢.

إن الإخلاص خلاص من كل ما يكره المرء ومن كل قيد ومن هنا تأتي فضيلة الصوم أعظم مدبر للنفس على الإخلاص الذي هو من أشق الأمور على النفس حيث يقول أحد الحكماء (إخلاص ساعة نجاة الأبد ولكن الإخلاص عزيز).

التقوى:

قال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا كُتِبَ عليكم الصيام كما كُتِبَ على الذين من قبلكم لعلكم تتقون} (البقرة/ ١٨٣)، قال الزجاج: لتتقوا المعاصي فإن الصيام وصلة إلى التقى لأنه يكف الإنسان عن كثير مما تطلع عليه النفس من المعاصي.

ولا تتم التقوى إلا بأن يعلم العبد ما يتقى ثم يتقى. قال طلق بن حبيب (إذا وقعت الفتنة فاطفئوها بالتقوى قالوا وما التقوى؟ قال: أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله).

وفي الصوم يتدرب الإنسان على تقوى الله تعالى وذلك لأن الصوم يكف جماح الشهوات التي هي أكبر دافع على تعدى حدود الله كما أن الصوم الحقيقي هو الذي يقترن بالآداب والفضائل ويجانب كل الرذائل وتلك هي حقيقة التقوى التي هي اجتناب ما يسخط الله والإقبال على ما يرضى الله من الاعتقادات والأقوال والأفعال وفي ذلك يقول رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (الصيام جنة من النار

فمن أصبح صائماً فلا يجهل يومئذ وإن امرؤ جهل عليه فلا يشتمه ولا يسبه وليقل إني صائم والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك) رواه النسائي.

ويقول (من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه) رواه ابن ماجه، وقال جابر - رضى الله عنه - (إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب والمحارم ودع أذى الجار وليكن عليك وقار وسكينة يوم صومك ولا تجعل يوم صومك ويوم فطرك سواء).

- إن تقوى الله هي المخرج الحقيقي للمجمعات المنكوبة التي تتخبط في ظلمات النظريات تتلمس منهجاً يخرجها من الشقاء قال تعالى {ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب} (الطلاق/ ٢ - ٣) وقال {ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً} (الطلاق/ ٤) وقال {ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض} (الأعراف/ ٩٦).

- والتقوى هي الملاذ الأمن الذى يجعل الإنسان في كنف الله وماذا يفقد من وجد الله تعالى {وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً إن الله بما يعملون محيط} (آل عمران/ ١٢٠) {واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين} (البقرة/ ١٩٤).

- والتقوى مفتاح كل خير ومفتاح قبول أى عمل. قال تعالى: {إنما يتقبل الله من المتقين} (المائدة/ ٢٧) إنها خير زاد يتزود به الإنسان وخير زينة يتزين بها {وتزودوا فإن خير الزاد التقوى} (البقرة/ ١٩٧)، {ولباس التقوى ذلك خير} (الأعراف/ ٢٦).

إذا المرء لم يلبس ثياباً من التقى

تقلب عرياناً وإن كان كاسياً

وخير لباس المرء طاعة ربه

ولا خير فيمن كان لله عاصياً

الصبر:

قاله تعالى جعل الصبر جواداً لا يكيو، وصارماً لا ينبو، وجنداً غالباً لا يهزم، وحصناً حصيناً لا يهدم، فهو والنصر أخوان شقيقان وهو أنصر لصاحبه من الرجال بلا عده ولا عدد ومحلّه من الظفر محل الرأس من الجسد.

والصوم تجتمع فيه معاني الصبر الثلاثة الصبر على ألم الجوع والعطش والصبر على المعاصي والصبر على الطاعات.

فالصوم خير مدرب للإرادة وخير معلم للصبر. والصبر مدرسة يعد فيها الرجال ويجعلهم بالنفوس الشدائد وتحملها في سبيل كل نجاح وفلاح وما قامت أي حضارة وما أحرز أي تقدم وازدهار إلا بالرجال الصابرين على المحن التي تعترض طريق النهضة.

فالكسل والجزع عند أول عقبة لا ينتج إلا أجساداً مترهلة خاملة خائفة لا تعرف للرفعة سبيلا ولا للرقى طريقاً وصدق الشاعر إذ يقول:

والصبر مثل اسمه مر مذاقته

لكن عواقبه أحلى من العسل

ولذلك قيل في تعريف الصبر هو تعويد النفس الهجوم على المكار، وقال علي - كرم الله وجهه - :
الصبر مطية لا تكبو..

وقال الحجاج في أحد خطبه (اقرعوا هذه النفوس فإنها طلعة الى كل سوء فرحم الله امرأ جعل لنفسه خطاماً وزماماً فقادها بخطامها إلى طاعة الله وصرفها بزمامها عن معاصي الله فإن الصبر على محارم الله أيسر من الصبر على عذابه).

فالصبر كله خير وكله ضياء كما قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) «ما رزق عبد خيراً له ولا أوسع من الصبر» رواه الحاكم وقال عمر بن الخطاب

رضي الله عنه (أفضل عيش أدركناه بالصبر).

المراقبة:

فالصيام أمر موكل إلى نفس الصائم لا رقيب عليه منه إلا الله تعالى. فالصائم ترك كل شهوة في قدرته تناولها لولا اطلاع الله تعالى ومراقبته له لما صبر، فلا جرم أنه يحصل له من تكرار هذه الملاحظة المصاحبة للعمل ملكة المراقبة لله تعالى والحياء منه سبحانه أن يراه حيث نهاه ويفتقده حيث أمره.

وفي هذه المراقبة من كمال الإيمان بالله تعالى والاستغراق في تعظيمه وتقديسه أكبر معد للنفوس ومؤهل لها لضبط النفس ونزاهتها في الدنيا وسعادتها في الآخرة.

إن النفوس المتحلية بالمراقبة لا تقدم على غش ولا خديعة ولا خيانة ولا ظلم ولا استرسال مع أي معصية، وروح الصيام وسره في هذا القصد والملاحظة التي تحدث هذه المراقبة.

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل

خلوت ولكن قل على رقيب

ولا تحسن الله يغفل ساعة

ولا أن ما يخفى عليه يغيب

قاله بالنسبة للصائم رقيب حتى في قلبه لا يرائيه ولا يجامله ولا يخدع من تأويل ولا يغر بفلسفة ولا تزيين ولا يستهوي ما تسول النفس ولا يزال دائماً يقول للنفس: إن الخطأ أكبر الخطأ أن تنظم الحياة من حوك وتترك الفوضى في قلبك.

إننا لا نخطئ إذا قلنا أن الصوم تربية للمسلم يخرج المسلم منه وقد صفت نفسه وزكا قلبه وتطهرت روحه وسما عقله ثم هو بعد ذلك زاد للعبد في سيره وارتحاله إلى ربه.

موائد الإنظار في شهر رمضان



صائم كي يشاركهم الطعام، ويبدو أن الطعام كان يعد بكميات كبيرة، كما كان سادتهم يكافؤونهم إذا حضروا أكبر عدد من الناس، لذلك كانوا يجبرون الناس أحياناً على الذهاب معهم أو يحملونهم قسراً إلى بيوت سادتهم للإفطار.

وكان العصر الفاطمي (٢٥٨ - ٥٦٧هـ / ٩٦٩ - ١١٧١م) الذي اتسم بالبذخ والإسراف، من أكثر العصور اهتماماً بمثل هذه الموائد، ولعل في ذلك شيء من السياسة إذ حرص الخلفاء الفاطميون على إرضاء الشعب وكسب وده وميله لهم حتى يمكنهم نشر مذهبهم الديني وهو المذهب الشيعي، وكانوا يجدون في مثل هذه المناسبات ما يمكنهم من بث بعض مبادئهم. وكان احتفال الفاطميين بشهر رمضان يبدأ من أوله ويستمر حتى آخره، فكانوا يعدون في غرة شهر رمضان سماتاً كبيراً يدعوون إليه الخاصة والعامة، ويستمر ذلك طوال الشهر، وكانت تلك الموائد يخصص لها مكان في قاعة الذهب في القصر الفاطمي، وهي القاعة التي أنشأها الخليفة الفاطمي العزيز بالله (٣٦٥ - ٣٨٦هـ / ٩٧٥ - ٩٩٦) ثم جدها الخليفة الفاطمي المستنصر بالله (٤٢٧ - ٤٨٧هـ / ١٠٣٦ - ١٠٩٤م)، وكانت تلك الموائد مثلاً للإخوة والمساواة بين الناس في

لشهر رمضان العديد من الفضائل التي يتميز بها على غيره من الشهور، ومن ذلك أنه شهر الكرم والجود، فالصيام يهذب النفوس ويسمو بالأرواح إلى مدارج الحضور والمراقبة لله، فيتسابق الصائمون إلى فعل كل ألوان الخير، ومساعدة الضعفاء، وإطعام المساكين تقرباً وطاعة لله عز وجل.

ولعل من أبرز المظاهر الرمضانية التي نجدها في كل مكان، موائد الإفطار التي تمتد هنا وهناك، ويجد فيها كل محتاج من ألوان الطعام والشراب، ما يسد جوعه ويغطي ظمأه، ويحرص الناس على إقامتها رغبة منهم في الحصول على الثواب واستمطار رحمة الله تعالى، فلقد قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) «إن الصائم تصلي عليه الملائكة إذا أكل عنده حتى يفرغوا» كما قال (صلى الله عليه وسلم) «من فطر صائماً كان له مثل أجره غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيئاً».

موائد الإفطار التي ارتبطت بشهر رمضان ظهرت منذ العصور الإسلامية الأولى وفي مختلف أرجاء العالم الإسلامي، وبلغ الحرص على إعدادها والاهتمام بها مبلغاً فائقاً، ففي العصر الطولوني في مصر (٢٥٧ - ٢٩٢هـ / ٨٦٨ - ٩٠٥م) كان الأغنياء والقادرون يعدون موائد إفطار للصائمين ويرسلون خدامهم إلى الأسواق والطرق العامة قبل أن يحين موعد الإفطار يبحثون عن الفقراء والمحتاجين ويصحبونهم إلى تلك الموائد في بيوت سادتهم، وكانوا يتوسلون إلى كل

بقلم : د. صلاح أحمد البهنسي

- مصر -



الإسلام، فكان يحضرها الأمراء والعلماء والفقهاء كما كان يدعى إليها المساكين والفقراء. وكان الاهتمام بإعداد هذه الموائد بالغاً كما كان يهتم بإضفاء الصفة الجمالية عليها فكانت الموائد تحلى بالزهور، وتنسق أصناف الطعام والشراب تنسيقاً جذاباً، فكانت تنسق على شكل قصور أو على هيئة تماثيل، وتحلى بألوان المكسرات وكانت الدر المنتثر.

ولم يقتصر الأمر على مائدة القصر بل إن الخليفة الفاطمي العزيز بالله (٣٦٥ - ٢٨٦هـ/ ٩٧٥ - ٩٩٦م) كان أول من عمل مائدة إفطار في جامع عمرو بن العاص في القسطة، وفي الجامع الأزهر بالقاهرة، وكانت تلك الموائد مباحة لكل من حضر للطعام دون فرق بين الناس، كما كانت تلك الموائد تبدأ منذ شهر رجب وتستمر خلال شهرى شعبان ورمضان، وقد ذكر المؤرخون أنه كان يعد بالقصر الفاطمي ألف ومائة قدر يومياً من مختلف ألوان الطعام لهذا الغرض.

وفي العصر الأيوبي (٥٦٧ - ٦٤٨هـ/ ١١٧١ - ١٢٥٠م) حيث زادت النزعات التصوفية بعد أن تم القضاء على آثار المذهب الشيعي وتدعيم المذهب السني، وعلى الرغم من ظروف الصروب مع

الصلبيين التي لازمت الدولة الأيوبية منذ نشأتها مما جعلها أبعد ما تكون عن الترف، إلا أن ذلك لا يعنى أنهم لم يحيوا الأعياد الدينية، بل إنهم اهتموا بأحيائها مع مراعاة الإقتصاد في ذلك، ولعل من أكثر ما ورد عن مظاهر الاحتفال بشهر رمضان في ذلك العصر، ما ذكر عن القائد البحري لؤلؤ الحاجب الذي استطاع الانتصار على الجيش الصليبي الذي هاجم ميناء عيذاب على البحر الأحمر سنة (٥٧٨هـ/ ١١٨١م)

وأحرق مراكز العدو وأسر جنودهم، وكان هؤلاء مع فرنج الشوك يريدون نبش قبر الرسول (صلى الله عليه وسلم) ونقل جسده الشريف إلى بلادهم، فكان هذا القائد يصنع ثلاثة مراكز كبيرة طول كل منها أحد عشر ذراعاً مملوءة طعاماً ويدخل الفقراء أفواجا وهو قائم وفي يده مغرفة يوزع عليهم الطعام.

وكان العصر المملوكي (٩٤٨ - ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠ - ١٥١٧م) فترة رخاء اقتصادي وانتعاش مادي ما

الأمر التي ارتبطت بشهر رمضان في ذلك العصر، وقد أفاض الرحالة في وصف مثل تلك الموائد التي نالت إعجابهم بما فيها من معان، من ذلك ما ذكره المستشرق الإنجليزي إدوارد لين فقال أن العادة جرت في شهر رمضان أن يوضع في غرفة الاستقبال في منازل الطبقتين العليا والوسطى قبل الغروب كرسى عليه صينية طعام وعليها صحاف (أطباق) عديدة تحوى أصنافاً مختلفة من الطعام، بالإضافة إلى المرطبات والمكسرات والبلح والتين، ويجلسون في انتظار الوافدين عليهم، وهى مباحة لأى شخص دونما دعوة أو تخصيص.

وكان الناس في مدن وقرى مصر يخصصون في كل حى من أحيائهم داراً واسعة تسمى «مضيقة» يجتمع فيها الناس للإفطار لا فرق بينهم.

ويبدو أن إعداد موائد الإفطار كان من الأمور الشائعة في العصر العثماني ولأن مثل هذا التقليد الذى يعبر عن المودة والتعاطف بين الناس، يعد من أسمى المشاعر الإنسانية، فلقد نال إعجاب وتقدير غير المسلمين وحذا حذوهم، فلقد ذكر المؤرخ الجبرتي في تاريخه عجائب الآثار في التراجم والأخبار ضمن حديثه عن أحداث سنة (١٢١٣هـ / ١٧٩٨م) أن الفرنسيين في القاهره كانوا يعدون موائد خلال شهر رمضان يدعون إليها فئات مختلفة من المصريين من الأعيان والمشايخ والتجار لتناول الإفطار والسحور، وكانوا يوكلون بإعداد الطعام وتقديمه الى طبائخين وفراشين من المسلمين تظميناً لخواطر المسلمين، كما كانوا يحرسون على أن يتمتعوا بهذا المظهر الفريد ومعاشيته بكل معانيه فكانوا يذهبون الى بيوت المسلمين ويحضرون عندهم هذه الموائد ويتناولون معهم الإفطار.

جعل الترف سمة مميزة لهذا العصر، كما امتازت الحياة الاجتماعية في ذلك العصر بالمبالغة في إحياء الأعياد والمناسبات الدينية والقومية، ومن هذه المناسبات شهر رمضان الذى كان يعتبر موسماً للبر والإحسان، فما أن تثبت رؤية هلال رمضان حتى تعد أحمال من السكر والحبوب واللحم توزع على الفقراء تحت إشراف المحتسب وناظر الدولة، كما تعد موائد لإفطار الفقراء والمساكين بأعداد كبيرة، فلقد ذكر المؤرخ الميرزى وهو من المؤرخين الذين عاشوا في العصر المملوكى (توفي سنة ٨٤٥هـ) أن عدد الفقراء الذين كانوا يفطرون في مطابخ السلطان المملوكى بيبرس (٦٥٨ - ٦٧٦هـ / ١٢٥٩ - ١٢٧٧م) خمسة آلاف فرد، كما كان السلطان المملوكى برقوق (٧٨٤ - ٨٠١هـ / ١٣٨٢ - ١٣٩٨م) يأمر بذبح خمس وعشرين بقرة يومياً وتطهى في المطابخ السلطانية وتوزع مع الخبز وغيره من ألوان الطعام على الفقراء والعاملين في المساجد والمتصوفة والطلاب في الخوانق والأربطة والمساجين في السجون حيث كان يعطى كل فرد رطلاً من اللحم وثلاثة أرغفة، كما خصص مطابخ يدعى إليها الفقراء والمحتاجون يومياً للإفطار.

وقد حذا السلطان المملوكى المؤيد شيخ (٨١٥ - ٨٢٤هـ / ١٤١٢ - ١٤٢١م) حذو السلطان الظاهر برقوق، ففي رمضان سنة (٨١٩هـ / ١٤١٦م) رتب عدة أبقار تذبح وتطبخ وتوزع على المنقطعين في الزوايا، وعلى الفقراء والمساكين، كما كان السلطان قايتباى (٨٧٢ - ٩٠١هـ / ١٧٦٨ - ١٤٩٦م) يحرص على إقامة موائد الإفطار في عدة أماكن في القاهرة.

ولم يكن العصر العثمانى (٩٢٣ - ١٢٢٠هـ / ١٥١٧ - ١٨٠٥م) يقل اهتماماً بشهر رمضان عما سبقه من العصور وكان إعداد موائد للإفطار من

وفي دار الخلافة في استانبول لابد أن يكون الإفطار مختلفاً، وفي حضرة السلطان العثماني يجب أن تتجلى كل مظاهر الجود والكرم، وكان من المألوف في العصر العثماني في استانبول إقامة موائد افطار يحضرها فئات مختلفة من الناس، يتناولون ما لذ وطاب من ألوان الطعام والحلوى والفاكهة والشراب، فإذا ما انتهت الناس من تناول طعام إفطارهم، وقد نال التعب من أستانهم حصل كل منهم على مبلغ من المال يطلق عليه «دیش كراسی» أي أجرة تعب الأسنان، وكانت هذه المبالغ تختلف باختلاف الأشخاص فتبدأ من ربع ليره وتصل إلى ألف ليره، ويستمر الحال كذلك في كل ليلة من ليالي رمضان، حتى إذا ما كانت الليلة الأخيرة أعدت مائدة حافلة عامرة بكل أصناف الطعام والشراب والحلوى، وبعد الإفطار يحصل كل فرد من الحاضرين من الموظفين والضباط والجنود على مبلغ يعادل راتبه الشهري.

وإن كانت هذه بعض صور الماضي بكل ما فيها من معان، فإن الحاضر لا يقل إشراقاً، وما زالت موائد الإفطار تمد في كل مكان في مصر وفي غيرها من بلدان العالم الإسلامي، ولا يكاد المرء يمر في حي من أحياء القاهرة أو أحد ميادينها إلا ويرى العديد من الموائد الممتدة في انتظار الصائمين، ولعل من أهم الميادين التي تنتشر بها هذه الموائد وتضم العديد من السراقات ميدان جامع الحسين، حين يتوافد الناس إلى هناك من مختلف الطبقات للاستمتاع بهذا المظهر الرمضاني الجميل، فتراهم جنباً إلى جنب لا فرق بينهم، وقد أدوا فرض ربهم، وتقربوا إليه بصومهم، وأفطروا على ما رزقهم، فذهب ظمأهم، وابتلت عروقهم، ودعا الله أن يثبت أجرهم.

ولم يكن الأمر قاصراً على مصر دون غيرها من بلدان العالم الإسلامي، بل وجد هذا التقليد في مختلف البلاد وفي مختلف العصور، ولن نقف طويلاً عند ذلك بل سنقتصر على بعض الأمثلة، فلقد ورد أنه كانت توجد في مدينة بغداد في العصر العباسي دور يطلق عليها دور المضيف وكانت عشرين داراً على جانبيين، وكل دار منها كانت تجهز في شهر رمضان في كل ليلة بخمسمائة قدح، وألف رطل من المطبخ الخاص والخبز والحلوى وغير ذلك من ألوان الطعام ويستمر ذلك طوال شهر رمضان وكانت تقد إليها أعداد كبيرة من الناس من مختلف الطبقات، فلقد ذكر أن أحد هذه الدور وهي دار الصاحب بن عباد كانت لا تخلو في كل ليلة من ليالي شهر رمضان من ألف مفطر.

ونذكر الرحالة ابن بطوطة في رحلته لدمشق أنه من فضائل أهلها أن الأمراء والقضاة والكبراء يدعون الفقراء للإفطار عندهم كل ليلة من ليالي شهر رمضان، وكانت موائد الإفطار من المظاهر الرمضانية التي شاعت في طرابلس في ليبيا، وكما تأثر الفرنسيون في مصر بهذا التقليد النبيل فلقد تأثر كذلك الأجانب في طرابلس بذلك وحرصوا على تنفيذه، فلقد ذكرت الأتسة «توللي» في كتابها عشرة أعوام في طرابلس وهي تتحدث عن أحوال هذا الشعب وعاداته في أواخر القرن ١٢هـ/ ١٨م أن قنصليات البلاد الأجنبية في طرابلس كانت تعد موائد إفطار يومية وتفتح القنصليات لكل من أراد أن يتناول طعام الإفطار.

ومن العادات القديمة التي كانت ومازالت متبعة في جمهوريات وسط آسيا الإسلامية أن تدعو كل أسرته مسلمة عشرين مسلماً أو يزيد لتناول الإفطار معها في رمضان ولو لمرة واحدة.



مواسم الخير

هنا تبثُّلُ فكر وانحسارُ هوى
للمغريات... وتومُّ بالعلل هاموا
هنا النفوسُ أفاقت فالزَّمانُ ضحى
قد أشرقت بضياء الله أقوام
قُلْ لِلَّذِينَ تَوَلَّوْا وَابْتَغُوا عِوَجًا
فِي طَاعَةِ اللَّهِ رُوءَادُ السَّيِّئَاتِ دَامُوا
وَيَغْفِرُ اللَّهُ لِلْعَاصِينَ مَا اقْتَرَفُوا
مِنَ الذُّنُوبِ، بِمَا صَلَّوْا وَمَا صَامُوا
يَارِبُ حَقِّقْ لَنَا بِالصَّوْمِ مَنْزِلَةً
كَيْلَا تَزِلَّ بِيَوْمِ الْعَرْضِ أَقْدَامُ
إِنِّي لِأَطْمَعُ بِـ (الرَّيَّانِ) أَسْلُكُهُ
بَابًا إِلَى الْخُلْدِ يَسْعَى فِيهِ صُومًا
وَيَفْرَحُ الْعَبْدُ فِي عَفْوٍ وَمَغْفِرَةٍ
وَالْعَقْدُ عِيدٌ لِمَنْ صَامُوا وَمَنْ قَامُوا
لِيَنْبُتَ بِهِ تَبْلُغُ الْأَمْجَادُ غَايَتُهَا
وَبُونُهُ هُزِمَتْ نَصَبٌ وَأَعْلَامُ

شعر : م . أحمد صدوق صافي
- الكويت -

يا موسم الخير جادت منك أنسامُ
هبةً لله للغافين إنعامُ
في موكب الحق سار الركبُ مُنتشياً
من حاد عنه فللساهين إعلامُ
شهرُ به تزخرُ النعماءُ وارفة
والخيرُ جمٌ فلا تحصيه أقلامُ
هل يدرك الناسُ ما في الصوم من أدب
أَمْ أَنَّهُ الْجُوعُ لِلْأَجْسَادِ إِيْلَامُ
صَوْمُ الْجَوَارِحِ قَبْلَ الصَّوْمِ نَشْدُهُ
مَنْ قَالَ زُورًا فَلَا جَاعُوا وَلَا صَامُوا
مَا بِالْوَاسُوسَةِ الشَّيْطَانِ قَدْ خَفَّتْ
فِي هَيْكَلِ الصَّوْمِ لَا شَرَكَ وَأَصْنَامُ
وَكُلُّ خَلْقٍ كَرِيمٍ فِي النَّفْسِ سَمَا
هَذِي شِمَائِلُهُ: عَفْوٌ وَإِكْرَامُ
يَا مَوْسِمَ الْخَيْرِ أَحْيَيْتَنِي بِشَائِرِهِ
وَجَدَّدَ الْعِزَّمَ نَفَحَاتِ وَأَنْسَامِ

بمناسبة حلول هذا الشهر المبارك
« شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن »

فإنَّ مجلة المنهل تسوق التهنئة موصولة الى مقام

خادم الحرمين الشريفين
الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود

وصاحب السمو الملكي
الأمير عبد الله بن عبد العزيز آل سعود
ولي العهد

ونائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني

وصاحب السمو الملكي
الأمير سلطان بن عبد العزيز آل سعود
النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء
ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام

والى الشعب السعودى الكريم
والى المسلمين كافة فى انحاء المعمورة

صوموا تصحوا



الصوم جنة

العبادات ذو طابع منفرد ومزايا خاصة خليفة بأن تجعله وقاية لصاحبه يحفظه من غوائل الانفصالات، والتسرع في الزلل ويصل به الى مراتب الرضوان ويكون بأمن من عذاب الله عز وجل يوم القيامة.

{ وأن تصوموا خير لكم }

يقول المولى تبارك وتعالى: {وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون} (البقرة/ ١٨٤)، فالصيام عبادة وثيقة الصلة بما يرمي إليه الإسلام من النواحي الاجتماعية البعيدة المدى، وعظم تدبيره للحياة، وإن وجدنا صلة الصيام بتلك الأهداف تأتي من ناحية لم يألفها الناس، فلا غرابة في هذا ما دمننا لا نهذف إلا إلى تعاليم القرآن الكريم، نقدتي بهديها، ونتخذها رائداً لنا في هذا الصد.

فمن حكمة الصيام: قمع النفس وتهذيبها بالجوع والظما كي تكون أبعد عن الخضوع لهواها، والانقياد لشهواتها، وفي ذلك يقول المصطفى [صلى الله عليه وسلم] «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم من العروق، فضيقوا مجاريه بالجوع والعطش».

وفي الصيام ترفع وتسام عن مشتبهات النفس، وتنزه عن الأهواء والغرائز والنزوات. وهذا من شأن الملائكة المقربين الذين لا شهوة عندهم ولا غريزة، فالصائم حينئذ شبيه بالملائكة.

والصيام خير معين للإنسان على تقوى المولى تبارك وتعالى والخشية منه، لأن النفس البشرية حين

لقد شرع المولى تبارك وتعالى لعباده أنواعاً من العبادات، ليلو بها مقدار استجابتهم لدعوته، وجعل في ممارستها منافع دنيوية، وفوزاً وفلاحاً في الدار الآخرة، وفي مقدمة ما شرعه المولى سبحانه: فريضة «الصوم»، كركن بارز وقاعدة أساسية من قواعد الإسلام الخمس التي بُني عليها صرحه العظيم.

ففي السنة الثانية من هجرة خاتم المرسلين [صلى الله عليه وسلم] وفي «المدينة المنورة» والليلتين خلتا من شهر شعبان فرض صوم شهر رمضان المبارك، ذلك الشهر الذي اختصه الله عز وجل بنزول القرآن الكريم، وليلة القدر التي هي خير من ألف شهر، وما كان فيه من انتصارات باهرة، ارتفع بها شأن الإسلام، وقوي جانبه.

ولقد جاءت فرضية الصوم متأخرة عن فرضية الصلاة والزكاة، وهذا من التدرج في تشريع العبادات، فقد بدأ الحق جل شأنه بفرض الصلاة، وهى في ظاهرها أعمال بدنية يسهل أداؤها جسدياً، ثم ثنى بالزكاة، وهى توجب تنازل الغني عن جزء يسير من ماله لأخيه الفقير، وأخر الصوم، لأنه حرمان للنفس من أخص رغباتها، وحرمان للجسم من أهم ضروراتها، وذلك يحتاج الى عزم وإرادة، ويقين، وصبر وتسلیم.

والتدرج في التشريع فيه رفق بالناس ورحمة بهم لأن صوم ثلاثين يوماً متتابعاً فيه تكليف شاق، قد لا تقبله النفس التي لا تقبل القيود بسهولة، فكان لابد من تهديد وتأييد ومبران وتهذيب، وهذا لم يغب عن الشارع الحكيم، فبدأ بتوجيهات وعبادات أعقبها صيام يوم واحد، هو يوم «عاشوراء» ليكون مرآة وتدريباً، حتى إذا فُرض شهر الصيام بتمامه لم يكن ذلك مفاجأة أو أمراً لم يسبق له نظير. والصوم بين

بقلم: د. ناول عبد الهادي

- المغرب -

تكف عن الأشياء المباحة خوفاً من الله عز وجل، ورجاء رحمته، وطعماً في ثوابه، فإن ذلك سيؤديها حتماً إلى تجنب الحرام.

والصيام يحثنا على شكر نعم الله عز وجل علينا، لأنه امتناع عن أشياء تعتبر من أكبر النعم وأعظمها، فحين نكف عنها بعضاً من الوقت ندرك حقيقة قيمتها وعظم شأنها، وهذا هو شأن الإنسان حين يفقد إحدى هذه النعم، فممتي عرف قدرها أدى حق شكرها لمن أسداها إليه وتكرم بها عليه.

في الصوم رافة ورحمة:

ومن مزايا الصيام أنه يغرس في قلوبنا الرافة بالفقراء، والرحمة بالاحتاجين، فمن تقرب إلى الله عز وجل ساعات معدودة رق قلبه للذين قدر عليهم أن يجوعوا معظم ساعاتهم وأيامهم لتعود به ذاكرته إلى قول المولى تبارك وتعالى: ﴿الَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ (المعارج/ ٢٤ - ٢٥)، وإلى حديث المصطفى (صلى الله عليه وسلم) الذي رواه عنه الصحابي الجليل سلمان الفارسي - رضي الله عنه -

خطبنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في آخر يوم من شعبان، قال: «يا أيها الناس: قد أظلم شهر عظيم مبارك، فيه ليلة خير من ألف شهر، جعل الله صيام نهاره فريضة وقيام ليله تطوعاً، من تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى سبعين فريضة، فيما سواه، ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه، وهو شهر الصبر، والصبر ثوابه الجنة، وشهر المواساة، وشهر يزداد فيه رزق المؤمن، من فطر فيه صائماً كان مغفرة له من ذنوبه، وعتقاً لرقبته من النار، وكان له مثل أجره غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيء» (الترمذي وقال: حسن صحيح).

قالوا: يا رسول الله، ليس كلنا يجد ما يفطر الصائم عليه... فقال (صلى الله عليه وسلم): «يعطي الله هذا الثواب من فطر صائماً على تمر، أو على شربة ماء، أو مذقة لبن... وهو شهر أوله رحمة، وأوسطه مغفرة، وآخره عتق من النار، من خفف عن مملوكه فيه غفر الله له وأعتقه من النار، واستكثروا فيه

من أربع خصال: خصلتين ترضون بهما ربكم، وخصلتين لا غناء بكم عنهما.

فأما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم: فشهادة أن لا إله إلا الله، وتستغفرونه... وأما الخصلتان اللتان لا غناء بكم عنهما: فتسألون الله الجنة وتعدون به من النار.

ومن سقى صائماً سقاه الله من حوضي شربة لا يظلم بعدها حتى يدخل الجنة».

الصيام تدريب

على مراقبة الله عز وجل:

إن في الصيام تدريباً على مراقبة المولى تبارك وتعالى في السر والعلانية، وهذا التدريب يكون أكثر وضوحاً في الصيام أكثر من أي عبادة من العبادات، فهو يغرس في نفس الصائم الصبر على طاعة الله عز وجل، فيصبر على أداء هذه العبادة السرية، التي جعلها الله جل شأنه أمانة في عنقه، ويتعلم قوة الإرادة، وضبط النفس التي تسرف طوال العام في مشتبهاتها، ففي كثير من الأحيان يكون الطعام والشراب في متناول يد الصائم وهو بعيد عن أنظار الناس، ومع ذلك يكف عن تناولهما، وما ذلك إلا خشية من الله عز وجل وعلمه بأنه يراه ويسمعه، ومطلع على أفعاله، وعلى سره وجهه، فيزداد إيمانه وخوفه، فلا يخاف غير الله عز وجل، فينال رحمته ورضاه بغضل تأثير هذه العبادة في نفسه، وهذا يفسر قول المولى تبارك وتعالى في الحديث القدسي: [كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي، وأنا أجزي به، يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي]، (متفق عليه).

وقد ذكر الإمام الغزالي في حكمة الصوم ونسبته إلى الله عز وجل معنيين:

أحدهما: أن الصوم كف وتر، وهو في نفسه سر ليس فيه عمل يشاهد وجميع أفعال الطاعات بمشهد من الخلق ومراى من أعينهم والصوم لا يراه إلا الله عز وجل، فإنه في الباطن بالصبر المجرد.

والآخر: أنه قهر لعدو الله عز وجل، فإن وسيلة الشيطان - لعنه الله - الشهوات، وإنما تقوى الشهوات

روحه، بتحكمه في عواطفه، وقهر غرائزه أمام سلطان عقله وروحه، كان إلى الملائكة أقرب.

الصوم يربي العقول والأرواح:

إن الصيام عبادة تلتقي في هدفها مع أهداف القرآن الكريم، في تربية العقول والأرواح وتنظيم الحياة، ويوحد بين المسلمين في أوقات الفراغ والعمل وأوقات الطعام والشراب، ويصبغهم جميعاً بصبغة الإنابة والرجوع إلى الله عز وجل، ويرطب ألسنتهم بالتسبيح والتقدس، ويعفها عن الإيذاء وعن التجريح ويسد على الناس باب التفكير فيه، ويملا قلوبهم بمحبة الله عز وجل، ومحبة الخير والبر، ويُنشئ قلوبهم على خلق الصبر الذي هو عدة الحياة وهكذا يريد الله عز وجل للإنسان أن يكون.

إننا في أمس الحاجة إلى أن نستمد من هذا الضوء الذي نسير على هديه ونسبح في أجواء النور الإلهي، وتتصفح كتاب الله عز وجل لنرى حكمته في فريضة الصيام، وهذا الضوء الذي نسير على هديه في فهم حكمة الصوم هو: نظرة القرآن الكريم للإنسان على أنه بشر يعيش على ظهر هذه الأرض.

إن هذا النور المضيء من هدي القرآن الكريم في بشرية الإنسان، وتعريفه بقدره حتى لا يتعدها إلا بالعمل والجهد، هذا النور يزخر بالمعاني أمام الناس ليتدبروا القرآن الكريم، ويدركوا تدبيره لشؤون الدنيا، وتهذيبه للنفس البشرية، يقول الله تبارك وتعالى: {أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها} (محمد/٢٤).

على ضوء هذا الهدى يجب علينا فهم القرآن الكريم وإدراك ما فيه، وأن ما عرف من سنن الحياة النفسية وقوانينها هو من توجيه القرآن الكريم، لأنه الأداة التي لا يمكن أن نصل بغيرها إلى حقائق مطمئنة عن معاني الحياة التي نعيشها، فهو الهادي إلى سواء السبيل وإلى الصراط المستقيم.

الصوم مدرسة أخلاقية:

لقد جعل المولى تبارك وتعالى من الصوم مدرسة أخلاقية، يتلقى فيها المسلمون المبادئ الهادية

بالأكل والشرب، ولذلك قال {صلى الله عليه وسلم} «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، فضيقوا مجاريه بالجوع»، وقال {صلى الله عليه وسلم} للسيدة عائشة رضي الله تعالى عنها: «داومي على قرع باب الجنة»، قالت: بماذا؟ قال: «بالجوع»، فإذا كان الصوم على الخصوص قمعاً للشيطان، وسداً لمسالكه، وتضييقاً لمجاريه، استحق التخصيص بالنسبة إلى الله عز وجل.

فمن هذه الجوانب وغيرها من مزايا الصيام كانت صلته بأهداف الإسلام العليا في تدبير الحياة، وإن المتأمل في هذه المزايا يلحح ناحيتين متضادتين:

*** الأولى:** تتخذ طابعاً مادياً، فمشتتهيات النفس التي يمتنع الصائم عنها هي من أهم ما تفضل به الله عز وجل علينا من الآلاء والنعم، وما أجدر الإنسان أن يدرك قيمتها، ويقوم بحق شكرها للمنع عز وجل، لأن النعم لا تترك قيمتها إلا بفقدها فالفريض هو الذي يدرك عظمة الصحة، والأعمى هو الذي يحس بجلال نعمة البصر، والإنسان لا يشعر بلذة الرخاء والرفاهية إلا إذا ذاق مرارة الحرمان والشدة، ولا يتذوق حلوة النصر إلا من صدم بقسوة الهزيمة.

وهذه هي طبيعة الأشياء وسنتها، فالأشياء لا تتميز إلا بأضدادها والصائم لا يعرف قيمة الطعام والشراب إلا عندما يذوق مرارة الجوع، وحرارة العطش فيدرك نعم الله عز وجل عليه، فيجني شكره على هذه النعم صادقاً خالصاً من القلب، ولعل ذلك هو الذي جعل المصطفى {صلى الله عليه وسلم} يرفض أن يصير بطحاً «مكة» له ذهباً ويقول: «لا يارب، ولكن أشبع يوماً وأجوع يوماً فإذا جعت تضرعت إليك وذكرك، وإذا شبعت شكرتك وحمدتك».

*** الثانية:** تتخذ طابعاً روحياً معنوياً ويتجلى ذلك في تشبيه الصائم بملائكة الرحمن المقربين، لأن الإنسان مكون من روح وجسد، فإذا استجاب الإنسان لغرائزه وانغمس في شهواته مهمل الجانب الروحي، كان إلى الحيوان الأعجم أقرب، أما إذا ارتقت نفسه وعلت روحه، وسما بتصرفاته إلى كل ما يحقق غداً

ويتعلمون الدروس النافعة.

وقد نجحت هذه المدرسة النجاح كله، وأتت ثمارها، وذلك عندما طبق المتعلمون ما تعلموه كله، وتعاونوا على البر والتقوى، ولم يتعاونوا على الإثم والعدوان، فكانوا في الأمة الإسلامية هداة مرشدين، يعلمون الناس مبادئ الإسلام نظرياً وعملياً، فيشع الإيمان من قلوبهم، وتنطق به حواسهم ومشاعرهم، إخلاصاً نادراً، وخلقا نقياً، واستقامة فائقة المثال، والحياة عندهم ليست غاية حتى تنفق في المتاع القليل الفاني، والعرض الهزيل الضئيل، فهم يزهّدون في الدنيا ويحترقون لذاتها، ولا يجرون وراء شهواتها، وغالباً ما كان بعضهم يظفر الأيام المتتابعة على التمر والماء فإن ظفر في يوم من الأيام باللبن إلى جانب التمر اعتبر ذلك فضلاً عظيماً، وأشفق على نفسه أن يسأله المولى تبارك وتعالى يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم عن هذا البر وهذا النعيم.

أثر الصوم في المجتمع:

للصوم أثر جليل وعظيم في المجتمع، بيد أن هذا الأثر لا يتم ولا يكتمل إلا إذا فهم المسلمون حقيقة الصوم وأدركوها كما فعل أسلافهم، فإذا فعلوا ذلك صار للصوم أثره الفعال في إصلاح المجتمع الإسلامي، وضمان نجاح تقدمه نحو الازدهار.

إننا لاحتاجون أشد الاحتياج إلى فهم واع لحكمة الصيام، بل وللعبادات كلها، وفي أشد الاحتياج - أيضاً - إلى تربية نفسية لتطبيق تشريعات الإسلام، حتى تؤتي ثمرتها المرجوة في تهذيب النفس وسمو السلوك الإنساني ورفقي المجتمع الإسلامي، ولما كانت النفس البشرية تواقة إلى معرفة ثمرة عملها، متلهفة إلى إدراك جزاء كفاحها وجهدها فقد أوضح المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ما أعد الله عز وجل للصائمين الذين جاهدوا أنفسهم وحاربوا نزواتهم فالجّموا أطماعهم، وخاضوا أشرس معركة أمام أهوائهم ونزعاتهم، فقال (صلى الله عليه وسلم) إن في الجنة باباً يقال له: الريان... يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه أحد غيرهم، يقال أين

الصائمون... فيقومون، لا يدخل منه أحد غيرهم، فإذا دخلوا أغلق، فلم يدخل منه أحد» (متفق عليه).

وبين لنا المصطفى (صلى الله عليه وسلم) في حديث آخر ما اختص به المولى تبارك وتعالى أمة الإسلام في شهر رمضان دون غيرها من الأمم، فيقول (صلى الله عليه وسلم) «أعطيت أمتي في شهر رمضان خمساً لم يعطهن نبي قبلي:

أما الأولى: فإنه إذا كان أول ليلة من شهر رمضان ينظر الله إليهم، ومن ينظر الله إليه لا يعذبه أبداً.

وأما الثانية: فإن الملائكة تستغفر لهم كل يوم وليلة.

وأما الثالثة: فإن الله يأمر جنته، يقول لها: «تريني لعبادي الصائمين، يوشك أن يستريحوا من تعب الدنيا إلى داري وكرامتي».

وأما الرابعة: فإن راتحة أفواههم حين يمسون تكون أطيب من ريح المسك.

وأما الخامسة: فإنه إذا كان آخر ليلة منه غفر الله لهم جميعاً، فإن العمال يعملون، فإذا فرغوا من أعمالهم وقوا أجورهم».

ولقد كان المصطفى (صلى الله عليه وسلم) يستقبل هذا الشهر الكريم بالفرح والسرور، ويهني أصحابه - رضوان الله تعالى عنهم أجمعين - بمقدمه، ويحثهم على الطاعة والإنابة، وكان (صلى الله عليه وسلم) يقول: «لو يعلم العباد ما في رمضان لتمنت أمتي أن تكون السنة كلها رمضان».

فلنكن كرماء أختياراً حتى يكرمنا الله عز وجل، ويضاعف لنا في الأجر والثوبة، ولنتذكر على الدوام قول المصطفى (صلى الله عليه وسلم) أيما مؤمن أطمع مؤمناً على جوع أطمعه الله من ثمار الجنة، وأيما مؤمن سقى مؤمناً على عطش سقاه الله من الرحيق المختوم، وأيما مؤمن كسا مؤمناً على عري كساه الله من حلل الجنة».

اللهم وفقنا إلى ما تحبه وترضاه وطهر قلوبنا، وأرشدنا إلى طريق الخير، واهدنا سواء السبيل، وحقق لنا كل ما نصبوا إليه ونرجوه، وانصرنا فانت خير الناصرين، وأنت نعم المولى ونعم النصير.

المريض في رمضان هل يمكنه الصيام؟



الأمراض، كما أن مؤتمراً آخر عقد عام ١٩٩٤ في الرباط لهذا الغرض، وسنستعرض بعضاً من حديث الآراء بشأن الصيام.

الأمراض الهضمية في رمضان:

يعتبر شهر رمضان بحق شهر إجازة للجهاز الهضمي، ولكن المؤسف حقاً أن يتخم الكثير منا نفسه عند الإفطار بشتي فنون الطعام والشراب، فيحول سعادة المعدة والأمعاء إلى مشقة وعناء.

وقد يستطيع المصاب بالقرحة المعديّة الصيام إذا كان يتناول أدويته بانتظام ولا يشكو من أية أعراض ولكن على مريض القرحة الإفطار إن كان أصيب بقرحة حادة، وهو حينئذ يشكو من الألم عند الجوع، أو ألم يوقظه من النوم، أو في حال حدوث انتكاسة حادة في القرحة المزمنة، وكذلك الأمر عند الذين تستمر أعراض القرحة عندهم رغم تناول العلاج بانتظام.

كما يوصى بالإفطار عند حدوث مضاعفات

بقلم : د. حسان شمسي باشا

- جدة -

مع إطلالة كل رمضان تتكاثر الأسئلة من المرضى، أو من ذويهم، فيما إذا كان المريض يستطيع الصوم أم لا، والبعض يقع فريسة أوهام ينسجها لهم أناس لا دراية لهم بالطب ولا خبرة، بل لعل البعض يسمع قولاً من جاهل، فيصوم أو يفطر دون الرجوع إلى طبيب، ولا شك أن مثل تلك القضايا تحتاج إلى خبرة طبيب مسلم ثقة، يقدر شدة المرض الذي يعيق المسلم عن أداء عبادته.

ولابد من الاسترشاد برأي طبيب مسلم مختص يعطي مريضه النصيحة المثلى والرأي الرشيد.

وهناك من الأمراض ما تتحسن في شهر الصيام، ومنها ما يصوم بها المريض دون أدنى تأثير. ولكن هناك أمراضاً تزداد سوءاً بالصيام. وقد رخص الله تعالى الفطر للمريض مرضاً شديداً، يزيده الصوم سوءاً أو يخشى تأخر شفائه. فإذا أخبر الطبيب المسلم المختص مريضه بأن مرضه يسوء إن هو صام وجب على المريض أن يفطر.

ولابد للطبيب من أن يسترشد بأحدث الدراسات العلمية التي أجريت على الصائمين في شهر رمضان. فقد عقد قبل سنوات في الرياض مؤتمر خصص لدراسة تأثير الصيام على عدد من

ولكن ينبغي دوماً استشارة الطبيب - كما في كل الأمراض الأخرى - لتقرير من يصوم ومن لا يصوم. وارتفاع ضغط الدم من أكثر أمراض القلب انتشاراً، ويستطيع عادة مريض ارتفاع ضغط الدم الصيام، شريطة أن يتناول دواءً بانتظام، ولحسن الحظ، فإن معظم أدوية الضغط تعطى مرة أو مرتين في اليوم، فيتناولها المريض وقت السحور وعند الإفطار.

وأما المصاب بفشل (هبوط) القلب الحاد فينصح بعدم الصيام لأنه بحاجة إلى تناول مدرات بولية وأدوية أخرى مقوية لعضلة القلب، وكثيراً ما يحتاج المريض في مثل تلك الأحوال إلى دخول المستشفى للعلاج.

أما إذا تحسنت حالته، واستقر وضعه وكان لا يتناول سوى جرعات صغيرة من المدرات البولية فقد يمكنه الصيام، والمصابون بالذبحة الصدرية المستقرة

يمكنهم الصيام عادة شريطة تناول الدواء بانتظام، ومعظم أدوية الذبحة الصدرية تعطى مرة أو مرتين في اليوم. أما الذين

القرحة كالنزيف الهضمي وغيره. وكثير من الناس من يشكو «عسر الهضم» وهي كلمة شائعة تشمل عدداً من الأعراض التي تعقب تناول الطعام، وتشمل الألم البطني وغازات البطن، والتجشؤ والغثيان، وحس عدم ارتياح في أعلى البطن، وخاصة عقب تناول وجبة كبيرة، أو بعد تناولها بسرعة، أو عقب تناول طعام غني بالدهن أو البهارات.

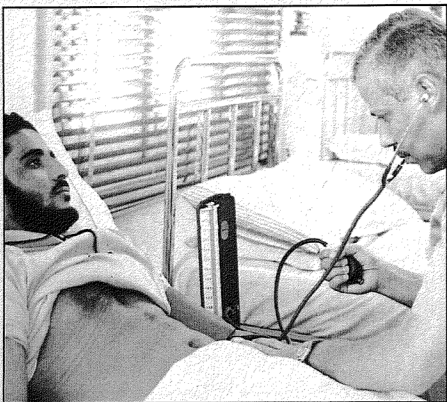
وعادة ما تتحسن أعراض هؤلاء بصيام رمضان شريطة ألا تكون لديهم قرحة حادة في المعدة، أو التهاب في المريء، وشريطة تجنب الإفراط في تناول الطعام عند الإفطار.

وأما من أصيب بالإسهال وهو صائم، فينصح عادة بالإفطار خصوصاً إذا كان الإسهال شديداً، لأن الصائم لا يستطيع تعويض ما ضيعه الجسم من

سوائل وأملح بسبب الإسهال.

أمراض القلب في شهر الصيام:

كثير من مرضى القلب من يصوم في رمضان دون مشاكل تذكر.



ولكن ينبغي الإفطار قطعاً عند حدوث نوبة ربو شديدة، حيث كثيراً ما يحتاج المريض إلى دخول المستشفى لتلقي العلاج المكثف لها.

الأمراض الكلوية .. والصيام:

لابد لمريض الكلى من استشارة طبية قبل دخول رمضان للتحقق من إمكانية صومه أم لا . فالصيام قد يكون عبئاً على المريض المصاب بالفشل الكلوي، وخصوصاً في المناطق الحارة، مما قد يؤدي الى ارتفاع نسبة البولة الدموية والكرياتينين في الدم . ولهذا ينصح مرضى الفشل الكلوي المزمن بعدم الصوم .

ويستحسن في مرضى الحصيات الكلوية بالذات الامتناع عن الصيام في الأيام شديدة الحرارة، حيث تقل كمية البول بدرجة ملحوظة، وعموماً ينصح مرضى الحصيات بوجوب تناول كمية وافرة من السوائل ما بين الإفطار والسحور، وتجنب تعرضهم للمجهود المضني أثناء النهار أو للحر الشديد .

مرض السكر .. ورمضان:

يقسم مرضى السكر الى فئتين: فئة تستطيع الصوم، وأخرى تمنع من الصوم .
أ - مريض السكر الذي يستطيع الصوم: ويشمل ذلك المصابين بمرض السكر الكهلي الذي يعالج بالحمية الغذائية والأقراص الخافضة لسكر الدم .

يحتاجون إلى تناول حبوب الذبحة تحت اللسان أثناء النهار فلا ينصحون بالصيام، كما لا ينصح مرضى جلطة القلب في الأسابيع الستة الأولى بالصيام عادة، وهناك مرضى مصابون بأمراض صمامات القلب، فإذا كانت حالة المريض مستقرة، ولا يشكو من أية أعراض أمكنه الصوم .

الأمراض الصدرية

في رمضان:

كثيراً ما تأتي أمراض الصدر فجأة على شكل التهاب في القصبات أو التهاب في الرئة، فإذا كانت حالة التهاب القصبات بسيطة، فإن المريض يمكنه تناول علاجه ما بين الإفطار والسحور، إلا إذا احتاج لمضاد حيوي يعطى كل ٦ - ٨ ساعات، أو كانت الحالة شديدة فينصح بالإفطار حتى يشفى من الالتهاب .

أما مرضى الربو القصبي فقد لا يحتاجون إلى تناول أدوية عن طريق الفم أثناء النهار إن كانت حالتهم مستقرة . ولكن قد يحتاج مريض الربو إلى تناول بختين أو أكثر من بخاخ الربو المعروف عند الإحساس بضيق في الصدر . ويعود بعدها المريض إلى ممارسة حياته اليومية بشكل طبيعي . ولا ينبغي للمريض عند حدوث الأزمة من متابعة الصيام بل عليه تناول البخاخ فوراً . ومن العلماء الأفاضل من أفتى بأن هذه البخاخات لا تفطر .

ومع ذلك لا يمكن إطلاق قول حاسم على كل الحوامل والمرضعات بحيث نقول إن هناك حاملاً أو مرضعاً تستطيع الصيام، وأخرى لا تقدر عليه. وإذا ما شعرت الحامل أو المرضع بصداً شديداً أو إجهاد عام، أو عدم القدرة على القيام بأي نشاط فعليها استشارة الطبيب فقد يكون هناك أمر غير طبيعي. وتنصح الحامل بالإفطار إن أصيبت بالقيء المصاحب للحمل وخاصة خلال الأشهر الثلاثة الأولى، أو بالتسمم الحمل، أو في حالات هبوط ضغط الدم أو سكر الدم.

والخلاصة فإن موضوع صيام الحامل في شهر رمضان يعتمد على حالة الحامل والجنين قبل دخول شهر رمضان، فإن كانت كافة المؤشرات والفحوص السريري تشير إلى تمام صحة الحامل والجنين فإن الطبيب على الأغلب سيشير بالاستمرار في الصيام. ويؤكد تقرير ذلك إلى الطبيبة أو الطبيب الأخصائي المسلم.

وخلاصة القول في موضوع الصيام أن تقرير إمكانية الصيام أو عدمه ليس بالأمر السهل، ولا يمكن تقرير قواعد عامة لجميع المرضى، بل ينبغي بحث كل مريض على حدة، ولا يتيسر ذلك إلا للطبيب المسلم المختص، فهو يملك ما يكفي من المعطيات التي تمكنه من نصح مريضه بإمكانية الصوم أو عدمه. والله الهادي إلى سواء السبيل.

ويتناول المريض القرص الخافض لسكر الدم بعد الإفطار. وأما إن كان يتناول حبتين يومياً مثلاً، فيعطى حبة بعد الإفطار، ونصف حبة قبل السحور.

ب- مريض السكر الذي لا يستطيع الصوم: وتشمل هذه الفئة مريض السكر الشبابي، والمصاب بمرض السكر غير المستقر والحامل المصابة بالسكري، ومريض السكر الذي يحقق بكمية كبيرة من الأنسولين، أو الذين يتعاطون الأنسولين مرتين يومياً.

وينبغي التنبيه على وجوب قطع الصيام فوراً عند حدوث أعراض نقص السكر مهما كان قرب موعد المغرب. كما ينصح هؤلاء المرضى بتقسيم وجباتهم إلى ثلاثة أجزاء متساوية: الأول عند الإفطار، والثاني بعد صلاة التراويح، والثالث عند السحور. ويوصى بتأخير السحور إن أمكن. كما ينبغي التحذير من الإفراط في الطعام، وخاصة الحلويات أو السوائل المحلاة وما شابه.

الحامل والمرضع

في شهر الصيام:

أوضحت الدراسات العلمية الحديثة أن صيام رمضان يؤدي إلى تغيرات فسيولوجية وكيميائية عند الحامل، ولكنها لا تؤثر على الحامل السليمة البدن، والتي لا تشكو من أية أعراض عضوية.



النزعة الرمضانية في الشعر السعودي الحديث

ومن الملاحظ أن الشعر الرمضاني توحدت فيه النظرة الموضوعية وجوهر المضمون وإن اختلفت أساليب التعبير حسب ما يتمتع به الشعراء من توجه لغوي تجاه الرؤية الخاصة لكل منهم، ومن هنا لا يختلف الشعراء في نظرتهم إلى الخير الرمضاني وكأن الكون كله يتزين ويتحلى بأثمن أنواع الزينة بيد العباد من تألف ومحبة وبركة وورق ووجوه تعلوها البسمة الصادقة.

وهو شاعرنا أحمد سالم باعطب يهله شعراً
ويطربنا قصيداً لمقدم أعظم الشهور وسيدها:

رمضان بالחסنات ككفك تزخر
والكون في لآلئ حسبك مبحر
يا موكباً أعلامه .. قُسيّة
تتزين النيا له .. تتعطر
أقبلت رحمتي فالسما مشاعل
والأرض فجر من جيبك مسفر
هتفت لمقدمك النفوس وأسمرت
من حوينا بدموعها .. تستغفر
رمضان بالقرآن ليك عاطر
ويطيب يومك بالدعاء ويزهر

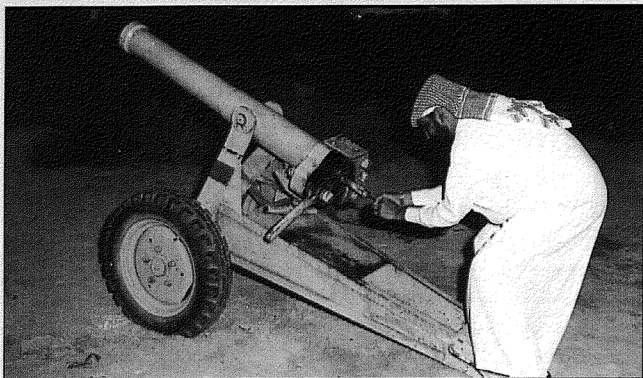
بقلم : عثمان اسماعيل محمد

- مصر -

من حق معشر الشعر في المملكة العربية السعودية أن تتوجه عواطفهم وتجود قريحتهم بأعذب أساليب الشعر نظراً لما يعيشونه من روحانيات لها طابعها الخاص في هذا الشهر الكريم، خاصة وأن الله عز وجل أكرم هذه البلاد بأطهر الأماكن على وجه البسيطة: المسجد الحرام بمكة المكرمة والحرم النبوي بالمدينة المنورة.

ففي هذه الأماكن يفوح عبق التاريخ الإسلامي ويطل علينا بوقائعه المختلفة وسيرته العطرة، فلا نرى شيئاً أماناً سوى تخيل رحلة الرسول [صلى الله عليه وسلم] وصحابته واتباعه في نشر الدين الإسلامي الحنيف، هذه الرحلة التي مداها الزمنى تعدى الألف وأربعمائة عام نراها في غمضة طرف على أرض هذا البلد الآمن مكة المكرمة.

ومن هنا نقراً أبداع الشعر وأروع الأساليب في نفحات هذا الشهر الكريم حيث تعود الشعراء على هذه النزعة اللاشعورية التي تتوقد من خلالها العواطف وتتطلق الأساليب مؤثرة جياشة في نفس القارئ المتنوق الواعي، والنزعة الرمضانية في شعر أهل الجزيرة لها مضمونها الموضوعي ودلالاتها الأسلوبية ومصادرها الشعورية التي تتفق وقيمة هذه الأيام الطاهرة، هذه الأيام التي أولها رحمة وأوسطها مغفرة وآخرها عتق من النار.



فأسلوبية الشاعر ودقة تصويره جعلتنا وكأننا أمام لوحة فنان يُسخر ريشته كيفما يشاء، وهذا ما يطلق عليه النقاد «صدق العاطفة» فالكون والشعر والشرق والكواكب كلها دلائل البهجة لمقدم رمضان المعظم سيد الشهور وأجلها والمسلمون ينتظرون هذا الشهر، وهم في ظمأً أملاً في أن تروى أرواحهم من منهل الغفران والتسامح والتصالح مع الله في هذه الأيام والليالي المباركة التي يصقلها الصيام بما فيه من عبادة وتذلل وخضوع لرب العالمين، فبشرى قدومه يجلب معه الخير والبركة والهدى وهذا ما نلمسه مع أبيات الشاعر أحمد عبد الهادي:

رمضان وأفي الخلق بالخيرات
فاستبشروا باليمن والبركات
واستقبلوا شهر الهدى بحفاوة
وخنوه بالأحضان والقبلات
فالله جلُّ جلاله قد حَفَّه
بالنور والإيمان والآيات

إنه عطاء رباني يفوح بين أفراده عبق الإيمان وتحيط به الملائكة مهالين ومكبرين لهذه الألف الخاشعة الذليلة التي ترتفع إلى السماء مليبة تارة وتطلب الغفران تارة أخرى، فالفخر كل الفخر للمسلم أن تسيل دموعه وهو يطلب أن يغتسل من ذنوبه، إنه ليألي القرآن والدعاء التي لا يملُّ منها القلب ولا تشبع منها النفس.

هذه الصورة الحية الواقعية التي يبهجنا بها الشاعر والتي تجعلنا نشاركه فرحة قدوم شهر الخير هي نفس الصورة التي يرسمها لنا أيضاً شاعرنا حسين عرب:

بشرى العوالم أنت يا رمضان
هتفت بك الأرجاء والأكوان
والشعر والأفكار وهي عتية
ينتابها لجلالك الإذعان
لك في السماء كواكب وضاعة
ولك في النفوس المؤمنات مكان

سبحانه فهو الذي قد خصه

نون الشهور بعاطر النفحات

وهكذا أتقن الشعراء في رسم صورة حية يعيشها المسلم بجوارحه ويشاركه فيها قلبه المفعم بحب العبادة وطيب الإيمان، وإن تباينت الأساليب فكان التدنوق واحداً ومؤثراً في ذاتية المشاعر الإنسانية على سواء.

ويحاول الشعراء أيضاً أن يشاركونا لحظاتهم الروحانية في شعرهم العذب، فنهيم معهم على أنفسنا في عبق النور الروحاني تارة ونستعذب أساليبهم تارة أخرى، ومنها نستشف القيمة الإنسانية لسيد الشهور وأعظمها في تربية النفس الإنسانية وبناء الشخصية السليمة كما يراها الإسلام هذا الدين القيم، ولكن نرى أن الشعر تغلفه الروحانيات الطاهرة فلنقرأ لشاعرنا محمد حسن فقي أبياته:

وتطلعت نحو السماء نواظر

لهلال شهر نضارة ورواء

تهفو إليه، وفي القلوب وفي النهى

شوق لمقسمه، وحسن رجاء

لم لا نتيه مع الهيام ونزدهى

بجلال أيام ووحى سماء

فلقد كرمت من السماء بما أتى

من وحيتها .. وشرفت بالإطراء

سُدَّتْ الشهور فأتت سيد عامها

بل أنت سيد دهرها المتناهي

ويتفق هذا المحور الروحاني مع رؤية شاعرنا

محمد بن علي السنوسي في تأمله الذاتي لشهر
الغفران والأمل المرتقب فيقول:

رمضان يا أمل النفوس

الظامنات الى السلام

يا شهر، بل يا نهر ينهل

من عنونته .. الأنام

طاقت بك الأرواح سباحة

كأسراب الحمام

بيض يجللها التقى

نوراً يصقلها الصيام

فهذا ما يزيد قناعتنا واقتناعنا بأن أيام رمضان فرصة وأمل كل إنسان بأن يرزقه الله الرحمة في غفران الذنوب، فالصوم نفحة إلهية ورحمة ربانية على عباد الله ليصقلوا أنفسهم ويجعلوها لامعة ناصعة البياض كيوم ميلادهم، إنه الشهر الكريم الذي تتنوع فيه أساليب التقرب لرب العالمين من صيام وصلاة وتعبّد وتهجد وتأمل وإخلاص للمولى عز وجل.

وأكثر ما يتحلى به هذا الشهر الكريم وتزين به تلك الليالي العطرة هي «ليلة القدر» التي هي خير من ألف شهر وتجعل العبد المسلم في أصرار على مواصلة ألوان التقرب الى خالقه تضرعاً وتذلاً وخضوعاً آملاً فيما يتمناه وهذا ما نراه متمثلاً في مظاهر النزعة الايمانية لدى شاعرنا أحمد عبد الهادي حين يتتابه شعور بالرهبة لهذه الليلة لها هو يقول:

شهر إذا سميته بصفاته

سجّلت شهر الصوم والصلوات

وتحفظه الذاكرة.

رمضان إن الباشين تطلعوا
أملأ إليك فُجْد علي اليُساء
بالخير تشملهم به... وببسمه
يشتاقيها العانون للنساء
الله منْ فكننت من الآله
فاشكره بالنعمى على الآلاء

* غير أن هذه النزعة الرمضانية التى سلك
محورها الشعراء وراحوا يبدعون فيها عاطفة
وأسلوباً وخيالاً جعلتهم يتذكرون أن هذه الليالى
العطرة هى ليالى البطولات والمعارك والانتصارات،
ففى هذه الأيام وبالتحديد فى يوم الجمعة السابع
عشر من هذا الشهر فى السنة الثانية من الهجرة
كانت معركة بدر الكبرى التى أعز الله تعالى فيها
المسلمين ونصرهم ومنْ عليهم بالنصر المؤزر وهذا ما
نقرأه فى أبيات الشاعر أحمد سالم باعطب:

كم للبطولة فيك من إشراقة
بالنصر تسحب ذيلها تتبخترُ
فجرت فى بدر ينابيع الغدا
كثبانها مسك يضوع وعنبرُ
وحملت من حطين أروع لوحه
مازلت ذا شغف بها تستائر

* هذه رحلة الروحانيات الرمضانية فى شعر
أهل الجزيرة أرباب الأسلوب البديع والعاطفة
المتوقدة، وهذه هى النزعة الرمضانية كما جادت بها
قريحتهم ولغتهم.

بل شهر ربى فيه قد نزل الهدى
فى ليلة جُلّت عن السنوات
فيها الملائكة الكرام لقدرها
يتنزلون بسابع الرحمات

وفى هذا المقام يصور لنا شاعرنا محمد حسن
فقى روعة هذه الليلة وهى تقع فى أجواء الصيام
والتضرع والخشوع ونقرأ له قوله:

أضرع إليه لعله من فضله
يهدي ويشفى من عضال الداء
فلقد حظيت بصوم يوم قانت
وعبادة فى ليلة... غراء

* وتستمر رحلة الروحانيات فى ذاتية شعراء
الجزيرة، بل ويحاولون أن يوظفوا أساليبهم الموروثة
حتى تخدم صياغة الكلمة والصورة الشعرية بين
طيات قصائدهم خاصة موروث المكان الذى تشع منه
الروحانيات مثل «مكة» التى ينيرها وينير الكون كله
البيت المعمور، وفى هذا نقرأ لشاعرنا محمد حسن
فقى يذكرنا بمكة مهبط الوحي والمدينة مستقر
الرسول عليه الصلاة والسلام.

رمضان هذى مكة وبطاحها
تشدو بذكرى طيبة وقباء
فتصبح للتطريب منه وتنتشى
نجد بغير تواجد ويكاء

* وتنتشر ظاهرة الرحمة الآدمية بين بنى البشر
متمثلة فى الصدقات الظاهرة منها والباطنة حول
الحرم المكى وبداخله فى منظر يؤرخه التاريخ

ترانيم رمضان



الجموع جنة

نحي يدك .. وفي يديه دعيني

الصدق فيه .. من الهوى يحميني

يا نفسُ حسبك ما فعلت بمؤمن

والأم أنت خطيئتي وبقيني؟

مضت الشهور عليّ والغم يرتوي

بالوهم واليدُ تحتسى بالطين

والبعد عنه، عن الصفاء يردني

لربّاء، فحيح جحورها يُدْميني

وأنا عن الألق الطهور مغيبٌ

أكبو وأنهض في دروب ظنوني

مضت الشهور عليّ منذ رحيله

وهوأي يبحر خلف ما يُغويني

وضراوة الآمال تخترق المدي

بمطيتي .. ومطيتي تشقيني

رمضان يا أمل الحب .. وأنت لي

أملًا يُجَمِّلُ بالعطاء سنيني

أبعد خطاي عن المروق .. ولا تدع

شططى يجور على مدار سفيني

ها أنت تشرق بالهدى لأحبتى

وتعزّز دنياهم باكرم دين

صاموا نهارك مؤمنين، وشدهم

لقيامهم بالليل ألف حنين

واستغفروا هم الغناة، وأرخصوا

أموالهم .. جابوا بكل ثمين

وأنا المحب .. إليك أحمل همتي

وأور .. مصباح الهدى ييميني

لكن خوفي أن يرد مطيتي

خلل .. يناقض مسلكي وبقيني

رمضان .. يا أملا يلوحُ ويا مدى

للحب .. يأمل في الغد المؤمن

للشاعر : يس الفيل

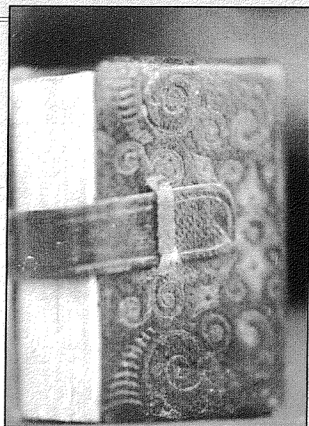
- مصر -



أيقظ نياماً .. يستفز رماحهم
 عنثُ .. يكاد بلؤمهِ يطوئني
 قالوا: ورثت المجد .. ليت مورثي
 لم يُبق لي إرثاً يثير شجوني
 هذى هوام الأرض ترتع في دمي
 وعواصف الباغي تدك حصوني
 والمسلمون على ضفاف مودتي
 فرقُ .. تمد يدي لسفح جنوني
 ويكاد يدفع بي خلاف أحبتي
 لغد .. تنوء به مرافئ ديني
 ويكاد - رغم الحب - يصرعني غدى
 وأنا المؤمل في غد يحميني

إن الضياع على يدك يشدني
 لِسْنِي .. يجمل بالعطاء سنيني
 مازلت يا رمضان توقظ فطرتي
 وتبرئني لبراءة التكوين
 هلا أعدت لي انطلاقاً صحتي
 لأعود ممتشقا سهام حنيني؟
 إني أنوب .. وقد أتيت - صباة
 يا رحلة الأمل التي تحيييني

رمضان عد أملا يوم .. وفرحة
 تلتف بي .. ومن الضياع تقيني
 أنت الذي بك أستمد حقيقة
 ضاعفت .. منذ بها رحلت - أنيني
 ها أنت في ثقة تعود .. مؤكداً
 صدقي، وصدق محبتي ويقيني



صورة مكبرة للمصحف النادر بنسبة ٤٠٠ ٪

سر أصغر مصحف في العالم

كان والدي يرحمه الله إماماً وخطيباً ومتفقهاً في الدين وكان له الكثير من محبيه الذين يتحلقون حوله أوقاتاً طويلة، يتلقون منه ما يفيدهم في أمور دينهم ودنياهم كما كان - يرحمه الله - كثير التنقل بين المحافظات والبلدان تلبية لرغبة محبيه من المسلمين في هذه البلدان.

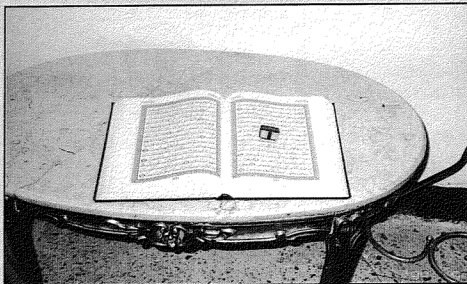
وفي إحدى جولاته أهده أحد محبيه مصحفاً صغيراً جداً (٢٥ سم طولاً × ١٥ سم عرضاً × ١ سم سمكاً) وعلمت من والدي أن الذي أهده هذا

هذا مصحف نادر صغير الحجم جداً، تمت مراجعته وتصحيحه بمعرفة متخصصين تحت إشراف مشيخة الأزهر الجليلية واعتماد صاحب الفضيلة شيخ الجامع الأزهر منذ أكثر من ثلاثة وعشرين عاماً.

عندما علمت بوجود هذا المصحف النادر لدى مواطن مصري بمدينة المنصورة بجمهورية مصر العربية.. كان علينا أن نتابع هذا الموضوع من بدايته.

بدأنا بقاء مع السيدة بشرى عبد العال محمد التي روت لنا قصة هذا المصحف النادر.. حيث قالت:

اعداد وتصوير :
يعقوب السيد حسنين



المصحف النادر يشغل مساحة ثلاث كلمات فقط من المصحف العادي



المصحف النادر بين أصبعي الاخ عمار

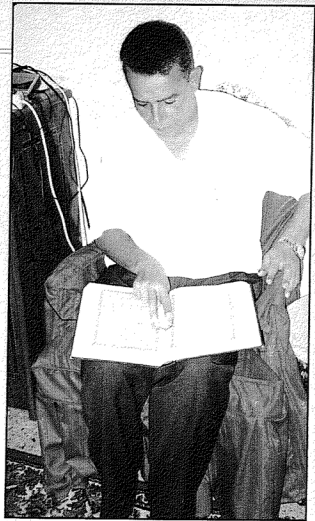
موضوع الاستطلاع، فبادرت على الفور بالسؤال عن المصحف، ولماذا لم يحضره معه - كما سبق واتفقنا - فابتسم الرجل بوقار وقال «لا تقلق فانه معي» ثم مد

المصحف هو شيخ صالح طيب، وقال له «احتفظ بهذا المصحف فان له أربعة أشباه فقط موزعة بين تركيا وباكستان ومصر... لكن هذا المصحف بالذات فيه كنز لمن يحمله، وبه أيضا سر قد تكتشفه في يوم من الأيام».

ولما توفي والذي احتفظت بهذا المصحف وقمت بتغليفه ليظل على صورته الجميلة... إلى أن كان يوم زواج ابنتي من رجل فاضل توسمت فيه التقوى وحسن الخلق فقررت أن أهديه هذا المصحف النادر، وفعلا أهديته إياه، وعرفته بما قيل حول المصحف من كونه فيه كنز لمن يكتنيه، وأن به سرأ لم يكتشف بعد، فأخذه فرحاً، وحرص عليه حرصاً شديداً إلى حد أنه أودعه أحد البنوك للحفاظ عليه.

وسألناها عن زوج الابنة الذي في حوزته المصحف النادر قالت: إنه الأستاذ/ مصطفى عبد الحميد عمار، وهو موظف كبير بوزارة الداخلية - وأرشدتنا عن كيفية الاتصال به.

وقد رتبنا معه لقاء - بعد أن طلبنا منه إحضار المصحف الصغير لتصويره... والتقيناه في الموعد المحدد... وعند لقائي به لم أر معه المصحف



المصحف بين هامشي المصحف العادي

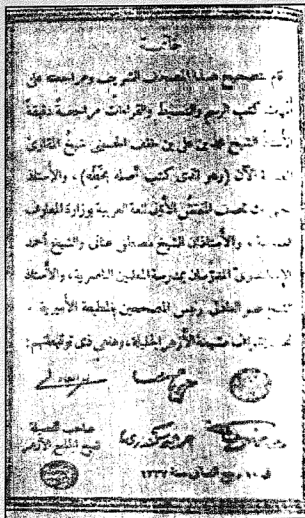
يده في جيبه وأخرج مغلفا صغيرا، وفتحه بحرص وعناية شديدين، وأخرج المصحف... وكذلك أحضر معه عدسة مكبرة... و...

وبنفس الحرص أخذت المصحف في يدي، وهو فعلا تحفة نادرة طباعة وتغليفاً علاوة على جودة الورق. وقد قمت بوضع هذا المصحف الصغير جدا على أحد المصاحف ذات الحجم العادي فلم يشغل من الأخير إلا مساحة ثلاث كلمات - وقد بدا المصحف العادي إلى جوار المصحف الصغير عملاقاً.

ويعد أن قمت بالتصوير سألت ضيفنا الأستاذ/ مصطفى عمار عن إحساسه بامتلاك هذا المصحف النادر، وطلبت منه أن يحكي لنا قصته... فقال:

اعتقد أن السيدة بشرى قد تحدثت عن كيفية وصول هذا المصحف النفيس لي، وقد كان ذلك ثاني يوم زواجي من ابنتها «في الصباحية» وقد شعرت بسعادة غامرة بهذه الهدية التي لا تقدر بثمن، وعندما أخبرتني أن به سرا كنت أسأل نفسي يا ترى ما هو سر هذا المصحف؟ وهل سيوفقني الله - سبحانه وتعالى - لاكتشافه؟ - ومع الوقت أحسست أن كل حياتي العملية والمعيشية أصبحت تسير في هدوء وصفاء - والحمد لله رب العالمين - ففكرت أن ذلك قد يكون هو السر المقصود... وبعد مرور ثماني سنوات ونصف السنة من حيازتي لهذا المصحف وفي أحد الأيام أحضرته واحضرت «العدسة المكبرة» وأخذت اتفحص المصحف فلاحظت وجود ورقة داخل الغلاف الجلد للمصحف فانتزعتها برفق من الغلاف وقرأت ما فيها «بالعدسة المكبرة» فإذا هي ورقة مصحف بنفس الحجم تحمل آيات من سورة سبأ من الآية ٣٦ {قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ولكن أكثر الناس لا يعلمون}.

وحتى الآية ٣٩ {قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين}.



صورة من الصفحة الأخيرة من المصحف

المفتش الأول للغة العربية بوزارة المعارف العمومية،
والأستاذان الشيخ مصطفى عناني، والشيخ أحمد
الاسكندري المدرسان بمدرسة المعلمين الناصرية،
والأستاذ الشيخ عمر العادلي رئيس المصححين
بالمطبعة الأميرية.

تحت إشراف مشيخة الأزهر الجليلة، وها هي
ذى توقيعاتهم.

توقيعات:

صاحب الفضيلة شيخ الجامع الأزهر
في ١٠ ربيع الثاني سنة ١٣٢٧ هـ

وعندما قرأت هذه الصفحة ظننت أنها منزوعة
من نفس المصحف الذي معي، فرجعت إلى سورة
سبأ فوجدت أنها غير منزوعة منه، والعجيب أنها
طبعة مختلفة حيث تبدأ بالآية ٣٦ على خلاف نفس
الصفحة بالمصحف... فمقت باعادة الصفحة إلى
مكانها... وقلت في نفسي إن الآيات الكريمة التي
حوتها هذه الصفحة تتضمن وعد الحق تبارك وتعالى
ببسط الرزق لمن يشاء من عباده... فلعل هذا هو
السر المقصود في هذا المصحف... وقد يكون أيضا
ما أشير اليه بأنه «كنز لمن يحمله» وقد تصورت
أيضا أن المقصود بالكنز عندما يرغب أحد المتاحف
الاسلامية في اقتنائه.

والحقيقة الحقة يعلمها الله وحده - سبحانه
وتعالى -

خاتمة:

وهذا نص ما ورد في الصفحة الأخيرة من هذا
المصحف:

قام بتصحيح هذا المصحف الشريف ومراجعته
على أمهات كتب الرسم والضبط والقراءات مراجعة
دقيقة الأستاذ الشيخ محمد بن علي بن خلف
الحسيني شيخ المقارئ المصرية الآن (وهو الذي
كتب أصله بخطه)، والأستاذ حرمي بك ناصف

الدكتور عبد الرزاق السنهوري

فقال:

«رأيت فيما يرى النائم: أن الغرب تشرق عليه شمس ساطعة، حذقت فيها طويلا، ثم أدت وجهي نحو الشرق، فخليل لي أنني أنقل شمسا أوسع مدى وأسطع نورا من أرجاء الشرق الواسعة. وحسبت أنني أنا الذي أنقل هذه الشمس بيدي. وكأني سمعت لفظ «العلم» يهمس ثم أفقت من نومي.

قد يكون من الضروري أن أنون هذا الحلم في مذكراتي، ولكن تأثيره فيّ كان عظيما. ولا أزال أرى الشمسين: شمس الغرب الساطعة، وشمس الشرق أبهى وأسطع، وقد تضاعلت أمامها شمس الغرب. اللهم حقق هذا الحلم، فأنت قادر على كل شيء».

هكذا .. ومنذ ذلك التاريخ حسم السنهوري اختياره لنموذج التقدم وصيغة البعث الحضاري للشرق وشعبه .. فشمس الشرق هي الأوسع مدى، والأسطع نورا - إنها «أسطع نورا من أرجاء الشرق الواسعة»!

أما صاحب الرؤيا، فهو «صاحب رسالة» .. إنه «حامل شمس الشرق بيديه» .. والعلم - الذي سافر إليه - هو مفتاح هذا النور .. ولقد دعا الرجل ربه أن يحقق هذا الحلم، فهو - سبحانه - علي كل شيء قدير.

لذلك، وجدنا السنهوري - في فرنسا - لا يقف - في نشاطه العام وخياراته الفكرية، فقط، عند رفض الانبهار بالمدينة الغربية، وإنما يتخذ الموقف النقدي، الواعي والعميق، للعرب والمسلمين الذين انبهروا بهذه المدينة، ويشروا بنموذجها الحضاري.

لقد انتقد - وهو بباريس - أولئك الذين دعوا ويدعون إلى استبدال المدينة الغربية بالمدينة الإسلامية .. وتحدث عن أن أمثا ليست الأمة الطفيلية التي تترك مدنيته العريقة - المؤسسة على شريعته الإسلامية - لترقع لها ثوبا من فضلات الخياطين.



بقلم المفكر الإسلامي :

أ.د. محمد عمارة - مصر

بعد عام دراسي في مدرسة القضاء الشرعي ١٨٩٥ - ١٩٧١م إلى فرنسا في بعثة علمية لدراسة القانون .. فركب السفينة من ميناء الأسكندرية - قاصدا جامعة «ليون» - في ١٢ أغسطس سنة ١٩٢١م أي في صبيحة اليوم التالي لذكرى عيد ميلاده - وهو - يومئذ - في السادسة والعشرين من عمره.

ذهب السنهوري إلى أوروبا، إبان علوها الاستعماري الذي عمت بلواه كل أرجاء الشرق الإسلامي احتلالا وإذلالا واستغلالا .. وفي مناخ فكري وحضاري ظن فيه الكثيرون أنهم بإزاء نهاية التاريخ .. فالدولة الإسلامية الجامعة قد تفككت .. والاستعمار قد ورث ولايتها .. وتيارات فكرية عريضة ومؤثرة - في الشرق - قد أدارت ظهرها لحضارتها الموروثة ولتراثها الحضاري، ياسا وقنوطا، وأخذت تبشر بالحضارة الغربية المنتصرة، باعتبارها الطريق الوحيد للتقدم، والنموذج الفريد للنهوض.

سافر السنهوري إلى فرنسا - بلد «النور .. والأنوار» فماذا صنع هناك؟

لقد سافر حاملا لهماوم أمته في قلبه وعقله .. إلى الحد الذي جعله مستعصيا على الانبهار والاندحاش بالنموذج الحضاري الغربي .. بل إن إيمانه بعظمة المدنية الإسلامية، وارتقاء الشريعة الإسلامية، وخلود الأمة الإسلامية، قد جعلت كفة «النور الشرقي» ترجح في عقل ووجدان الشاب السنهوري علي كفة «الأنوار الغربية»، التي أعشت أبصار الكثيرين في ذلك التاريخ، فبعد شهرين من إقامته بفرنسا، يرى رؤيا - في المنام - تذكرنا عندما نقرأ ما دونه عنها في مذكراته برويا يوسف - عليه السلام - رؤيا تحدد البوصلة الفكرية والحضارية للسنهوري، وتعكس إيمانه بالشرق والإسلام، ليس كماض وتراث، وإنما كمستقبل متفوق على النموذج الغربي .. فشمس الشرق - في هذه الرؤيا - هي الأوسع مدى، والأسطع نورا .. والسنهوري - في هذه الرؤيا - هو حامل شمس الشرق، الأكثر بهاء ونورا .. فهي إذن «رؤيا رسالة» حملها السنهوري منذ ذلك التاريخ .. ولقد حدثنا عنها - في مذكراته - على استحياء .. وفي تردد -



د. عبدالرزاق السنهوري

القانون.. وصانغا
للدساتير.. ومشرعا
للقوانين المدنية..
وحارسا للعدل في
محراب القضاء..
ورجل سياسة ودولة..
ونموذجا للقيم والخلق
العظيم.

رأيناه يكتب «مواد
برنامج» رسالتة
الإصلاحية، مشيرا إلى
«أشعة الشمس» التي

حملها في «رؤياه» فيقول: «وددت لو استطعت عند
رجوعي إلى مصر أن أخدم بلادي في الوجوه الآتية، وأن
أجتهد في إنشاء دراسة خاصة يكون الغرض منها:

١ - طريقة جديدة لدراسة الشريعة الإسلامية،
ومقارنتها بالشرائع الأخرى، حتى ييسر فتح باب
الاجتهاد في تلك الشريعة الغراء.. وحتى تؤثر تأثيرا
جديا في القوانين المستقبلية للأمة.. أسأل الله أن يحقق
هذا الأمل.

٢ - كنت أحلم صغيرا بالجامعة الإسلامية، وكنت
أتعشقها.. ولأن أراها أقل إبهاما وأكثر تحديدا.. على
أن تون تحديدها تحديدا كافيا سنين من التجارب
والدراسة أرجو أن أجتازها.

٣ - ووددت أن أشارك في نهضة اقتصادية
ومالية في مصر.

٤ - وأن أشارك في نهضة
لإصلاح طرق التربية والتعليم..
وإصلاح الأزهر.. وما يدخل
في إصلاح التربية من تربية
للمرأة وإصلاح حالتها
الاجتماعية.

٥ - وأن أشارك في
نهضة لإصلاح اللغة
العربية.

٦ - والعمل على سيادة
الأمة ضد كل سلطة فردية،
سياسية أو اقتصادية.. وأرجو
ألا أموت قبل أن أرى الوقت الذي
ينادي فيه بسيادة الأمة، لا على

وانتقد الذين تبنا مناهج الفكر الغربي والتطور
الحضاري الغربي في دراسة تاريخنا وحضارتنا ونظمنا
الاجتماعية والسياسية.. انتقد الدكتور منصور فهمي
(١٣٠٣ - ١٣٧٨هـ / ١٨٨٦ - ١٩٥٩م) الذي سبق
السنهوري إلى الدراسة في فرنسا - والذي تبني مناهج
غلاة المستشرقين في دراسته عن زوجات الرسول، عليه
الصلاة والسلام - وهو ما تراجع عنه بعد ذلك منصور
فهمي باشا -.

وانتقد الشيخ علي عبد الرزاق (١٣٠٥ - ١٣٨٦هـ /
١٨٨٧ - ١٩٦٦م) الذي درس الخلافة الإسلامية وعلاقة
الدين بالدولة في الاسلام، بمناهج العلمانية الغربية،
وبالرؤية النصرانية التي تدع ما لقيصر لقيصر وما لله
له.

وفي ذات الوقت، لغت السنهوري الأنظار الى
الأعمال الفكرية المتميزة، التي أبدعها دارسون مصريون
ومسلمون في فرنسا، من مثل رسالة الدكتوراه التي
انجزها الدكتور محمود فتحي عن التعسف في استعمال
الحق بالشريعة الإسلامية، كنموذج للتعامل الصحي مع
تراثنا وشريعتنا ومدنيتنا.

بل ورأينا السنهوري - طالب البعثة - يحاضر عن
الأدب العربي في الأسرة الفرنسية التي يقيم معها،
وبعض أصدقائه وأصدقاء هذه الأسرة «إفهام هؤلاء
القوم أن العرب أدبا له قيمة» إذا ما قورن بالأدب
الفرنسي الذي لا يعرفون سواه [١].

رأيناه يكتب ذلك.. ويقوم به بعد شهرين فقط من
سفره إلى هناك!

وغير النقد للمبهرين والمندھشين..

رأينا السنهوري يخطط - وهو في
فرنسا.. ومنذ فجر حياته
العلمية - لمشروع النهضة
الإصلاحية والإحيائية
والتجديدية للشرق وشعوبه،
بالاسلام ومدنيته
وشريعته.. فيكتب «مواد
البرنامج» الذي مثل رسالته
الإصلاحية التي نهض بها -
هذا الرجل العظيم - على
امتداد سنوات عمره المديد..
وفي مختلف الميادين التي عمل
فيها.. كاتباً ومفكراً.. ومدرسا

**** السنهوري أضاف
من الحضارة الغربية
من غير استلاب
** نهضة الشرق
والمسلمين كانت همه
وشافله**

** التومست

نزعات تفرقة

وتشتت عمل

الفرب على

زرها بين

المسلمين

** السنهوري

باب كثيراً على

مفكرى الشرق

الذين أخذتهم

مضارة الفرب

ودعوا إليها

** السنهوري

كان مجدداً

ومعلماً، على

نوابت الدين

والنسيم

الذى يفصح عن عبقرية في التخطيط، وعزيمة فولاذية في الإنجاز للتخطيط.

وفي السنوات الخمس التى أمضاها السنهوري بفرنسا، تبهر في علوم القانون الغربى - أصوله الرومانية .. وتقنياته الحديثة .. ونهل من منابع الثقافة الفرنسية والأوربية .. واتصل بالحركات والتيارات الاجتماعية والثورية - والاشتراكية منها بوجه خاص - وزامل المبعوثين العرب والمسلمين الى مؤسسات العلم الفرنسية .. وساح في كثير من البلاد الأوربية متأملاً ودارساً .. وقضى في لندن شهراً ونصف الشهر يجمع مراجع رسالته للدكتوراه «القيود التعاقدية على حرية العمل في القضاء الانجليزى».

وتشهد مذكراته في سنوات الابتعاث - التى دونها في (أوراقه الشخصية) - على أن وطنه وأمته وإسلامه، وتجديد الفقه الإسلامى وتقنيته، وإحياء الشريعة الإسلامية بالاجتهاد الجديد، ونهضة الشرق بالإسلام، ونهضة الإسلام بالشرق، كانت هى شغله الشاغل، والحلم الذى سهر على رسم معالم تحقيقه، جاعلاً منه رسالته المقدسة في الحياة.

وعندما ألغيت الخلافة العثمانية - في مارس ١٩٢٤م - وبدا للكثيرين أن النزعة القومية - على النمط الغربى - قد انتصرت على الجامعة الإسلامية، كتب السنهوري، في مذكراته محذراً من هذه النزعة المتعصبة المفتتة لوحدة الأمة، وداعياً الى توظيفها - بعد تهذيبها - في خدمة الكيان الإسلامى الجامع والأكبر .. فقال في ٢١/٤/١٩٢٤م أى في الشهر التالى لإلغاء الخلافة الإسلامية: «إن فكرة القومية دبت في الشرق، ولا يمكن أن تنتشر، وكل ما يطلب من الشرقيين هو أن يتدبروا التاريخ فيروا أن الغرب انتشرت فيه هذه الروح فأصبح القوم أقواماً، وكانت نتيجة المبالغة في هذا المبدأ أن صار كل قوم عدواً للأقوام الأخرى، ووقعت بينهم الحروب. فالشرق إذا أراد أن يبني نهضته على مبدأ القومية فلا بد في الوقت ذاته من أن يوجد شيئاً من الاتصال بين أقوامه المتعددة في مبدأ نهضتها حتى يسهل بعد ذلك أن تكون هذه الأقوام على صفاء ووداد، ويجمعها كثير من عوامل التوحيد».

فلم يتزعزع إيمانه بالجامعة الإسلامية، التى أراد للقوميات أن تكون لبنات في بنائها .. وهو التصور الذى بلوره في رسالته الثانية للدكتوراه - في العلوم السياسية والاقتصادية عن (الخلافة كعصبة أمم إسلامية).

وإذا كانت مصر قد ابتعت ابنها عبد الرزاق السنهوري الى فرنسا ليتخصص في القانون، وينجز

صفحات الجرائد وفي بطون الكتب، بل في كل كبيرة وصغيرة من حياة الأمة العلمية، فالمستقبل لسلطان الشعوب، وهو سيمحو سلطان الطبقات. ٧ - وأتمنى لو تكونت جمعية أمم شرقية الى جانب جمعية الأمم الغربية.

٨ - ووددت لو أتيج لمصر أن تكون من البلاد الشرقية كإيطاليا من البلاد الغربية في عهد إحياء العلوم .. وحبذا لو بدى بتكوين مجامع علمية لغوية وفنية تتولى قيادة النهضة.

٩ - وتكوين حزب العمال والفلاحين .. حزب الاشتراكية الديمقراطية، الذى يستمد مبادئه من تجارب الأمم الغربية ومن التعاليم النقية الصحيحة التى أتى بها الإسلام والمسيحية.

هذه النهضة نحن في أشد الحاجة إليها. وفقنى الله الى أن أخذ بنصيبي في ذلك، وأن أقوم بما يجب عليّ مما يتسع له مجهودي [٢].

هكذا، ومنذ فجر شبابه، خطط السنهوري معالم المشروع الإصلاحى، الذى كانت حياته - الغنية والمديدة - إنجازات تطبيقية لها في مختلف الميادين .. الأمر

رسالة للدكتوراه .. فإن الرجل العظيم قد أنجز في تلك السنوات الخمس أضعاف المطلوب والمأمول .. أنجز رسالة للدكتوراه في القانون - عن (القيود التعاقدية الواردة على حرية العمل في القضاء الانجليزي) .. بالفرنسية من جامعة «ليون» .. ونال عنها جائزة أحسن رسائل الدكتوراه.

وأنجز رسالة ثانية للدكتوراه، تطوع بها - دون تكليف .. بل ومع تحذير أستاذه «إدوار لامبير» علامة القانون المقارن .. وناظر «مدرسة الحقوق الخديوية» بمصر - سابقا - وهي التي تخرج منها السنهوري، فلقد حذر «لامبير» السنهوري من صعوبة الموضوع، ومن المناخ السياسي والفكري الأوربي المعادي له! .. ومع ذلك تقدم السنهوري فانجز هذه الرسالة الثانية - في العلوم السياسية والاقتصادية - عن (فقه الخلافة، وتطورها لتصبح هيئة أمم شرقية) مقدما فيها - بعد الجزء التاريخي - اجتهاده الجديد، ونظريته العبقريّة في جمع الاسلام، وفي ذات الوقت تمييزه، بين الدين والدولة .. وفي جمع الخلافة، وفي ذات الوقت تمييزها، بين الفكرة القومية والجامعة الإسلامية.

وأنجز - دبلوما من معهد القانون الدولي - بجامعة باريس - .

أنجز السنهوري رسالته عن (الخلافة) التي لم يكن مكلفا بها، ولم يطلبها منه أحد .. والتي سيؤخر إنجازها عودته إلى وطنه، وترتيبه في السلم الوظيفي، وذلك علاوة على ما يجلبه إنجازها له من عداة الفرنسيين في عقر دارهم .. ولكن «الرسالة» التي حملها السنهوري «رسالة الأمة» هي التي جعلته ينجزها، وينالها بتقوى نادر - كما أشار إلى ذلك - في مقدمتها - أستاذه «لامبير» الذي كتب في هذه المقدمة عن تلميذه تحت عنوان «عبقريّة السنهوري» يقول: «لقد وجدت ضالتي المنشودة أخيرا على يد السنهوري، وهو من أنبغ تلاميذي الذين درست لهم خلال حياتي العملية كاستاذ .. إنه تلميذ قد أثبت فعلا أنه جدير بأن يكون أستاذا» [٣].

كما كتب عن السنهوري الخبير القانوني المشهور «جورج كورنيل» في مجلة جامعة «بروكسيل» يقول: «إنه من أحسن ركائز مجموعة معهد القانون المقارن في جامعة ليون».

كما كانت رسالته هذه عن (الخلافة) نقطة الانطلاق والارتكان للأستاذ الكبير «موريس هوريو» في بناء نظريته الجديدة عن «النظام القانوني» في علم الاجتماع التشريعي.

ولقد كان تصدى السنهوري - في هذه الرسالة عن

(الخلافة) للرد على دعوى الشيخ على عبد الرزاق في كتاب (الإسلام وأصول الحكم) الصادر بالقاهرة ١٩٢٥م أن الإسلام دين لا دولة ورسالة لا حكم، وأن الخلافة - تاريخيا - كانت سلطة كهنوتية مستبدّة - كان تصدى السنهوري لهذه الدعوى - تحت عنوان «رأى شاذ» دليلا على أن السنهوري كان يعيش معارك الفكر في وطنه حتى وهو يدرس خارج عالم الإسلام!.

وفي فرنسا تبلور الفكر الاجتماعي للسنهوري، فتمنى أن يقوم بمصر المستقلة حزب اشتراكي ديمقراطي للعمال والفلاحين «بعيد عن التطرف الاشتراكي، يستمد مبادئه من تجارب الأمم الغربية ومن التعاليم النقية الصحيحة التي أتى بها الإسلام والمسيحية» [٤] - لأنه كان يرى «أن الشيوعية داء وبيل، والرأسمالية هي أيضا داء وبيل» [٥] وأن كلا من الثورة الفرنسية والثورة البلشفية قد أحلت محل الاستبداد الذي إزالته استبدادا أشد [٦] .. كان يريد حزبا اشتراكيا ديمقراطيا «يطبق روح الاشتراكية التي لا تتناقض مع الروح الشرقية الإسلامية، والتي تتجوز الإصلاحات الداخلية، فتوزع الثروة توزيعا أقرب إلى العدل، وتقوى الأمة على أسس إسلامية» [٧].

هكذا خطط السنهوري - منذ فجر حياته العلمية - معالم الرسالة الإصلاحية التي عزم على حمل أمانتها في حياته المستقبلية .. وهكذا بدأ إنجاز عدد من معالم الإصلاح الفكري إبان بعثته العلمية إلى فرنسا.

للدراسة صلة

الهوامش:

- (١) المصدر السابق. ليون في ٢٤، ٢٥/١٠/١٩٢١م.
- (٢) المصدر السابق، ليون في ٢١، ٢٢/١٢/١٩٢٢م.
- (٣) ٢٥/٢/١٩٢٢م، ٨/ ٥/١٩٢٢م، ١/٩/١٩٢٣م.
- (٤) ١٠/٩/١٩٢٣م.
- (٥) انظر مقدمة «لامبير» في الطبعة العربية لكتاب «فقه الخلافة وتطورها لتصبح عصب أمم شرقية»، ص ٣٧ - ٤١ ترجمة: د. نادية عبد الرزاق السنهوري، مراجعة وتقديم: د. توفيق الشاوي، طبعة القاهرة ١٩٨٩م.
- (٦) الاوراق الشخصية .. ليون في ٩/١٠/١٩٢٣م.
- (٧) المصدر السابق، القاهرة في ١٦/١/١٩٥١م.
- (٨) المصدر السابق، ليون في ١١/١٠/١٩٢٣م.
- (٩) المصدر السابق، لاهاي في ١٥/٨/١٩٢٤م.

أبو العلاء المعري .. والسجن الرابع

مجتمع آخر لا ينتمي إلى البشر، ويخلو من كل متطلباتهم كمجتمع الغاب مثلاً.. وعندئذ ستكون هذه الخطوة أولى خطواته وأوسعها نحو الفناء والعدمية.. ومن هنا كانت حباله المجتمع وقيوده تتشابك بقوة، وتشد بعنف كالقيود البلاستيكية، حول رقاب أولئك المتمردين كلما حاولوا الانفلات من بقية المجتمع، أو الانقضاب من دنيا الناس، والاستقلالية في الماكل والمشرّب والملبس، وفي أنماط أخرى من السلوك البشري التي لا تستقيم حياة الناس بدونها.

وإذا تأملنا حياة أبي العلاء المعري، أو بعبارة أدق، إذا تأملنا تأمل أبي العلاء في حياته، فإننا نجد قد فرض على نفسه، أو قل وجد نفسه بعد التأمل العميق سجيناً في ثلاثة سجون أو محابس من خلال بيتيه السابقين، وقد كفانا مؤونة البحث عن هذه المحابس وتحديد ماهياتها، وأراحنا من عناء الضرب في متاهات المجهول بحثاً عن تلك المحابس الغريبة المتعددة.

وإذا أنعمنا النظر في هذه المحابس ألفيناهما نوعين متميزين: محابس أو معتقلات اضطرارية لا أثر للاختيار الإرادي أو القصدي، ولا دور للعقل الذاتي فيها لأنها فرضت عليه فرضاً باعتبارها قدراً مقدوراً من الله سبحانه كوجوده في الدنيا، أو مجيئه إلى الحياة ورحيله عنها.. وقد أشار صاحبنا إلى هذا السجن، وردد هذه الفكرة طويلاً في لزومياته على شاكلة قوله [٢]:

ما باختياري ميلادي ولا هرمي
ولا حياتي، فهل لي بعد تخيير
ولا إقامة إلا عن يدي قسر
ولا مسير إذا لم يقض تيسير

بقلم : أ. د. خليل أبو ذياب
جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض

لا نعلم أحداً من الناس عامة والشعراء والحكماء والفلاسفة خاصة حبس نفسه أو فرض عليها، أو رضي لنفسه أن تحبس في أكثر من سجن واحد غير أبي العلاء المعري شاعر الفلاسفة وفيلسوف الشعراء (٢٦٣ - ٤٤٩) الذي مضى يعدد محابسه وسجنونه التي ألغى نفسه في غياهبها وعماياتها سواء منها ما فرض عليه وما فرضه هو على نفسه حيث يقول [١]:

أراني في الثلاثة من سجون
فلا تسأل عن الخبر التبيث
لفقدي ناظري ولزوم بيتي
يكون النفس في الجسد الخبيث

وواضح أن هذه المحابس أو السجون أبعد وأعمق من تلك المحابس التي يمكن أن تلقانا عند طائفة من البشر - إذا جاز لنا أن نطلق عليها هذا الوصف - كفرض لون من ألوان الحياة، أو نمط من أنماط السلوك على النفس، وممارسته باستقلالية متميزة، من مثل الإضراب عن الزواج، أو تناول نوع من أنواع الطعام كالنبات مثلاً عند من عرفوا بالنباتيين، وما أشبه ذلك من أنماط السلوك البشري الذي يلقانا عند كثير من الناس المتميزين - أو على الأقل، الذين يربون أن يكونوا متميزين في مجتمعاتهم بطبيعة الحال، والذي قد يكون أساساً أثراً من آثار المذهبية أو العقائدية كالبرهمية والنصرانية مثلاً.

ونحن هنا لا نقصد هذا الضرب من المحابس المذهبية أو العقائدية، وإنما نقصد أنماطاً أخرى تتدخل النفس تدخل عميقاً في توجيهها وممارساتها كاعتزال الناس والانقضاب من المجتمع وتقطيع كل الأواصر والوشائج التي تربطه بالناس والمجتمع الذي يعيش فيه استجابة لما فطر عليه الإنسان من اجتماعية الحياة والسلوك وفق المقولة المعروفة «الإنسان اجتماعي بطبعة»، ومهما حاول الإنسان أن ينفلت من تلك العلائق الاجتماعية قلن يقدر إلا إذا رضي لنفسه أن يعيش في

**** أبو العلاء رفم منزلة التي حاول فرضها على نفسه، فقد فدا بيته قبله لطالبه ومحببه**

فانقضت، وودعت
الشبية فمضت، وحلبت
الدهر أشطره وجربت
خيرته وشره، فوجدت
أوفق ما أصنعه في أيم
الحياة عزلة تجعلني من
أناس كبارح الأروى من
سائح النعام، وما ألوت
نصيحة لنفسي، ولا
قصّرت في اجتذاب
التفعة إلى حيزي،
فأجمعت على ذلك
واستخرت الله فيه بعد
جلاله على نقر يوثق

بخصائهم فكلهم رآه حزماً، وعدّه إذا تم رشداً، وهو
أمر سري عليه ليل، قضى بيقّة، وخبّ به النعامة،
ليس ينتج الساعة، ولا ريب الشهر والسنة، ولكنه
غذي الحب المتقادمة، وسليل الفكر الطويل» [٦]. وكل
هذا يؤكد الاختيار والقصدية في هذا السلوك
الاجتماعي الذي مارسه على مدى نصف قرن تقريباً.
وقد عبر عن حبسه نفسه في بيته في إحدى درعيات
سقط الزند فقال [٧]:

**لذاك سجنّت النفس حتى أرحّتها
من الإثم ما إخلاء ريع بإخلال**

ولقد كان يمكنه أن يجد من نفسه أو من خصائصه
الذين شاورهم فيه رفضاً له وحضاً على الاستمرار في
حياة التكيف والاختلاط والمشاركة التي عاشها على
طول أربعين سنة دون أن يخطر في وهمه - ربما - مثل
هذا الخاطر الرهيب! أو يمثل له هذا السلوك الغريب...
وأخباره التي وصلت إلينا - إذا صححت - في تلك
المرحلة المتقدمة تصوره لنا إنساناً عادياً متوازناً مبراً
من المؤثرات النفسية العنيفة التي يمكن أن تنجم عن
مثل تلك العاهة التي ألّت به في سن مبكرة، قادراً على
التكيف العميق معها دون أن تنطوي على شيء من
العقد النفسية المرهقة [٨]. وربما كان ذلك لتوغلها في
حياته وتجذرها في نشأته المبكرة، ثم لقدرته على
التسامي والاستعلاء على آثارها المفزعة والموحشة،
واقتراره الأكبر على التكيف معها في إطار المجتمع

ومن ذلك قوله أيضاً [٣]:
**ولم نحلل بنياننا اختياراً
ولكن جاء ذلك على اضطرار**

وقد سبق أبا العلاء بشار بن بُرد حيث يقول مقرراً
هذه الفكرة [٤]:

**خلقت على ما في غير مخير
هواي ولو خيّرت كنت المهذبا
أريد فلا أعطى، وأعطى ولم أرد
وقصّر علمي أن أنال الغيبا
وأصرف عن قصدي وعلمي مقصّر
وأُمسي وما أعقبت إلا التعجبا**

ووراء هذا السجن الإيجابي، سجن الوجود
الدنيوي نجد سجن العمى الذي رَج به في عمايته منذ
أوائل الرابعة من عمره إثر إصابته بالجدري في أواخر
سنه الثالثة [٥].

والرجل أن يصف هذين الأمرين برغم خروجهما
عن إرادته، أو عجزه عن التدخل الاختياري فيهما
بأنهما محاسن، وبغيره أن يخالفه في ذلك... وهذا أمر
مرده إلى اعتبارات متعددة يعود بعضها إلى طبيعة
النفس والعقل وقدرتهما على التكيف والرضا أو
الاستسلام والإذعان وتقبل الأمور في كل أحوالها، أو
العجز عن التكيف مع الواقع ومحاولة الانفلات منه
والتمرّد عليه والرفض له!! على أية حال، فهذان
المحبسان - الحياة والعمى - اضطراريان لا أثر
للإختيار والإرادة فيهما البتة، لأنهما كما أسلفنا، قدر
مقدور من الخالق العظيم الحكيم جل جلاله، ومن جهالة
الإنسان وسيطرة الشيطان عليه يأتي رفضه لهما أو
تمرده عليهما!! أما الحبس الثالث الذي أشار إليه فهو
«لزوم بيته وعزلة عن الناس وإنقضائه من المجتمع»
وهذا سجن اختياري إرادي شيدّه أبو العلاء وأعلى
جدرانه بكل طوقه وحوله، وضيق منافذ الشمس والهواء
فيه يكامل وعيه وعقله، وتقحم زنازينه بملء رغبته،
وأُصد أبوابه من خلفه بمطلق إرادته ويعد طول تأمل
ونظر ومشورة على نحو ما يقول في رسالته إلى أهل
المعرة منصرفه من بغداد حول سنة ٤٠٠هـ «أما الآن
فهذه مناجاتي إياهم منصرفي عن العراق مجتمع أهل
الجدل وموطن بقية السلف بعد أن قضيت الحداثة

الكبير الذي عاش فيه، وطبيعة الحياة ونوعية الرعاية التي حظي بها في أسرته أو مجتمعه الصغير.

وغني عن البيان أن مثل هذه العاهات والنقائص كلما كانت متوغلة في طفولة الإنسان الأولى ونشأته المبكرة، كانت أقل وأظهر محدودية في آثارها السلبية وتأثيراتها النفسية التي تنعكس على حياته، وتظهر فيما بعد على سلوكياته وأقواله، وكان هو من وجه آخر أقدر على التكيف معها والتصالح مع آثارها السيئة!!

ومن هنا يمكننا أن نزع من خلال ما وصل إلينا من أخبار أبي العلاء وأشعاره المبكرة أنه عاش تلك المرحلة الطويلة الأولى من حياته خالياً من آثار العقد النفسية التي يمكن أن تتجم عن عاهة العمى في العادة خاصة إذا كانت متأخرة، ولم يك يظهر شيء من آثارها على سلوكياته الاجتماعية؛ حتى إذا كانت رحلته إلى بغداد حول سنة ٣٩٨هـ [٩] وما وقع له فيها من أحداث في مجلس الشريفيين الرضي والمرتضى [١٠] وفي مجلس المرتضى إثر تعصبه الشديد على المتنبّي [١١]، وعندما رغب في لقاء علي بن عيسى الربيعي أحد علماء النحو آنذاك [١٢] وعندما جاءته رسالة أمه تنقل إليه خبر مرضها ورغبتها في رؤيته قبل موتها [١٣]، وما انطوت عليه تلك الرحلة البغدادية من مشيرات [١٤]، ألقى نفسه على مفترق طريقين متباينين: طريق التكيف والاختلاط والمشاركة والاندماج في المجتمع استمراراً لحياته الراحنة وتواصلها معها، وطريق العزلة والانقصاب والتفرد والوحدة... ولم يطل الوقوف عند هذا المفترق، ولم يتردد طويلاً في اختيار إحداهما حيث عجلت أحداث الرحلة البغدادية المتلاحقة برحيله عن مجتمعهما الصاحب، وقوّت عزمه على تنفيذ أشر محاسبه حيث فرض على نفسه الإقامة الجبرية في بيته في المرة وحبسها حبساً انفرادياً صارماً لو أمكنه ذلك على نحو

ما سنرى [١٥].

ومن هنا نستطيع أن نعتبر رحلة بغداد هي الفجرة لكل العقد المتراكمة المخزونة في أغوار نفسية أبي العلاء الموروثة منذ طفولته المبكرة عندما إيف بهذه الآفة القاسية، وقد بعثت في هذه الآونة لتشكّل حياته المقبلة في إطارها الجديد الذي فرضه عليها. وقد كان لما أوتيته من قوة الإرادة وصدق العزيمة أثر بالغ في تحقيق هذا الأمر وتنفيذه، وإن لم يقدر على تنفيذه بالصورة التي كان

يسعى إليها ويتصورها عند اتخاذ القرار، فإذا كان قد نجح في عزل نفسه في كسر بيته بالمعرة، ومنعها من الاختلاط بالمجتمع، ورفض الخروج منه حتى في حالات الجفلة من الروم، فإنه عجز عن منع الناس - أو بلفظ أدق - طلاب العلم الذين كانوا يقدون عليه أقواجا من شتى الأمصار من تقحم محبسه وإفساد عزله.

بيد أن هذه المحاسبات الثلاثة التي عددها شيخ المعرة على أهميتها، لم تكن في نظرنا كل المحاسبات التي حبس نفسه فيها، وإنما يمكننا أن نتحسس في تراثه الأدبي معالم سجن آخر، وربما استطاع غيرنا أن يضيف إليها شيئاً آخر، كما يمكن لآخرين أن يخرجوه من بعضها أو من جميعها، ويعيدوا إليه حرية السلبية، وتوازنه النفسي المفقود، وتكيفه الاجتماعي الضائع!! ومن هنا فإبنا نرى أن أبا العلاء كما أقيم من حوله سجناً رابعاً فيما وراء سجنه الثلاثة التي أعلنها لا يقل أثراً عنها؛ وهو محبس اختياري ينتمي إلى محبسه الثالث/ العزلة، وهذا المحبس هو «نفسية المتنبّي» وما تمخض عنها من فكر وفلسفة وشعور!! وعلى الرغم من أن المعري لم يكتشف هذا السجن، أو لم يكشف، ولم يحاول كشف النقاب عنه في البيان أو المنشور الأنف الذكر الذي عدد فيه محاسبه، فإنه يمتد إلى البدايات المبكرة في حياته ونفسيته وشاعريته منذ أن أخذ يتلقى شعر المتنبّي عن روايته محمد بن عبد

** المعري في داخله

إنسان ودود ينزع إلى خير الآخرين

** نفسية المتنبّي الخزانة إلى الكبرياء

والتمالي وحب الذات لم يتلبسها المعري طويلاً

** في مرحلة عزله ظهرت في المعري آثار

الطبعة التأملية، وهي من اصطناعات

نفسية المتنبّي عليه

**أفكر في معاقرة المنايا
وقود الخيل مشرفة الهوادي
زعيم للقنا الخطي عزمي
بسفك دم الحواضر والبوادي**

ومثل قوله [٢١]:

**وإن عُمِرت جعلت الحرب والدّة
والسمهري أخا والمشرقي أبا
بكلّ أشعث يلقى الموت مبتسما
حتى كنن له في قتله أريا**

وقوله [٢٢]:

**عش عزيزا أو مت وأنت كريم
بين طعن القنا وخفق البنود
واطلب العزّ في لظى وذو الذل
ولو كان في جنان الخلود**

ومثل قوله في رثاء جدته [٢٣]:

**ولو لم تكوني بنت أكرم والد
لكان أباك الضخم كوكب لي أما
تقرب لا مستغظما غير نفسه
ولا قابلا إلا لخالفه حكما
يقولون لي: ما أنت في كل موطن
وما تبقي؟ ما أبغني جلّ أن يُسمى**

ولا يغيب عنا البيت الذي كان فيما يقال سببا في قتله عندما لاح له خاطر الفرار من وجوه أعدائه عندما أيقن بالهزيمة لعدم التكافؤ مع الأعداء وما قد يتمخض عنه من قتله؛ وقد أدرك هذه الخواطر أحد غلمانها عندما رآه يلوي عنان فرسه غير متحوّرف لقتال ولا متحيز إلى فئة، فانبهرى يذكره بقوله المشهور الذي طبق الأفاق [٢٤]:

**الخيل والليل والبيداء تعرفني
والسيف والرمح والقرطاس والقلم**

فقد تركت هذه النفسية الثائرة المتمردة آثارها في نفسية أبي العلاء، أو قلّ في شاعريته في سقط الزند، لأننا نظنّ ظنا بعيدا أن هذه الآثار لم تتجاوز شعر المعري إلى نفسيته، بل إننا نعتقد أن ثمة حاجزا صفيقا كان يحول بينها وبين نفسيته، وأنه كان يقولها - متأثرا بنفسية المتنبي - من وراء نفسيته وأحاسيسه

الله بن سعد [١٧]، وتأثره بالبيئة الحليّة التي كانت ما تزال تعج بشهرة المتنبي الذي لم يرض على رحيله عن الدنيا مأسوفا على شاعريته أكثر من خمس عشرة سنة. وقد استطاعت نفسية المتنبي المتمردة التي صبغت شعره طبع بصماتها القوية العتيقة على نفسية الطفل أبي العلاء، فتشبع بها تشبعا بالغا، وانعكست آثارها على شعره وفكره ونفسيته في مرحلتي الاختلاط والعزلة.

وإذا حاولنا البحث في شعره عن تلك الآثار التي خلفها هذا السجن، فإننا نجدها تتخذ مسارين متميزين: مسار «سقط الزند» ومسار «اللزوميات» وإذا أردنا أن نتبين أبعاد هذا الحبس في نفسية أبي العلاء في إطار سقط الزند، فإننا نجدها تتمثل في مظهرين: أحدهما فني والآخر نفسي. أما الفني فهو ما تساقط في ديوانه من أفكار المتنبي ومعانيه التي تقرأها أبو العلاء وأفاد منها واتكأ عليها في جوانب شعره المتعددة؛ وقد فطن إلى هذه الظاهرة بعض شراح «السقط» خاصة ابن السيد البطليوسي الذي عني بإبراز المعاني والأفكار التي استعارها أبو العلاء من المتنبي [١٧]، كما كانت هذه الظاهرة موضوعا لأطروحة جامعية [١٨]. على أن هذا الجانب لا يعنينا هنا بقدر ما يعنينا الجانب الآخر وهو المظهر النفسي الذي امتد مع أبي العلاء على مدى حياته في مرحلتي الاختلاط والعزلة؛ ففي مرحلة الاختلاط كان ذلك المظهر النفسي يتجسد في التأثير البالغ الذي خلفته نفسية المتنبي في نفسية - أبي العلاء - من خلال الإحساس الغامر بمكانته وتفوقه وتمييزه وتفرد، وهي التي كانت الشنشة التي تعرفها من أخزم «المتنبي» عبر مسيرته الشعرية على طول حياته ومن لدن طفولته الأولى أو صباه الباكر منذ أن كان يتلقى دروسه الأولى في المكتب الشيعي أو المدرسة العلوية، عندما رد على بعض أترابه وقد استحسّن وفرته فقال [١٩]:

**لا تحسّن الوفرة حتى تُرى
منشورة الضميرين يوم القتال
على فتى معتقل صعدة
يعلمها من كل وافي السبيل**

وتألت - متنوعة - في مختلف مراحل حياته مخلفة مثل قوله [٢٠]:

(نفسية المتنبّي)
كانت هي العن الرابع
الذي نُفسه المعري
بطوبه واختياره
رطة بفداه كانت
هي المنجرة لكل الفتد
الخرابة المخرونة في
أنوار نفسية المعري
منذ ظلماته المبكرة

ومشاعره الإنسانية التي فُطر عليها، ذلك أنه لم يكن ممن يطلبون الدنيا لذات الغايات التي جسدتها نفسية المتنبّي، ونجدها عند أضرايه من الطامحين والباحثين عن المجد والسلطان!! ومن هنا فقد تكون عاهته المبكرة قد تحولت أو انحرفت به عن الاتجاه الإيجابي كما تمثله حياة المتنبّي الى الاتجاه السلبي الذي مثله شعره، وقد جسد المعري عبر هذا الاتجاه السالب أبعاده النفسية التي استقفاها من نفسية المتنبّي التي

حبس نفسه في إطارها القشيب الفخم على نحو ما نجد في مثل قوله في إحدى فخرياته [٢٥]:

ورائي أمام والأمام وراء
 إذا أنا لم تُكبرني الكبراء
 بأي لسان ذامني متجاهل
 عليّ وخففق الريح في ثناء
 ومنذ قال إن ابن اللثيمة شاعر
 نور الجهل مات الشعر والشعراء
 أتمشي القوافي تحت غير لوائنا
 ونحن على قُوالها أمراء
 وأي عظيم راب أهل بلادنا
 فإننا على تفسيره قُدراء
 وما سلبتنا العزّ قط قبيلة
 ولا بات منا فيهم أسراء
 ثم أقرأ هذه الأنفاس الفخرية الشامخة من لاميته

المشهوره [٢٦]:

ألا في سبل المجد ما أنا قاعل
 عفاف وإقدام وحزم ونائل
 تُعدّ ننوبي عند قوم كثيرة
 ولا نذب لي إلا العلى والفواضل

وقد سار ذكرى في البلاد ومن لهم
 بإخفاء شمس ضوؤها متكامل
 يَهْمُ الليالي بعض ما أنا مُضمّر
 ويشغل رضى بون ما أنا حامل
 وإنني وإن كنت الأخير زمائنه
 لآت بما لم تستطعه الأوائل
 ولي منطق لم يرض لي كُنه منزلي
 على أنني بين السماكين نازل
 لدى موطن يشتاقه كل سيد
 ويقصر عن إدراكه المتناول
 ينافس يومي في أمسي تشرفاً
 وتحسد أسحاري علي الأصائل

وغير ذلك مما نجده ماثلاً في نماجه الفخرية في السقط [٢٧].

وغني عن البيان أن الفخر الذي يتجسد في هذه النماذج هو تعبير غير صادق عن نفسية المعري التي ترفض الاستعلاء والكبر، وتؤمن بالتواضع والإخاء والمحبة، ولذا فإن هذه النغمات الفخرية ليست أكثر من ظلال كثيفة لنفسية المتنبّي الطامحة المتمردة انسحبت على شاعرية المعري، ووقفت عند السطح بون أن تجاوزها إلى أعماق نفسيته، وإنما كان يترنم بها بين الحين والآخر على سبيل المران والدرية، أو كما يقول «على معنى الرياضة وامتحان السوس» [٢٨].

بيد أن أبا العلاء لم يرض إلى نهاية الشوط لاهتا في أعقاب هذه النغمات الحادة الصاخبة، وإنما نراه يرتد ارتداداً بالغاً الى نزعتة الإنسانية لتتجسد في مثل قوله من إحدى فخرياته [٢٩]:

ولو أنني حببت الخلد فرداً
 لما أحببت بالخلد انفراداً
 فلا هطلت علي ولا بأرضي
 سحائب ليس تنتظم البلدا
 خلافا للزعة الذاتية المفرطة عند المتنبّي، وعند أبي فراس في قوله المشهور [٣٠]:

معللتني بالوصل والموت بونه
 إذا مت ظلماتاً فلانزل القطر

وإن كنا نجد أمشاجاً من هذه النغمات الصاخبة الشاذة تتساقط على استحياء في مثل قوله من قصيدته الفخرية السابقة:

إذا أوطأتها قديمي سهيل فلا سقيت خناصرة العهادا

وليته لم يترد في حباله نفسية المتنبى وأبي فراس
ليظل أسير نزعة الإنسانية الرفيعة!!
بيد أن هذا التبجح العجيب، والصراخ الحاد،
والتعالي البالغ الذي يحترق كل عبقریات البشر، ولا
يقيم لأحد منهم وزنا في بيته المشهور:
**وإني وإن كنت الأخير زمانه
لأت بما لم تستطعه الأوائل**

يضمحل في نفسية أبي العلاء ليصبح لا «شيء»
عندما ينغمر في خضم التواضع، وتدوي نغماته العذبة
الشجية في أعماق نفسه لتجعل منه فرداً أقل من سائر
الناس شأنًا وعلمًا وأدبًا ودينًا، حتى ليخيل للقارئ أنه
يتسلل لوإذا ليغرق في ظلام النسيان فلا يخطر على
قلب أحد، ولا يمر في وهم إنسان [٣١].

وإذا تحولنا إلى مرحلة العزلة ألفينا نفسية المتنبى
تبذر آثارها الفكرية الفاقعة في نفسية أبي العلاء
لتشكل جانباً مهماً من فلسفته التشاؤمية في الحياة
والدنيا والأحياء خصوصاً ثم الدنيا الذي شرع المتنبى
له أبواباً على مصاريعها عبر قوله من مرثاته لأخت
سيف الدولة الصغرى [٣٢]:

ولنذير الحياة أنفس في النفر

س وأشهى من أن يمل وأحلى

وإذا الشيخ قال أف فما مل

ل حياة وإنما الضعف ملا

آلة العيش صحة وشباب

فإنذا وأبىا عن المرء وأى

أبدا تسترد ما تهب الذئد

يا فيا ليت جودها كان بخلا

وهي معشوقة على الغدر لا تح

لفظ عهدا ولا تتمم وصلا

شيم الغانيات فيها فما أد

ري لذا أنت أسمها الناس أم لا؟

وقد تناثرت هذه النغمات الفكرية الحادة في ديوان
المتنبى، وتغلغلت في أغوار نفسية أبي العلاء وانتشرت
في لزومياته خاصة وبعض مراثي السقط لتشكّل
فلسفته المتميزة في الدنيا والأحياء على نحو ما نجد

في قوله من مرثاته لأبيه في مرحلة مبكرة في
حياته [٣٣]:

**على أم دفن غضبة الله إنها
لأجدر أنثى أن تخون وأن تخني**

وقوله من إحدى لزومياته [٣٤]:

**يسيء امرؤ منا فيبغض دائما
وبنيك ما زالت تسيء وتومق
أسر هواها الشيخ والكهل والفتى
بجهل، فمن كل النواظر ترمق
وما هي أهل أن يؤمل مثلها
لوه، ولكن ابن آدم أحس مق**

ويقول في لزومية أخرى [٣٥]:

**نحن البرية أمسى كلنا بنفا
حب نبياء حبا فوق ما يجب**

وقوله [٣٦]:

**ومن العجائب أن كلا راغب
في أم دفن وهو في عيابه**

وقوله [٣٧]:

**ولا ترى الدهر إلا من يهيم بها
طبعا ولكنه باللفظ قالها**

وهذا ما دفعه إلى تجسيم حب الدنيا في نفوس
الناس في هذه الصورة الطريفة البالغة حيث يقول:

**لو أن عشقك للدنيا له شعب
أبيته ملات السهل والجبال [٣٨]**

وأبو العلاء في كل هذه الآراء لا يحاول أن يستثني
نفسه برغم ما عرف عنه من زهادة في الدنيا وإعراض
عنها وانصراف عن متاعها فيقول [٣٩]:

**وحبي للدنيا كحبي خالص
وفي عنقينا من هوى جعلت ريقا**

وقوله [٤٠]:

**أحبك أبها الدنيا كغيري
وأشراني فلاك ولست أشري
ونهى العيش فيك مع الرزايا
وما طوكت من خمس وعشر**

(٩) انظر: الجندي: الجامع في أخبار أبي العلاء وأثاره (٢٧٧/١، دمشق ١٣٨٢ - ١٩٦٢).

(١٠) يذكر نفر من مؤرخي أبي العلاء أن يوم وصوله بغداد صادف وفاة والد الشريفيين الرضي والمرضى فدخل لتعزيتهما، فتخطى بعض الناس فعرّ به فقال له: من هذا الكلب؟ أو إلى أين يا كلب؟ فقال أبو العلاء: الكلب من لا يعرف للكلب سبعين اسماً. وظلت هذه الحادثة تقفل فعلها في نفس السيوطي فمضى يتتبع أسماء الكلب ونوعته في كتب اللغة حتى تجمع له منها قدر كبير ثم نظمها في أرجوزة عنوانها «التبري من معرفة المعري»، (التعريف ١٧، ٢٢٣، ٤٢٩، ٥٤٣).

(١١) كان أبو العلاء يتعصب للمتنبّي ويفضله على سائر الشعراء المحدثين، وكان المرتضى يتعصب عليه ويبغضه؛ فجرى يوماً بحضرته ذكر المتنبّي فتنقصه المرتضى وجعل يتبع عيوبه، فقال المعري: لو لم يكن للمتنبّي من الشعر إلا قصيدته (لك يا منازل في القلوب منازل) لكفاه فضلاً. فغضب المرتضى وأمر فسحب برجله وأخرج من المجلس وقال لمن حضرته: أتدرون أي شيء أراد الأعمى يذكر هذه القصيدة فإن للمتنبّي ما هو أجود منها؟ فقليل: السيد النقيب أعرف. فقال أراد قوله فيها:

وإذا أتتكَ مَذْمُوتِي من ناقص

فهي الشهادة لي بأنّي كامل

(التعريف ٧٦، ٢٠٦، ٢٢٤) ويبين أن تعصب المعري للمتنبّي أثار عليه أديبا آخر هو ابن الأثير صاحب المثل السائر الذي رفض مزعمه باستواء شعره وكماله حتى قال عنه: «كان أبو العلاء أعمى العين خلقة وأعماهما عصبية، فاجتمع له العمى من جهتين» (التعريف ٣٩٤، ٣٩).

(١٢) كان من خير أبي العلاء مع الربيعي ببغداد أنه رغب في زيارته، فلما استأذن سمعه يقول: ليدخل الاصطبل، وهي الأعمى بلغة أهل الشام. فخرج مغضباً ولم يعد إليه (التعريف ١٦، ٧٥) ويذكر ياقوت في سياق الخبر أن دخول أبي العلاء على الربيعي ليقرأ عليه. وهي عبارة غامضة ينبغي ألا تحمل على أخذ العلم عنه لأنه كان قد حصل من العلم أضعاف ما عند الربيعي وغيره منذ عشرين سنة حيث يقول: «ومنذ فارقت العشرين من العمر

ووراء هذه النماذج المختارة نماذج أخرى أعرضنا عن سردها خشية الإطالة ودفعاً للإملال، واكتفاء بما ذكرنا.

ومثل هذه الآراء ليست في الحقيقة أكثر من أصداء نفسية المتنبّي أخذت تتردّد في فضاء نفس المعري، وتعكس عليها آثارها القائمة لتشكّل السجن الرابع الذي تقحّمه أبو العلاء بكامل إرادته، وملء رغبته واختياره لينضاف إلى سجونه الثلاثة العريقة، وليكون من أقواها وأبعدها أثراً في نفسيته وتفكيره وشعره!!

الحواشي والتعليقات:

(١) اللزوميات ١٨٨/١ التجارية ط/٢، يذكر بعض مؤرخي أبي العلاء أنه لما رجع من بغداد لزم بيته وسمى نفسه «رهين المحبسين» يعني حبس نفسه في بيته، وحبس بصره بالعمى. (تعريف القدماء بابي العلاء ٢٦٧: الوافي بالوفيات للصفدي، ٣٢٣: بغية الوعاة للسيوطي ٣٥٦: زمة الجليس للعباس المكي)، وهو هنا يضيف إليهما سجناً ثالثاً وهو حبس روحه في جسده أي الحياة التي كتبت عليه.

(٢) اللزوميات ٣١٥/١

(٣) نفسه ٤٠٤/١

(٤) ديوان بشار ٢٤٦/١ نشره محمد الطاهر بن عاشور ط/ اللجنة، أغاني الدار ٢٢٧/٣ وقارن اختلاف الروايات.

(٥) التعريف/ الفهرس ٦٠٧.

(٦) رسائل أبي العلاء/ ٨ ص ٢٤، ط المثني أكسفورد/ نشره مرجليوث ١٨٩٨.

(٧) شروح سقط الزند ٤/ ١٨٨١، دار الكتب والدار القومية.

(٨) يقول في «الفصول والغايات» وهو أول كتاب صنّفه بعد العزلة: «ما اعتزلت إلا بعد ما جدت وهزلت» ٢٩٧، تحقيق: محمود حسن زنتاتي، ط/ حجازي/ القاهرة ط/ ١، وهذا ما أشار إليه بعض مؤرخيه عندما وصفه قائلاً: «لقيت بمعرفة النعمان عجباً من العجب: رأيت أعمى شاعراً لطيفاً يلعب بالشطرنج والنرد، ويدخل في كل فن من الجد والهزل، يكتي أبا العلاء» (التعريف ٣: تنمّة القيمة للثعالبي).

شجاع فاتك الرومي مولى منجوتكين
والى حلب من قبل الفاطميين،
عندما تنأهى إلى أسماعهم عزم
امبراطور الروم على غزو
حلب، ووصف مشاهد
الجافلين وأحوالهم وما لقوا
من عناء وشقاء دفعهم الى
أن يقرروا عدم الخروج من
بلدكم لمواجهة الروم.
(انظر رسالة الصامبل
والشاحج ٤٢٥ - ٦٤٠
تحقيق بنت الشاطي، ط/ دار
المعارف ١٩٧٥).

(١٦) التعريف ٥١٥: الأصناف

والتحري لابن العديم).

(١٧) انظر مقدمة سقط الزند.

(١٨) عنوانها «أثر المتنبي في أبي العلاء في سقط الزند»
للكاتب كلية الأدب جامعة القاهرة ١٩٦٨.

(١٩) ديوان المتنبي/ عزام ص ٦.

(٢٠) نقشه/ ٧٨.

(٢١) نقشه/ ٩١.

(٢٢) نقشه/ ١٥.

(٢٣) نقشه/ ١٦١ - ١٦٢.

(٢٤) نقشه/ ٣٢٤.

(٢٥) شرح سقط الزند ج ١/ ق ١٠.

(٢٦) نقشه/ ق ١٦.

(٢٧) نقشه قصائد ١٢، ١٧، ٢٠، ٣٦.

(٢٨) شرح سقط الزند: مقدمة الديوان.

(٢٩) نقشه ٧٥/١.

(٣٠) ديوان أبي فراس الحمداني ١١، دار إحياء التراث

العربي، بيروت.

(٣١) الجامع ١/ ٣٥ وما بعدها.

(٣٢) ديوان المتنبي ٤٠٠.

(٣٣) شرح سقط الزند ق/ ٤١.

(٣٤) للزوميات ٢/ ١٣٥.

(٣٥) نقشه ١/ ٧٥.

(٣٦) نقشه ١/ ١٣٥.

(٣٧) نقشه ٢/ ٤٤١.

(٣٨) نقشه ٢/ ٢٠٠.

(٣٩) نقشه ٢/ ١٣٢.

(٤٠) نقشه ١/ ٣٩٩.

**** المعري لم يكن**

يطلب الدنيا لذات الفانيات

التي جند لها نفسه المتنبي

**** النغمات الفخرية في شعر المعري**

ما هي إلا قلال كثيفة لنفسية

المتنبي

ما حدثت نفسي باجتماع علم من
عراقي أو شام (رسالته ٣٢) وإذن
فزيارته للريعي إنما كانت
تتسم بالندية العلمية على
أبعد تقدير استجابة
لقصاده من زيارة بغداد
التي أعلنها في قوله:
«وأحلف ما سافرت أستكثر
من النشب، ولا أتكثر بقاء
الرجال، ولكني أثرت الإقامة
بدار العلم، فشاهدت أنفس
مكان لم يسعف الزمن بإقامتي

فيه» (رسالته ٣٤).

(١٣) وفي ذلك يقول:

أثارني عنكم أمــــران: والده

لم ألقها، وثرء عاد سفوتا

لولا رجاء لقائها لما تبع

عنسي دليلا كسر الغمد إصليتا

شروط سقط الزند ١٦٣٤/٤. وانظر: بنت الشاطي:

أبو العلاء المعري ١٢٩ وما بعدها.

(١٤) هناك من مؤرخي أبي العلاء من يحدد سبب

خروجه من بغداد مؤكداً أنه خرج منها طريداً منهزماً لأنه

سأل سؤالاً يدل على قلة دينه وعلمه وعقله فقال:

تناقص ما لنا إلا السكوت له

وأن نعوذ بمولانا من النار

يد بخمس مئتين عسجد وديت

ما بالها قطعت في ربع دينار

(التعريف ٢٠١: البداية والنهاية لابن كثير، حوادث سنة

٤٤٩) وتابعه العيني صاحب عقد الجمان: التعريف

(٣٢٠). مع أن البيتين لزومياً من ديوان «الزوميات» الذي

بدأ في نظمه بعد عودته من بغداد ولزوم بيته (انظر:

الزوميات ٢٩١/١)، زجر النابج للمعري ١١٢، تحقيق د/

أمجد الطرابلسي، دمشق، الجامع ١/ ٢٥٢ وما بعدها.

(١٥) بلغت هذه العزلة عند أبي العلاء حداً بعيداً حتى

وجدناه في رسالته لأهل المرة يؤكد عزمه على البقاء في

منزله وعدم الخروج منه كائنته ما تكون الظروف فيقول:

«وثبات في البلد إن جال أهله من خوف الروم» (رسالته

٣٤)، وهذا الأمر هو الذي دفعه إلى تفصيل القول في

جفلة الناس في منطقة حلب في عهد عزيز الدولة أبي

البارودي الشاعر الرائد

ولعلنا نرى بعض مظاهر التقليد في شعره حين يذكر أماكن في الجزيرة العربية لم يرها رؤية العين، من ذلك قوله:

يا سعاد قل لي فلتأت أدري
مضى زمان العقيق تبسو
أشتاق نجدا وساكنيه
وأيمن منى الغداة نجد
أو حين يقول:
أين ليالينا بوادي الغضى
ذلك عهد ليته ما انقضى

وهو يستعير المعنى من بعض الشعر القديم، ويستخدم التشبيه الصحراوى المتكئ على حياة الرعي، والرحلة، والقتال، هو بل يتابع الشعراء في فخرهم الفردى كما ألفناه في شعرنا القديم:

ومن تكن العلياء همه نفسه
فكل الذى يلقاه فيها محبب
إذا أنا لم أعط المكارم حقها
فلا عزنى خال ولا ضمنى أب
خُلقت عيوبا لا أرى لابن حرة
على يداً أغضى لها حين يغضب

فهو يتابع الشعراء القدامى في التمسك بأخلاق الفروسية ومفاهيمها الأخلاقية الشيء الذى أقلع عنه الشعراء العرب المحدثون، فقد تبدلت المفاهيم، والقيم، وأصبح الفخر الفردى موضع سخيرة.



بقلم : د. كمال نشأت

- مصر -

يحتل محمود سامي البارودي في تاريخ الشعر العربي مركز الريادة من حيث الخروج على متابعة الروح التقليدية واتخاذ القصيدة القديمة نموذجا يتحرى الشاعر النسج على منواله.

وقد كان الطبيعي والمنطقي أن تظل القصيدة على هذا النموذج، فشاعر واحد لا يستطيع أن يحول شعر أمة من حال إلى حال، أو أن يغير نطق أجيال من الناس تربت على نوعية من الشعر استقرت في نفوسها ونفوس آبائها وأجدادها مئات من السنين، ولذلك كان أغلب شعره يحمل صورا من حياة البداوة الصحراوية كما كانت الحال في شعر من سبقوه ومن عاصروه، وإن كان البارودي لم يرجع إلا الى النماذج الشعرية القوية التى عارض بعضها.

من هنا كانت بعض الرواسب التقليدية المنحدرة عبر أجيال ركائز من ركائزه الشعرية.

سار البارودي إذن على الدرب القديم محافظا على عمود الشعر كما وصفه العرب القدامى، وهو اتجاه لا يد له فيه، وما أظن شاعرا آخر يكون في مكان البارودي من نفس البيئة والعصر، ويعيش المؤثرات نفسها ولا يتابع الطريق الشعرى الذى مشى فيه البارودي. كان الشعراء يعيشون في شعرهم فوق وهاد نجد، ويذكرون شجر الغضى، وهم لم يروا نجدا ولا شجر الغضى، وكانت القناعة أن ما أتى به الأجداد هو المثل الأعلى، وأن ما خلفته الأجيال هو قمة البلاغة فتشكل نطق الناس حسب مواصفات الشعر القديم، والبارودي يقترب من عصره في بعض شعره الذى تنكب فيه متابعة الدرب القديم، هذا الشعر الذى جعله رائدا بمعاشيته لبيئته والترجمة عنها حين تحرر من القيود الشعرية التى ربطته بالنموذج الشعرى القديم... من هنا كان اعطاؤه الحق لنا في أن نقول عنه انه من أوائل من حققوا معاشية النفس والبيئة إن لم يكن أولهم.



محمود سامي البارودي

كان واحداً من زعمائها - ولعل وصفه للأثار المصرية أحدث ما تناوله الشعر في عهده، واتجاه البارودي هذه الوجهة تطوير للشعر، وتخليص له من العموميات، ورجوع به إلى بيئاته الاقليمية، التي يقال فيها حتى يحمل روح هذه الاقاليم وخصائصها .

فقد ضيع النموذج العربي القديم الذي وضعه الشعراء أمامهم روح الاستقلال، وقضى على المعاشية للبيئة والعصر، فتشابهت قصائد الشعراء، وانتفت الشخصية الخاصة بالشاعر، فكنت لا تفرق بين قصيدة شامية وقصيدة مصرية وقصيدة مغربية، فالشعراء قد فقدوا روح الاستقلال، فعاشوا بأرواحهم في ربى نجد مارين بوادي العقيق وجبل رضوى، وتحدثوا عن كاظمة ووصفوا رحلة الابل وثغاء الشياه والنياق، واستعملوا الرماح والسيوف، حتى المعشوقات لم يذكرهن بأسمائهن فكن هند ودعد وليلى، والشعر إذا مسه التقليد، وفقد روح الصدق، ومعايشة الواقع، أصبح لغوا وثرتة، من هنا كان مؤرخو الأدب يناقذوه يعرفون للبارودي فضله رائداً من رواد التجديد الرفيق، وهو فضل شخصي لم يكن نتيجة تطور عام مس الحياة، ولو كان كذلك لوقف إلى جوار البارودي شعراء آخرون، فتقدم البيئة ينعكس على الجميع، ولكنها بادرة الفنان صاحب النفس الصادقة والموهبة الكبيرة، ولقد صدق الناقد الذي قال عنه: (إن فضل البارودي على عصره أكبر من الفضل الذي لعصره عليه).

ولكن هذه النقلة في الحياة وفي النوق لم تتم إلا بعد سنين طويلة، وتحت تأثير الاتصال بالعالم الغربي والأخذ بأسباب رقيه في العلم والثقافة والحضارة، وميزة البارودي هي أنه أرجع للشعر متانة الصياغة القوية التي تجعلك تحس أن قصيدته من الممكن أن تنسب إلى شاعر من فحول الشعراء القدامى، ذلك ان الركائز والعجمة كانتا من خصائص الفترة التي عاش فيها والميزة الأخرى الأهم هي أنه عاش بيئته وعصره فكان أن أحس بكيانه فردا في عصر غير عصور الشعراء القدامى، وأنه يعيش بيئة لا تمت إلى حياة الصحراء بصلة، قال - واصفاً حتى (روضة المنيل) في القاهرة متشوقاً:

**ليت شعري متى أرى روضة
المنيل ذات النخيل والأعناب .
حيث تجرى السفين مستبقات
فوق نهر من اللجين المذاب
قد أحاطت بشاطئيه قصور
مشرقات يلحن مثل القباب
ملعب تسرح النواظر فيه
بين أفنان جنة وشعاب
كلما شافه النسيم ثراه
عاد منه بنفحة كالملاط
ذاك مرعى أنسي وملعبُ لهوى
وجنى صبوتى... ومغنى صحابي**

وقيمة البارودي بالنسبة إلى عصره ترجع إلى أنه كتب الشعر بنفس المئانة التي كتبه بها الشعراء الفحول القدامى، وهو بمعارضاته لهم رد الثقة إلى نفوس معاصريه من أن شاعراً حديثاً يستطيع مجازاة الأقدمين، وهي خطوة نحو الاحساس بالشخصية لا بد منها للتحرر من أثر الأدب القديم والاحساس بالعجز أمامه، هذا فضلاً عن ظهور شخصيته الفنية فيما رسمه من مناظر مصرية صميمة، وذلك حينما تحدث عن مصر، ونيلها، ومزارعها، وآثارها .

فضلا عما تناوله من أحداث الثورة العربية التي

سَرِيَّةُ الْهَوَى إِلَى تَد

شعرية أقيمت في النادي مساء يوم الاثنين الموافق
١٤١٩/١/١هـ.

وتبوك ٠٠ المدينة السعودية الشمالية الرقيقة
المزدهرة، كنت قد أمضيتُ فيها بعضاً من سني
طفولتي وصباي بعد أن قدمت إليها رفقة والدي رحمه
الله ٠٠ الذي جاءها قاضياً من المدينة المنورة.

وهي بكرام أهلها وخصب ثراها وباسق نخلها
وعين سكرها التاريخية، لا تنسى مهما طال الزمن أو
قصر.

أهدي هذه القصيدة، تحية لمدينة تبوك التي تطف
بدعوتي لزيارتها:

أولاً: حضرة صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن
سلطان بن عبد العزيز، أمير منطقة تبوك، بمناسبة
الاحتفال السنوي بتقديم «جائزة تبوك للتفوق العلمي»
لعام ١٤١٨هـ. الذي أقيم يوم الثلاثاء الموافق
١٤١٩/١/٢هـ.

ثانياً: سعادة الأديب الجليل الأستاذ محمد بن عمر
عرفة، رئيس نادي تبوك الأدبي، للأشتراك في أمسية





شعر:

د. بهاء بن حسين عزي - جدة

كنتُ والصُّبُّ حولها تتحرراً
ها لَزَهُو ومن رآه ارتقاها
ولعمري فكم تمايبتُ شرقاً
ثم غرباً وما طعمتُ حلاها
باسقات، فليتهنُ تريثُ
— من لصب درى علُو ذُرَاهَا [٧]

وإذا الصُّبُّ عاد بالشُّوق يهفو
لحبيب ترى الهوى يتباهى
وإذا الربُّ شاء عوودة بر
لرؤوم فمن سِيرَجِي لقاها

جدة - ١٤١٨/١٢/٢٤ هـ الموافق ١٩٩٨/٤/٢١ م.

الهوامش:

- (١) داراً: المقصود بذلك مدينة تبوك.
- (٢) الكَفَى: الكَفُو أو الكَفُو وهو المثل والنظير.
- (٣) السكر: عَيْنُ السكر التاريخية التي جَفَّ ماؤها.
- (٤) الأيكة: الشجر الكثير اللثف، وكان كثيراً في تبوك خاصة حول عين السكر.
- (٥) الهيمان: الحب الشديد الحب.
- (٦) الصبَاء: الصغر والحدائق. اللدات: الرقاق، خاصة في عهد الصبَاء.
- (٧) باسقات: طويلات. وكان النخيل الباسقة كثيرة في تبوك.

ببوك

يا فؤادي أرحني .. قد جئت داراً
طالما اشتقت أهلها وثرأها [١]
قُمتُ تسري سرى المعنى بحُب
دام خمسين حجة ما سلاها
فهي سحر، وإن تناول عهد،
ظلّ فينا يشدُّنا لهواها
يا لحسناء كلُّما شاب جيلُ
شبُّ فيها جمالها وبهاها
ولعمري، فإن همرتُ بجسم
أنت مازلت بالشباب كُفاها [٢]
فترنم لها ترنم طير
جاء للسكر وانتشى من رواها [٣]
واعتلى الأيك حولها يتغني
وتعنى وخلُّه يتلاهي [٤]

يا فؤادي أراك هيمان أرض
لي فيها ربوعها وحماها [٥]
لي فيها طفولة وصبَاء
ولدتُ بهم زمانني تاهها [٦]
لي فيها حدائق وسواق
وعيونُ نيمرها لا يضاها
ونخيلُ جنيتُ منها سنيناً
طال شوقي إلى لذيذ جناها

زيد بن حارثة

ت ٨ هـ

وإن هبت الأرواح، هيجن ذكره
فيا طول ما حزنى عليه، وما وجل
سأعملُ نصَّ العيس في الأرض جاهدا
ولا أسأمُ التَّطواف، أو تسأمُ الإبل
حياتي، أوتأتى إلي منيتي
فكل امريء فان، وإن غره الأمل [٤]

ولما كان الشعر يَبْتُ على كل فم في الجزيرة
العربية، فإن هذه الأبيات الدامعة تصل إلى زيد، فلا
يملك إلا أن يرد عليها بقوله:

أحنُ إلى أهلى، وإن كنت نائياً
بأنى فقيد البيت عند المشاعر
فكفوا من الوجد الذى قد شجاكم
ولا تعملوا في الأرض نصَّ الأباغر
فإنى بحمد الله في خير أسرة
كرام معد .. كابرأ بعد كابر

فهو يتمنى أن ينعم في المناخ الذى يعيش فيه،
ويرجو أن يكفَّ البحث عنه، ولكن
لهفة الأب لم تكن تقدر على هذا،
فقد واصل القصص مع شقيقه عن
هذا الفتى المخطوف من وطنه



بقلم: أ. د. د. عبده بنوي
- مصر -

اسمه زيد بن حارثة بن شرحبيل من قضاة، وأمه
من طيء أصابها سبأ في الجاهلية، لأنها خرجت
لزيارته قومها بنى معن، وبينما هي تنهياً للقاء بفرح،
أغار عليهم خيل بنى القين بن جسر مع ابنها زيد،
وقد قدموا بابنها زيد إلى عكاظ، فاشتراه حكيم بن
حزام لعمة خديجة، وكان أن وهبته السيدة خديجة
للنبي (صلى الله عليه وسلم) [١].

والملاحظ أن له أكثر من خصيصية في الإسلام،
فقد اختار العبودية في القرب من الرسول على الحرية
مع أهله، فقد عرضه المخطفون في أكثر من مكان
للبيع، ويقال إنه في إحدى المرات رآه الرسول موقوفا
للبيع في البطحاء، وكان غلاماً صغيراً ذا نؤابة، فقص
رؤيته على السيدة خديجة، فقالت: كم ثمنه؟ فقال: سبع
مائة، فقالت عليك بشرائه، وحين حضر زيد، قال: أما
إنه لو كان لى لأعتقته، فقالت: هو لك فأعتقه [٢]، ولقد
كان أول فتى أسلم وصلى بعد على بن أبى طالب [٣]،
وبينما هو يعيش في هذا المناخ الطاهر، نرى أن أباه
كان يتفطر قلبه عليه، ويحاول التعرف على أى مكان
يكون فيه، ويقول في ذلك شعراً حزيناً تواتر في هذه
الفترة، يقول:

بكيتُ على زيد، ولم أدر ما فعل
أحى فيرجى .. أم أتى بونه الأجل
فوالله ما أدرى، وإنى لسائل
أغالك بعدى السهل، أم غالك الجبل
ويا ليت شعرى، هل لك الدهر أوية
فحسبى من الدنيا رجوعك لى بعجل
تُذكرني الشمس عند طلوعها
وتعرض ذكرها إذا غربها أقل



في مقدمة سيوفه لُنْصُرَةُ الإسلام، وما أَكْثَرُ السَّرَايا التي شارك فيها، وكان أميراً بها ولقد كانت غزوة مؤتة آخر الغزوات التي شارك فيها، والتي قدم على كل الأُمراء، فقد أخذ اللواء، وقاتل بجسارة وإيمان حتى قتل طعنًا بالرمح [٧] وحين علم الرسول عليه الصلاة والسلام دعا له، وقال «استغفروا لأخيكم فقد دخل الجنة وهو يسعى» [٨] وحين رأى ابنته بكى حتى انتحب، وحين رأى هذا سعد بن عبادَةَ قال معلقاً «هذا شوق الحبيب إلى الحبيب».

فكما عاش مُخْتَطَفاً في الحياة، كان لا بُدَّ من اختطافه إلى الجنة، ليظل واحداً من أحب الصحابة للرسول عليه الصلاة والسلام، وإذا كان لم يحفظ له الكثير من الشعر، فقد حفظ له الكثير في الجسارة والبطولة من أجل الإسلام.

الهوامش:

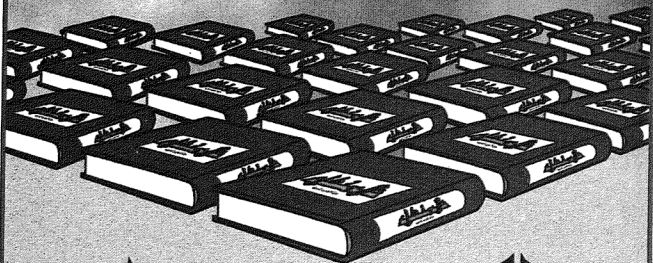
- (١) العقد الفريد ٩/٢
- (٢) سيرة أعلام النبلاء للذهبي ص ٢٢٣.
- (٣) السيرة النبوية لابن هشام ٢٦٤/٨.
- (٤) نفسه ٢٦٥/٨.
- (٥) فلما قضى زيد منها وطراً، زوجناكمها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً، وكان أمر الله مفعولاً (الأحزاب/٣٧).
- (٦) نفسه، وفي ابن هشام أن الرسول أخى بين زيد بن حارثة، وحُزْمَةُ بن عبد المطلب عمه - الدرر في اختصار المغازي والسير - ابن عبد البر، تحقيق شوقي ضيف ص ٩٧.
- (٧) قتل زيد بن حارثة الأمير الأول، ملاهيا بصدره الرماح، مقبلاً غير مدير، والراية في يده، فأخذها جعفر بن أبي طالب، الدرر لابن عبد البر، تحقيق د. شوقي ضيف ٢٢٣ ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.
- (٨) سير أعلام النبلاء ٢٢٩/١، صحيح البخارى ٦١١/٢.

وأُسْرته حتى اهتديا إلى مكانه عند الرسول» وهنا قالوا بلهفة: يا ابن عبد المطلب، يا ابن سيد قومه، أنتم جيران الله، تفكون العاني، وتطمعون الجائع، وقد جئناك في ابنتنا عبدك، فتحسن إلينا في فدائه، فقال عليه السلام: ادعوه، ويُخَبَّرُ بما تريدان، فإن اختاركما فذاك، وإن اختارني فوالله ما أنا بالذي اختار على من اختارني أحداً.

فلما جاء زيد، قال الرسول: خيرتكم إن شئت ذهب معهما، وإن شئت أقمت معي، فردَّ في لهفة، بل أقيم معك، فيعجب أبوه لأنه اختار العبودية على أبيه وأمه وعمه وبلده وقومه ولكن الفتى يبالي في إظهار ولائه، فيأخذ الرسول بيده، ويقوم به إلى حيث يكون الملا من قريش ويقول: اشهدوا هذا ابني وارثاً وموروثاً، فتهدأ أنفس الأب والعم والابن، وتهب على مكة مقدمات رسولية، ويعيش زيد مقرباً، ويعرف باسم «زيد بن محمد»، وحين يصبح صالحاً للزواج، يختار له ابنة عمته أميمة - أو أمية - ومع أن «زينب بنت جحش» وافقت على الزواج احتراماً لرأى الرسول، إلا أنها ضاقت بهذا الأمر نفسياً، وكان أن تعالت على زيد باعتبارها قرشية وهو من الموالى، وقد احس زيد بتبرمها بالحياة معه، وتطايير المودة والسكن من العش الجديد، وتodor الأحاديث حول الطلاق، وحول أن العرب كانوا لا يتزوجون من مطلقات أبنائهم بالتبني، وقصر المنع على مطلقات الأبناء من الأصلاب، ويكون أمر الله «ادعوهم لأبنائهم»، ويعرف زيد باسم زيد بن حارثة [٥] وبعد الطلاق يكون الزواج من الرسول ولسنا بحاجة إلى ما ذكره بعض المستشرقين في هذه القضية، فهي ابنة عمته، ولم يكن بحاجة إلى أن يعجب بجمالها بعد زواجها من زيد، وقد تكفل بالرد على هذا الدكتور محمد حسين هيك في كتابه محمد عليه الصلاة والسلام، ويكفي أنه الصحابي الوحيد الذي ورد اسمه في القرآن الكريم [٦]، المهم أنه عاش ابتداءً في بيت الرسول، وأن الرسول كان دائم التقدير له، فقد كان

المجموعة الكاملة
في ٧٢ مجلدا فاخرا

الآن



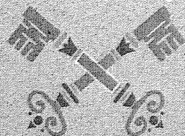
المنهل

AL MANHAL

مجلة العرب الأدبية

تصدر عن دار المنهل للطباعة والنشر المحدودة

المركز الرئيسي : جدة رمز بريدي ٢١٤٦١ ص.ب ٢٩٢٥ ت : ٢٤٣٧١٢٤ فاكس : ٢٤٣٨٨٥٣



مفتاحك لعالم الفكر والمعرفة

مجلة السائح العدد (١١٧)

في البلدان والعمارات ..
في التقاليد والأعراف
في تضاريس وجهاء الناس
السائح يستريح
الملاحق ويرسم التوحة

قبرص



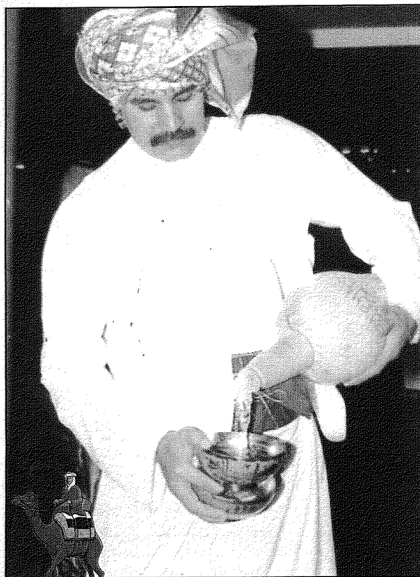
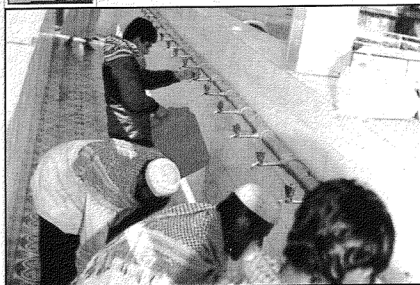
بلد الجبال والبحر



جولة في
وسط أمريكا

السائح

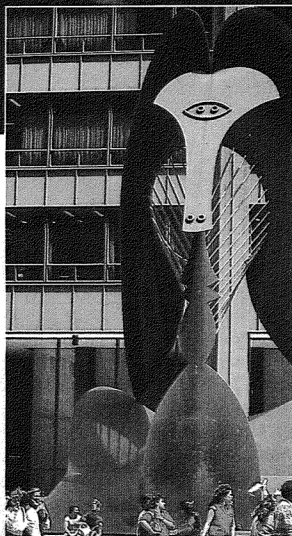
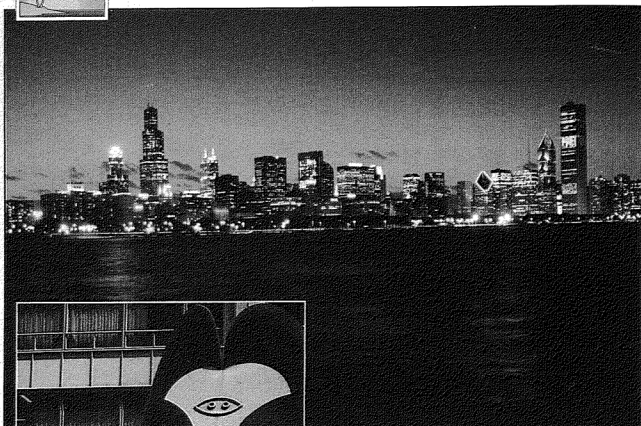




سقم... إنه ماء زمزم.
لقد ظل هذا البشر (بئر زمزم)
يتدفق ماء مباركا منذ ذلك التاريخ
وحتى يومنا والى ما يشاء الله أن
يتدفق... بل من السَّنة للزائر
والمعتمر والحاج أن يشرب منه بل
(ويتضلع من مائه) حسب تعبير
الفقهاء... وأن يتوضأ ويغتسل منه
مع صدق النية فان فيه كل الخير.
وظل بئر زمزم مكان عناية
أولي الأمر لتوفير الماء لراحة
الحجاج والمعتمرين والزائرين لبیت
الله الحرام.

وبلغت العناية به حدّها في
عهد خادم الحرمين الشريفين حفظه
الله ورعاه، فقد هیأت حكومة خادم
الحرمين الشريفين ماء زمزم مبرداً
وسهلاً للحجاج والمعتمرين
والزائرين، ومن خلال ٧٣٣
صنبوراً، بالإضافة الى البرادات
الموزعة في جميع أنحاء الحرم المكي
والمدني، ويبلغ عددها اكثر من ٨
آلاف براد في كل من شهر رمضان
وموسم الحج، ومن ضمن
التطويرات في ماء زمزم إقامة
مدخل للرجال ومدخل للنساء.

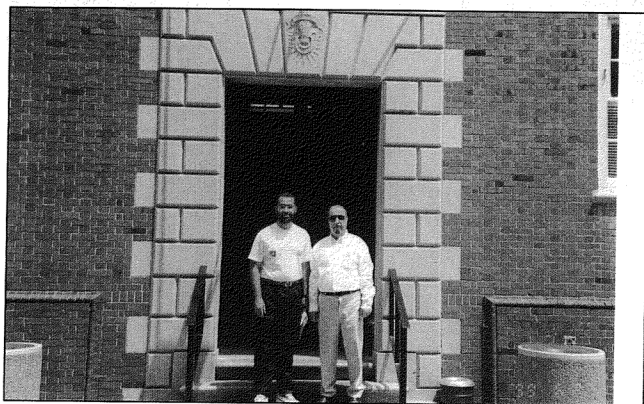
ويتم تبريد ماء زمزم في محطة
خاصة أمر خادم الحرمين الشريفين
بإنشائها وهى مجهزة بأحدث
التقنيات اللازمة لتوفير الماء
بالكميات الكافية، من خلال أنابيب
عالية التقنية ليظل ماء زمزم نقياً
من الشوائب.



مركز دالي يزينه تمثال الفنان بيكاسو

مدينة شيكاغو

قدما ويزورها ملايين السياح من داخل أمريكا وخارجها وقد أنشئت في عام ١٩٧٣م ويعمل فيها أكثر من ١٦٠٠٠ موظف وبها ٣٢ مصعدا ويعتبر هذا البرج من معالم المدينة وتتجمع حولها عمارات شاهقة أخرى وبخلنا الى هذا البرج مع جموع كبيرة وأخذنا تذاكر الصعود الى الدور ١١٠ بحوالي ثمانية دولارات للشخص دخلنا في البداية الى صالة عرض سينمائي عرضت تاريخ المدينة في فيلم وثائقي ثم مشينا في ممرات منظمة الى المصاعد واذكر ان رحلة الصعود أو الهبوط تستغرق حوالي السبعين ثانية فقط!! ومن هناك رأينا معالم المدينة بوضوح، مكثنا هناك قرابة الساعة ثم هبطنا وتوجهنا الى سيارتنا التي قضينا قرابة الساعة نبحث عن موقف لها في مواقف المدينة التي كانت احيانا تكلفه الوقوف فيها لساعات تماثل اجرة غرفة في فندق ٥ نجوم هذا مع صعوبة وجود الموقف




الاستاذ عبدالله الحقييل مع ابنه

وندرته في قلب المدينة واخذنا نتجول في شوارع وسط المدينة تارة بالسيارة أو نزرعها سيرا على الاقدام وقد سمعنا ان هناك بناية جديدة يجري تشييدها وستكون اعلى برج في العالم، ثم قمنا بزيارة لمتحف العلوم والاطفال الذي تشتهر به هذه المدينة لما يوجد فيها من تعريف بالحضارات القديمة والحديثة والعلم والتقنية، ثم ذهبنا الى المركز الاسلامي الذي تأسس عام ١٩٤٠م ولمنطقة كثرى التي تشتهر بالحلات العربية والإيرانية، ثم انطلقنا جنوب معالها ونهرها الجميل وكلما شاهدت الأنهار في اي مدينة تذكرت قول احد القدماء من الحكماء: «لا تسكن في بلد ليس فيه طبيب ولا نهر جار ولا خبز» فرحم الله آبائنا وأجدادنا الذين عاشوا في بلداننا رغم قسوة الحياة وصعوبة حياة الصحراء وشاهدنا الكثير من معالم الحياة الأمريكية والزوارق وتدير شركات سياحية سفنا سياحية تحمل الواحدة منها مئات الركاب وصعدنا فيها حيث تجولت بنا في عرض النهر بين أحياء هذه المدينة وقد كانت

نزهة ممتعة بين ركاب من جميع الأجناس والالوان وقد كان في المدينة وعلى ضفاف البحيرة مهرجان حضرناه اسمه (Taste Of Chicago) أو مذاق شيكاغو حيث تجتمع عشرات الجنسيات وتعرض مأكولاتها وقد كنا هناك بين مئات البشر من جميع الجنسيات المهاجرة من الشرق والغرب وهناك تشعر بحقيقة شيكاغو حيث تزدهم فيها جميع الجنسيات وعلى جوانب الشارع تجمع مهرجانون يبيعون البالون وعدد من قراء الكف والفنجان والخزعبلات وقد ارتادهم عدد من الفارغين يتأثرون ويصدقون ما يقولون - وكذب المنجمون ولو صدقوا - .

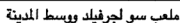
ومن الممتع أن يكتشف المرء هذه المدينة الكبيرة من خلال السير في شوارعها وأحيائها ونظام النقل السريع حيث يتدفق في الصباح أصحاب الاعمال الى وسط هذه المدينة بالقطارات والحافلات والسفن فهناك مد منتظم من القادمين من خارج المدينة للعمل بها كما انها مليئة بالاحداث في كل وقت وفي شوارعها الرئيسي

شبان / مختار ١٤٢٠ هـ - نوفمبر / ديسمبر ١٩٩٩م



«ميتشغن افينيو» تتجمع المناجر الفخمة
والانيقة ومجموعة من المراكات العالمية
والبنابات التي تلفت النظر وخلال التجوال
في المدينة وجدنا مطعما سعودي
طازج فابتهجنا بهذا العلم السعودي
والاقبال الكبير عليه وفي صباح الاثنين
١٤٢٠/٣/١٤ هـ الموافق ١٩٩٩/٦/٢٨
أفطرنا على عجل وحزنا حقايبنا ونزلنا
الى إدارة الفندق للحاسبة ثم نودع مدينة
شيكاغو وامطينا سيارتنا متوجهين الى
المدينة التي يدرس فيها الابن ماجد والتي
هي مقر «جامعة النوي» شامبين، وواصلنا
السير وسرنا عبر طريق مرقوم رقم ٥٧
والطرق في امريكا مسماة بأرقام تعيينها
وتحددنا إذ ان الارقام الفردية تتجه
شمالا وجنوبا بينما الارقام الزوجية تتجه
شرقا وغربا وما عليك إلا أن تخرج
الخريطة وتحدد المكان الذي تبتدىء منه
والمكان الذي تريد ان تنتهي إليه وتقف
على ارقام الطريق أو الطرق الواصلة
بينهما وبهذا يصل الانسان الى غايته دون
مرشد أو دليل ودون حاجة الى السؤال
فالخرائط متوافرة في مكاتب الاستعلامات
ومحطات الوقود المنتشرة على طول
الطرق، خرائط واضحة ومرقمة والطرق
جذ فيها المرء ما يمتعته ويشاهده من

مناطق جميلة وامكان سياحية واستراحات. لقد انطلقنا عبر الطريق ٥٧ واخذنا طريقنا نحو «شامبين» وقد حددت سرعة السيارات بحيث لا تتجاوز ٦٥ ميلا في الساعة نحو ١١٠ كيلا في الساعة ويلتزم المسافرون في هذه الطرق السريعة بهذه السرعة المحدودة كما يوجد في كل طريق سريع إذاعة خاصة به وفي زوايا هذه الطرق السريعة توجد سيارات رجال المرور الذين يراقبون حركة المرور وبسرعة خاطفة يتم ايقاف السيارة المسرعة ٠٠ وتوجد على جوانب الطريق



وخضرة طبيعية خلابة وقد طلبت من الابن ماجد ان ارى بلاد "الامش" على بعد ٤٠ ميلا وذهينا للمناطقهم حيث دخلنا منطقة من الريف الزراعي المعمور وابنية سكنية من طابق واحد ومن طابقتين وامتد الطريق يسير في سهل زراعي وهم قوم يرفضون كل جديد ويمتنعون الزراعة ولا يستخدمون الآليات الحديثة كالسيارة والكهرباء فمواصلاتهم عربات الخيل ويستخدمون الاشياء الطبيعية في مالكلهم وحياتهم وهم من

والبيوت ورؤية هؤلاء وتقاليدهم رغم طول الطريق كانت المزارع تغطي الأرض ومعظم الأراضي الزراعية منبسطة ثم عدنا أدرأنا بعد تمشية يوم حافل مقعم بالمنظر والمشاهد والذكريات والله في خلقه شئون .

وبعد زيارة لمدينة شامبين وتجول في معالمها ومناطقها وجامعتها العريقة وبحيراتها الجميلة وطبيعتها الخلابة وأسواقها التجارية التي تحفل بكل أنواع المنتجات والهدايا والتحف، كما تكثر بها المكتبات لوجود الجامعة بها ولعل أكثر ما يميز أهلها هو البشاشة - وبشاشة وجه المرء خير من القرى والترحيب الودود وتعاملهم اللطيف مع السائحين والطلاب مما جعلني أقول في قصيدة مطلعها:

يا حبدا أنت يا شامبين من بلد

وحبذا النهر والارياف والسمر

وبعد زيارة تلك المدينة، وبعد تمضية ايام ممتعة مفيدة في ربوعها، ودَّعت تلك الربوع مرددا قول الشاعر العربي:

بنفسى تلك الأرض ما أجمل الربى

وما احسن المصطاف والمتريعا

الكثوليك وقد نزحوا من أوروبا منذ ثلاث مائة سنة،
ومنتشرون في مناطق كثيرة من أمريكا مثل انديانا
ونيو يورك وبنسلفانيا وأولهم نزح الى أمريكا عام
١٧٤٨م ولا يستخدمون السيارة أو المنياع أو التلفاز أو
الهاتف. وقد سألت بعضهم عن صحة ذلك فقال: من
الممكن استخدام تلك الاجهزة في حالة الطوارئ
القصوى والامور الضرورية العاجلة، والإنارة لديهم
مصدرها الغاز ويعمل الطفل عند بلوغه السادسة في
الزراعة واطعام الخيل حتى تكبر مسؤولياته حين يتزوج
فيعطى قطعة ارض ليرثها ويعيش فيها ولا يلبسون
المجوهرات ولا يستعملون الماكياج ويطلق المتزوجون
منهم لحاهم وهذا يميز المتزوج عن غيره وقد رأيتهم
يسيرون مجموعات على اقدامهم في يوم الاحد وقد
عادوا من الكنيسة ويتعلم اولادهم الى المرحلة المتوسطة
أو الثانوية ويقدمون أكلاتهم الشعبية والمكونة من
الدجاج والبطاطا المهروسة وفطيرة التفاح وغير ذلك
من إعداد البيت ويستضيف البعض منهم الزوار مقابل
أجر قدره عشرة دولارات ثم يتوجه للعمل ولا داعي
لدخوله الجامعة وبعد جولة في تلك القرى والمزارع

قبرص بلد الجبال والبحر

مبانى تراثية ومتاجر تعرض المنتجات الحرفية التقليدية، ومنها السلع النحاسية والفضية ذات الطابع الشرقى الجميل. ومن أهم معالم نيقوسيا القديمة القصر الكبير، والواقع الى جوار كاتدرائية القديس يوحنا والمتحف البيزنطى، ويوجد في نيقوسيا ٢٥ فندقاً من مختلف الدرجات.

ولا يستطيع زائر نيقوسيا مغادرتها دون مشاهدة المتحف القبرصي وما يحويه من نفائس من بينها تمثال أفروديت إلهة الحب والجمال، متحف الفنون الشعبية، بوابة فاما جوستا، والمركز القبرصي للصناعات اليدوية.

کیا اسول :

تعد ليماسول ثاني أكبر مدن قبرص، ويزيد عدد سكانها عن ١٠٠ ألف نسمة، وهى في نفس الوقت أكبر ميناء بحرى في الجزيرة، والمركز التجارى الأول بها. حيث تم إنشاء مينائها الجديد الضخم بالإضافة إلى مرافق اللخوت.

تطورت ليماسول في السنوات الأخيرة فأصبحت المدينة السياحية الأولى في قبرص، بما تحويه من فنادق ومطاعم، ومتاجر، وملاهي، هذا بالإضافة الى الكرنفال والمهرجانات العديدة حيث لا يكاد يمر أسبوع خلال فصل الصيف إلا وتشهد المدينة مهرجانا جديداً بمناسبة عيد جديد... فهناك عيد الزهور وعيد الفاكهة.

ويوجد في ليماسول العديد من المزارات السياحية، من أبرزها متحف الآثار، ومتحف الفنون الشعبية، والقلة التي تم فيها عقد قران ريتشارد قلب الأسد العام

تعد قبرص من أكبر المراكز السياحية جاذبية في شرق حوض البحر المتوسط وهي تتمتع بطقس رائع وطبيعة خلابة وكرم ضيافة مبالغ فيه من أهلها الذين لا يستعملون كلمة "أجنبي" أو "غريب" بل يستعملون كلمة "ضيف" مما جعل نسبة كبيرة ممن يزورونها يقررون معاودة الحضور إليها.

ظلت قبرص التي تقع بين ثلاث قارات هي آسيا وأفريقيا وأوروبا هدفا للقادمن إليها من زوار وتجار وقراصنة وغزاة، وأصبحت الآن هدفا للسائحين ورجال الأعمال.

يمتد تاريخ قبرص الى أكثر من ٧٠٠٠ سنة قبل الميلاد حيث بها آثار تعود الى عصور ما قبل التاريخ، وفي القرن الثاني عشر قبل الميلاد جاء اليونانيون الى الجزيرة، ثم سيطر عليها الفراعنة والآشوريون والفرس والرومان وفتحها العرب وظلت يدهم الى ان سيطر عليها الصليبيون ثم أعاد فتحها المماليك وظلت تحت سيطرتهم الى أن أخضعها العثمانيون لحكمهم، وفي العام ١٨٧٨ قام الإنكليز باستئجارها من العثمانيين، ليشرّفوا منها على مصالحيهم في قناة السويس.

وفي العام ١٩١٤ احتلت بريطانيا الجزيرة واعتبرتها من مستعمراتها الى أن استقلت العام ١٩٦٠.

ومعالم قبرص متعددة لا حصر لها وأبرزها:
نستقوسها:

هي المدينة العريقة الواقعة في قلب الجزيرة،
وعاصمتها منذ القرن الثاني عشر بعد الميلاد، ويبلغ عدد
سكانها ١٥٠ ألف نسمة، وهي تتكون من نيقوسيا
القديمة التي يحيطها سور المدينة الفينيقي القديم المبني
في القرن السادس عشر، وشوارع المدينة ضيقة تحوي

اعداد : د. خالد عزب

- مصر -

An aerial photograph of the Los Angeles Valley, showing the city and surrounding mountains. The image is in black and white and has a grainy, historical quality. In the foreground, there are several large, light-colored buildings, possibly government or institutional structures, surrounded by trees and vegetation. The middle ground shows a dense urban area with numerous smaller buildings and roads. In the background, there are large, rugged mountains under a clear sky. A small inset image in the top left corner shows a close-up of a road or bridge structure.

جبال هيردوس في قبرص

فيروسات الطبيعة والجمال

من الفنادق القديمة في قبرص

وجبال قبرص لا تقدم فقط الثلج لرياضة الشتاء من كانون أول ديسمبر وحتى آذار مارس، بل إنها بطبيعتها الساحرة ونقاء وجمال هوائها البارد تعتبر جنة حقيقية لزوارها خلال بقية شهور السنة. وإنها الهدف الأول ليس فقط لعشاق جمال الطبيعة والاستجمام بل أيضا لعلماء النبات، والرسامين والفنانين وهي المكان الأمثل لإقامة المؤتمرات والاجتماعات. وتتميز منطقة الجبال هذه وأبرز بابلوس جنة صغيرة على الأرض حيث الطبيعة الساحرة المغلفة بالرداء الأخضر كزينة الزهور وأشجار الفاكهة وغابات الأرز والصنوبر وشلالات المياه.

الصورة البيانية في الشعر الأندلسي

الصورة البيانية وعناصرها:

لقد تفنن الشاعر الأندلسي في عرض معانيه الشعرية في صوره الفنية، متأثراً بذوق عصره ممزوجاً بذوقه الخاص. وقد كيّف نفسه مع أنماط الصورة الفنية، فظهرت في وضوح وجلاء في مختلف الأنماط، فاختار لتشكيل هذه الصورة ألواناً من التشبيهات، وأنماطاً من الاستعارات، ونماذج من الكنايات، ونوع في الصورة التشبيهية المركبة والمفردة والحسية والمجردة. ولم تكن الصورة الاستعارية عنده جامدة بل تنوعت طرق تشكيلها بين التشخيص والحوار لبث الحياة في الجماد وأضفى عليها جانباً من البديع ليحقق به الجمال الفني فتوسل بمختلف ألوانه، وإن غلب عليه الميل إلى المطابقة التي تدل على مغايرة الواقع ودلالاتها على رغبة الشاعر في تغيير ما حوله من أوضاع إلى ما يقابلها من ظروف وأحداث. فأمدتنا الصورة بالمتعة الفنية والمتعة الفكرية في تناسق وانسجام. كما استعان الشاعر بالحركة واللون والحواس.

الصورة التشبيهية:

التشبيه لون من ألوان التعبير الجميل المؤثر تعتمد النفوس البشرية حينما يدعوها إلى ذلك غرض أو آخر من الأغراض التي رصدتها البلاغيون القدامى والمعاصرون، فرسخوا بخصوصيتها آفاقه الرحبة التي اتسعت لفئات الأمة وطبقاتها لتحقيق مآربهم الفكرية

وخلجاتهم الشعرية ومقاصدهم اليومية [١].

وهذه الأغراض تتعلق في مجملها بركن المشبه وهي:

١ - بيان حال المشبه وذلك حين تكون صفة المشبه به معلومة وصفة المشبه مجهولة فيساق التشبيه لتمكين المخاطب من ادراك حال المشبه.

٢ - بيان مقدار حال المشبه وتجسيد قوته وضعفه وزيادته ونقصه وسُموه وانخفاضه إلى غير ذلك من الصفات التي تخضع للمقاييس والتحديد.

٣ - تعزيز حال المشبه، وتحقيق هذا الغرض بتوضيح حال المشبه في ذهن السامع وتمكينها من خاطره وذلك عندما تشبه الأمور المعنوية بالحسية المشاهدة عياناً والمتخيلة تحققاً.

٤ - تجسيد حال المشبه والترغيب فيه وذلك عن طريق الموازنة بينه وبين المشبه به ليستحسنه المخاطب.

٥ - تقبيح حال المشبه والتفخيم منه.

وقد اهتم العرب بالتشبيه كإداة للبيان تبرز الصفة الغالبة في المشبه أو المراد تغليبها عن طريق محاكاته أو تشبيهه ومقارنته بشيء آخر، وبهذا يكون دور التشبيه التعبيري هو نقل الصفة أو الصورة من

بقلم: د. قرش عبد القادر

- جامعة الجزائر -

الأكثر إلى الأقل في الأغلب. وهو ضرب من المحاكاة في صور الشاعر لما يريد التعبير عنه من المعاني عن معادل حسي من الطبيعة أو البنية المدركة بالحواس.

والصورة الشعرية تتفاوت بين مدركات الحس ومدركات العقل أي تتفاوت في الاعتماد على الحس أو التصوير الحسي القريب، أو في الاعتماد على التجريد العقلي. والتشبيهات فيها مادة غزيرة للكشف عن جوانب الحياة والطباع ومظاهر السلوك والنشاط الانساني، فضلا عن المشاهدات الغنية للطبيعة التي تعطى تجربة معينة.

ومن خلال التشبيهات نقع على أسرار كثيرة للشعراء ومظاهر نشاطهم، اذ فهي تكشف عن بيئة الشعراء وتقف على أسرار الحضارة وجوانبها المختلفة من تقاليد وعادات وأذواق وسلوك وأخلاق.

والتشبيه هو علاقة مقارنة تجمع بين طرفين لاتحادهما أو اشتراكهما في صفة أو حالة أو مجموعة من الصفات والأحوال، وهذه العلاقة قد تستند الى مشابهة في الحكم أو المقتضى الذهني الذي يربط بين الطرفين، دون أن يكون من الضروري أن يشترك الطرفان في الهيئة أو في أكثر من الصفات المحسوسة[٢]، والم مشابهة بين الطرفين سواء كانت قائمة على أساس حسي أو معنوي، فالعلاقة الرابطة هي علاقة مقارنة.

والتشبيه هو اخبار بوجود الشبه الذي هو اشتراك الطرفين في صفة أو أكثر، ويقوم على ملاحظة نوع من النسبة المنطقية بين الاطراف، أي أن طرفي التشبيه لا تتداخل معالمها، والمظهر العملي لهذا التمايز هو أداة التشبيه فهي الحاجز المنطقي الذي يفصل بين الطرفين ويحفظ لهما صفاتهما الذاتية المستقلة حتى ولو حذفت الأداة فان افتراضها يظل قائما[٣] والتشبيه على عكس الاستعارة التي تلغي الحدود بين الطرفين.

طبيعة التشبيه ودوره في تشكيل الصورة:

هو ثمرة مخيلة الانسان التي يغذيها تباين

النفوس ويشبعها اختلاف البيئات ويلونها بتجديد التجارب[٤]. وقد انتبه (علي الجندي) الى طبيعة التشبيه فتحدث عن المصدر الحقيقي المتفجر بالتشبيهات الأصلية فقال: (ان التشبيه مبني على ما تلمسه النفوس من اشتراك بعض الأشياء في وصف خاص يربط بينها... وهو في الواقع عملية أساسية في التفكير)[٥].

وقال عبد القاهر الجرجاني عن التشبيه بأنه قياس يجري فيما تعيه القلوب وتدركه العقول وتستفتي فيه الافهام والأذهان لا الاسماع والأذان[٦].

والبراعة في التشبيه اقترنت بالفطن الى العلاقات الخفية بين الأشياء ورصدها[٧]، فبراعة الشاعر عند عبد القاهر تشتمل في ايقاع الائتلاف بين الأشياء المختلفة ولكي يصل الشاعر الى هذا الائتلاف لابد أن يكون حاذقا دقيق الفكر لطيف النظر لأن ايقاع الائتلاف بين المختلفات في الأجناس انما يقوم على مشابهة لها أصل في العقل بيد أنها خفية لا يستطيع أن يصل اليها الا الخاصة ممن تقوى عندهم ملكات الفكر والتصور والاستنباط[٨] فالبراعة تتوقف على القدرة الذهنية، والتخيل عند الشاعر والجهد المبذول ليقف على حقائق الأشياء التي يصفها ويتعرف عليها ويكون في ذلك أثر من نفسه فيتأثر ويؤثر فبمجرد أن يكون الانسان على علاقة بشيء فانه يتولد لديه انفعال ازاءه، فيحدد المشاعر والانفعالات التي تربطه بذلك الشيء[٩]. والشيء الذي يضطر الشاعر الى التشبيه هو الحاجة الى التعبير عن العلاقة بين الأشياء والعلاقة بين الأشياء والمشاعر[١٠]. وهذا ما يمكن أن نطلق عليه تفاعل الذات الشاعرة مع الموضوع أي تفاعل الذات مع العالم الخارجي وقدرتها على تعديل هذا العالم وإعادة تشكيله. ويبدو أنه كلما كان التباين بين الطرفين بينا كان تأثير التشبيه في النفس قويا. ومن هنا لابد من تأكيد دور الأديب في صناعة التشبيه والتماس حالته النفسية ولوقه وبيئته الخاصة في الكيفية التي أخرج عليها تشبيهه[١١].

وتكمن بلاغة التشبيه في مضاعفة قيمة المعاني وتحريك النفوس الى المقصود بها . وقد نرى ما يحصل للنفس من الانس باخراجها من خفي الى جلي كاخراجها مما لم تألفه الى ما ألفتة كالانتقال من المعقول الى المحسوس [١٢]، والتشبيه كما يقول أحمد مطلوب بأنه حدث لغوي وعملية ذهنية عمادها طريق التخيل في تصوير تجربة الشاعر [١٣] .

ومن هنا تتضح حقيقة التشبيه بأنه صورة شعرية والنظر اليه يكون من خلال مفهومها فلا ينظر الى التشبيه من خلال كل حقيقة اذا كانت مجردة أو حسية وانما من خلال عملية التقريب والجمع بحد ذاتها ومع موقع هذا الجمع داخل السياق العام وما يمكن للعلاقة الجديدة المستحدثة، ان تولد من احياءات ومدلولات [١٤]، فطبيعة الصورة المثبتة في المشبه به هي التي تحدد ميولنا تجاه المشبه وذلك لأنها تمثله أمامنا وعلى أساس هذا التمثيل ينظر اليه، ومن هنا يتضح لنا بأن العملية كلها تدور حول وجه الشبه الذي يشترك فيه طرفا التشبيه، وقد قال البلاغيون بأن الشيء يشبه بالشيء في أمور كثيرة منها ما هو من البيئة أو الحياة الاجتماعية أو الحالات النفسية ويشبه أيضا بالصورة والشكل والحركة والفعل واللون والطبع [١٥] . ووجه الشبه في حقيقته الفنية هو ثمرة لأحاساس الاديب بما يجمع المشبه الذي له معه تجربة مخصوصة مع المشبه به الذي يثير في نفسه ووجدانه ما يفيض في تشبيهه تماسكا عاطفيا وتجاوبا شعوريا بين طرفيه [١٦]، ووجه الشبه اما أن يكون بينا لا يحتاج الى تأويل واما أن يكون محصلا بضرب من التأويل . والتأويل مساحة شاسعة من التأمل والتدبر يجول فيها الفكر ويرودها التبصر بحرية، وهذه المسألة الفكرية التأملية تظهر أكثر في التشبيه البليغ الذي حذفت منه الاداة ووجه الشبه وفي التشبيه الخيالي والتمثيلي والتركيبي، وسيوضح كل ذلك من خلال دور التشبيه في خلق الصورة الأندلسية والاتجاهات التي

توسل بها الشاعر في فترة البحث .

دور التشبيه واتجاهاته في تشكيل الصورة الأندلسية:

١ - الاتجاه التوضيحي اللفظي:

تتحصر أبعاده بما يمكن أن يوضح من مزايا المشبه، ويمكن أن نسميه بالصورة المفردة أي ما يكون فيها التشبيه حاصلًا باعتبار صورة بصورة أو معنى بمعنى والشاعر فيه لا يقوم بمجهود تصويري خلاق بقدر ما يتولى تنبيه القارئ الى زوايا نظر جديدة تعوض فيها الصورة الموصوف [١٧]، لأن الشاعر انتقل من نقطة الى نقطة في نفس العالم، كأن يصف محسوسا بمحسوس أو يصف مجردا بمجرد [١٨] كقول ابن حمديس يصف خيل الأمير ويعدّد أوصافها .

أو أشعل كالسيد عرض ساجحا

فحسبته بالايطلين غزالا

أو ادهم كالليل اما لونه

فلكم تمنى الحسن منه خيالاً [١٩]

ونورد مثالا آخر لابن عبدون يصف فيه السيوف يقول:

فيوردها ظمء وهي ماء

ويصدرها رواء وهي نار [٢٠]

ويقرضها اعدايه لجينا

وترجع وهي لوسلمت نضار

فهو يشبه السيوف في نضاعتها وبياضها بالماء قبل أن تسلط على الأعداء، ولما تسلط عليهم يشوبها لون الدم فتصبح شبيهة بالنار في اللون وكان هذه السيوف تكون عطشى لتركع من دم الأعداء فترتوي ثم يعوض هذه الصورة بصورة أخرى للتوضيح والافهام، فيقول عندما يسلمها على أعدائه فلونها يكون شبيها باللجين الأبيض ولما ترجع تصبح شبيهة بالذهب

ويقول عن شخص مهفّف يختال في ابراده شبه خفقات جوانحه بحركات جفونه فالصورة فيها ابداع وجمال وقد استخدم لها أداة التشبيه الفعل، حاكيت، يقول:

وعاينت في مرآة وهمي خدّه
فحاكيت فعل جفونه بجوانحي [٢٦]
لا غرو أن جرح التسوّم خدّه
فالسحر يفعل في البعيد النازح
قامت عليّ شواهد من حبه
فأرى الكناية فيه كالانفصاح

وهذا النوع من التشبيه تكون العلاقة فيه بين طرفيه بيّنة واضحة تترك من دون تأويل فهو تشبيه الشيء بالشيء من جهة الصورة والشكل نحو: أن يشبه الشيء إذا استدار بالكرة في وجهه وبالحلقة في وجهه آخر، والتشبيه من جهة اللون كتشبيه الخود بالورد والشعر باللبل والوجه بالنهار... أو جمع الصورة واللون كتشبيه الثريا بعنقود الكرم المنتثور... وكذلك التشبيه من جهة الهيئة كتشبيه القامة بالرمح [٢٧].
كقول الشاعر الطليق القرشي متغزلاً:
أنت كالبلدر يرى الليل به
مؤنسا وطورا موحشا [٢٨]

الاتجاه التصويري:

يفيد إبراز صورة حسية تسهم في تثبيت هيئة المشبه في الذهن وتتجلى قيمة هذا التشبيه في الناحية التصويرية المظهرة لصفات المشبه [٢٩]، فالشاعر في هذا الاتجاه ينتقل من نقطة في عالم إلى نقطة أخرى تنتمي إلى عالم آخر، كأن يصف محسوساً بمجرد أو مجرداً بمحسوس فسمي هذا تحويلاً لأن الشاعر يولد من الموصوف صورة مختلفة يعمل الخيال كثيراً في بلورتها [٣٠]، كما نرى ذلك في إحدى صور الأعمى التطلّي التي تعرض فيها لوصف الصحراء، وهو يرمز بها إلى حالته النفسية ومعاناته البائسة وظروفه

الأحمر. وهذه الصورة نقلها من بيت أبي الشيص:
فاوردها بيضاً ظمأ صدرها
وأصدرها بالري الوانها جمر [٢١]

وكذلك نورد قول الشاعر ابن صارة وهو يستدعي إلى مجلس أنس يقول:

لا تدعني في كف الزمان سدى
كالقوس عطلها الرامي من الوتر [٢٢]
وقد تلىّ الليلي بعد قسوتها
ويسمح الورد بعد الشوك بالزهر

وقوله أيضاً في صورة تشبيهية أخرى مصدرها الإنسان والطبيعة:

ويستان ورد في مطارف سندس
يرف على غيد السوالف ميّد [٢٣]
نظرت إليه في الكمام فخلته
نواذب تبر عمّمت بزرجد

ومن الصور التوضيحية التي لجأ إليها الشاعر إلى التفصيل في اللون والاصباغ ما تراه عند ابن خفاجة في وصف فرسه الأشقر:

وأشقر تضرم منه الوغي
بشعلة من شعل الباس [٢٤]
من جلنار ناضر لونه
وأننسه من ورق الأس
يطلع للغيرة في شقرة
حبابة تضحك في الكأس

ونجد صوراً كثيرة في وصف النارنج من حيث لونه وشكله وأغصانه يقول ابن صارة الشنتريني:

أجمر على الأغصان زادت غضارة
به أم حلود أبرزتها الهوادج [٢٥]
وقضب تثنت أم قسود نواعم
أعالج من وجدي بها ما أعالج

وتساقب منه حية غير أنها
تطول على قدر الساق وتعرض
له رعدة تعتاده في انحداره
كما تبسط الكف العنان وتقبض
كأن له في الجسم روحا اذا جرى
به نهضة والجسم بالروح ينهض[٤٥]

ويتوسل الشاعر الأندلسي بألوان الزهور لخلق
الصورة المركبة الطريفة فيبدع في ذلك، فاللون الأحمر
في الورد يذكر ابن الليانة بخد الحبيب يقطر خجلا
يقول:

والورد تحت الطل فيها مشبه
هذا ينوب من الحياء فيقطر[٤٦]

واللون الأحمر أيضا عند الأندلسيين مصحوب
بالدم والجراح والقتال يقول ابن الرقاق:

والفصن فوق الماء تحت شقائق
مثل الأسنة خضبت بدما[٤٧]

ونجد أمثلة أخرى للصورة الأندلسية المركبة في
تشبيه المفرد بالركب والمركب بالمفرد أي أن المشبه به
أو المشبه يتألف من عدة أمور مركبة كقول أبي الحسن
جعفر بن عثمان المصحفي:

كأتما السوسان صبّ منصف
لعبت يدها يجيبه المشقوق
يوم الوداع ومزقت أثوابه
جزعا عليه ايما تمزيق[٤٨]

ومن الصورة المركبة ما نجدها عند ابن بقي في
قوله وهو يمدح:

أقبلت بالجيش مملوما كتابه
كأنك البدر تحت العارض الهطل[٤٩]
في فتية كسيوف الهند أنحلهم
حب الموارم والخطية النبل

وكان البحر إذ طلعت نكاء
ولاح بمنته منها شعاع
جيوش في السوايق قد تبدى
لبيض الهند بينهما التماع[٤٩]

وابن الرقاق يتصيد الصورة المركبة فيعتمد على
المقارنة والمطابقة في تصنيع صوره ويتجلى ذلك في
قوله:

نشر الورد في الغبير وقد د
رجته بالهيوث نشر الرياح
مثل درع الكمي فرقها الطعن
فسالت به دماء الجراح[٤٩]

ويعكس الصورة للمبالغة فيقول:
والسيف دامي المضربين كجدول
في ضفتيه شقائق النعمان[٤٩]

ومن الصور التركيبية الطريقة المبتكرة والتي فيها
طاقة تصويرية وتخليّة ما نجده عند الرصافي النبلسي
من لوحات وصفية منها وصف نهر تظله شجرة:

ومهدّل الشطين تحسب انه
متسلسل من درة لصفائه
فأت عليه مع الهجيرة سرحة
صدئت لقيثتها صفيحة ماء
فتراه أزدق في غلالة سمرة
كالدرع استلقى بظل لوانه[٤٤]

ويكثر الخيال الدقيق في الوصف عند ابن حمديس
فيرسم الصورة المركبة تركيباً جزئياً أو كلياً ويستوفي
في عناصرها فيقول واصفا جدولا ينبعث من عين ماء:

ومرو صدى الروضات يسحب داثبا
على الأرض منه جملة تتبعض
إذا ما جرى واهتز للعين مزيدا
حسبت به فروا من النشر ينفض

وتيموا بعيون غير فاترة
من الاسنة لم تهجع مع المقل
ان لا تكن أعينا نجلا فان لها
في أضلع القوم مثل الأعين النجل

فالمذوح وسط كتائب جيشه شبهه باليدر وسط
المطر فهو يظهر رغم كثافة المطر، ثم يعود الى أفراد
هذا الجيش فيقول فتية كسيوف الهند خفة واستقامة
قد اتحلهم حب السيوف والرماح وهم دائما يقضون
منتبهون أعينهم حادة مثل الاسنة الحادة التي
يتقلدونها والتي تحفر في أضلع الاعداء حفرا شبيهة
بالأعين النجل الواسعة. فهذه الصورة المركبة
مصدرها الحرب وأجواؤها رغم أنها في المدح، ونرى
صورة أخرى عند ابن سوار وهو يمدح:

أغر طليق الوجه يهتز للندى
كما اهتز مصقول الفرند يمانى [٥٠]

ومن الصور التشبيهية المركبة التي مصدرها
الإنسان وأحواله وصفاته تشبيه ابن البانة اللورد الذي
يقطر منه الماء كالخدر الذي يذوب من الحياء فيقطر، ثم
يخصص من هذا الورد النرجس ويمنحه صفات
الشاعر، انه خجل مثله فعلا صفحة اللون الأصفر يقول
في هذه الأبيات:

والورد تحت الطل فيها مشبه
خدا يذوب من الحياء فيقطر [٥١]
وكأن نرجسها أصيب بروعتي
فعلا لون مثل لوني أصفر
فكأنما الريحان روجي كلما
تغير الأشياء لا يتغير

ونجد الصورة الطبيعية المركبة التي مصدرها الآلة
الحربية في قول ابن البانة:
وما هو نهر أعشب التبت حوله
ولكنه سيف حملائه خضر [٥٢]

وهناك الصورة المركبة التي مصدرها الحضارة
كقوله أيضا وهو يمدح ناصر الدولة صاحب جزيرة
ميورقة فيقول:

وغمرت بالاحسان أفق ميورقة
ونيت فيها ما بنى الاسكندر [٥٣]
فكأنها بغداد أنت رشيدها
ووزيرها وله السلامة جعفر

ومن الصور المركبة التي مصدرها جو الحرب
ينتقل الشاعر الى جو الطبيعة فيأخذ تشبيهاته منها
كقول ابن الزقاق وهو يشبه مركبا بمركب:
والسيف دامي المضربين كجندول
في صفتيه شقائق النعمان [٥٤]

وأحيانا يذهب الشاعر بعيدا في الصورة المركبة
ليقربها الى الأذهان والافهام فيستعين بصورة أخرى
للتفصيل في الشكل واللون والفعل يقول ابن صارة:
يارب، نارنجة يلهو النديم بها
كأنها كرة من أحمر الذهب
أو جنوة حملتها كف قابسها
لكنها جنوة معلومة الذهب [٥٥]

وهناك صورة جميلة يرسمها ابن صارة للبدن
يشكلها من اللون يقول:
انظر الى البدن واشراقه
على غدير موجه يزهر [٥٦]
كمشحذ من حجر أخضر
خط عليه ذهب أحمر

ونجد عند ابن السيد البطليوسي المشبه مركباً
والمشبه به مفرداً يتألف من صورتين للتفصيل يقول:
تري ليلنا شابت نواصيه كبرة
كما شبت، أم في الجوروض بهار؟ [٥٧]

الأغصان التي تعيث بها الرياح، وما يضيئ ذلك على الإنسان من الهوى والرضي، ويستعمل الشاعر لذلك الألوان الزاهية لتكتمل الصورة، وقيمة هذه الصورة تبدو فيما تمتاز به من التأكيد على الجانب المتفائل للحديث عن الشراب ووصف بعض مظاهر الجمال، حتى جاءت الصورة مرآة للشاعر نفسه ونقطة إشعاع للأمل والنور، ويظهر ذلك واضحا في حالة الشاعر ومظهره حين يغمر الفرح نفسه، فالشاعر في هذه الصورة استعان بالحركة والصوت والألوان واسقاط حالة الحماسة على حالته ومشاعره فالمعيار الأول في التشبيه هو الحماسة في حالة غناها والمعيار الثاني الذي يوضح الأول هو خريف الماء وتكرسه في الجدول.

التشبيه التمثيلي:

هو التشبيه الذي يجعل فيه وجه الشبه بضرب من التأويل وتكون مساحة التفكير واسعة والخيال فيه أعمق، وهو تشبيه الصورة للدلالة على طبيعة وجه الشبه ذلك لأن الصفات التي ينتزعها من طرف التشبيه لتجمع بينهما تلتقي خطوطا والألوان وهيئة وحركة لتشكل صورة مشتركة جديدة لا هي محضة للمشبه ولا هي خالصة للمشبه به، فتشبيه الصورة هو الذي جاء فيه وجه الشبه صورة منتزعة من عدة أوصاف متمازجة في كيان موحد وهذا النوع من التشبيه له تأثير في النفس [٦٢]، ويكون وجه الشبه محتاجا إلى تأويل والمعنى يتمثل أمام أعيننا كأنه يحدث ويتحرك بما يضيف عليه من الحياة والحيوية وبما يدخل فيه من جمل تكون بانتلافها مجموعة الصورة [٦٣]، وأثر التمثيل يظهر في نقل النفس من العقلي إلى الحسي والوصف يحتاج إلى إقامة الحجة على صحة وجوده في نفسه وزيادة التثبت [٦٤]، وللتمثيل تأثير في المتلقي ويقول في ذلك عبد القاهر الجرجاني «إن المعنى إذا أتاك ممثلا فهو في الأكثر ينجلي لك بعد أن يحوجك؛ إلى طلبه بالفكرة وتحريك الخاطر والهمة في طلبه» [٦٥].

ونفس الشيء عند ابن بقي القرطبي في قوله:

ألا أنما الدنيا كراح عتيقة

أراد مديروها بها جلب الأنس

فلما أداروها أثارث حقودهم

فعاد الذي راموا من الأنس بالعكس [٥٨]

فالتشبيه المركب أو الصورة المركبة يكون طرفا التشبيه فيها هيئة حاصلة من عدة أمور متداخلة أجزاءها بعضها ببعض فالشاعر عندما يستخدم التشبيه المركب يدخل في التفصيل كما يقول عبد القاهر الجرجاني «فإن متى زدت في التشبيه على مراعاة وصف واحد أو جهة واحدة فقد دخلت في التفصيل والتركيب وفتحت باب التفاصيل ثم تختلف المنازل في الفضل بحسب الصورة في استفادك قوة الاستقصاء أو رضاك بالعفو دون الجهد» [٥٩]

ويضيف عبد القاهر «إن مما يزداد به التشبيه دقة وسحرا أن يجيء في الهيئات التي تقع عليها الحركات، والهيئة المقصودة في التشبيه على وجهين: أحدهما: أن تقتزن بغيرها من الأوصاف كالشكل واللون ونحوهما والثاني: أن تجرد هيئة الحركة حتى لا يراد غيرها» [٦٠] ويمكن أن نضيف إلى الصورة التركيبية التشبيهية استقصاها للمعاني من خلال التفصيل فابن حمديس يصف حمامة يقول:

وناطقة بالراء سجعاً مرددا

كحسن خريز من تكسر جدول

مفردة في القضب تحسب جيدها

مقلد طوق بالجمان المفضل

إذا ما أمحي كحل الدجى من جفونها

دمتك إلى كناس الغزال المكحل [٦١]

هذه الصورة واضحة الدلالة في تصور الشاعر للحمامة فهي مخلوق مفرد يشيع الحيوية والبهجة، ويسري عن النفوس حزنها وأسائها ويضعها أمام الجوانب المشرقة من الحياة، والتي تتمثل في خريف الماء وأنسيابه عبر الجداول وتغريد الطيور وأنشادها على

والدراسة التي دارت حول التشبيه التمثيلي استقرت حول وجه الشبه بين الأفراد والجمع والتركيب فوجه الشبه المفرد قد يكون حسياً أو عقلياً، ووجه الشبه المركب تركيباً اعتبارياً يجعله بمنزلة الواحد بأن يكون حقيقة ملتزمة وأوصافاً مقصوداً من مجموعها هيئة واحدة، وهي اما حسية أو عقلية، وهناك وجه الشبه المتعدد أي يذكر الشاعر عدداً من أوجه الشبه [٦٦]، ونجد في هذا الاتجاه التصويري نماذج كثيرة في الشعر الأندلسي، في فترة بحثنا هذا نكتفي ببعض منها، فابن حمديس يصف زهرة الشقائق قائلاً:

فلم تر عيني بينها كشقائق

تلبلها الأرواح في القضب الخضر

كما مشطت غيد القيان شعورها

وقامت لرقص في غلائلها الحمر [٦٧]

- ويشبه ابن أبي العافية السوسن فيقول:

كأنما السوسن الغض الذي افتتحت

منه كمانه المبيضة اللون

بنان كف فتاة قط ما خضبت

تلقى بها من يراها خيفة العين [٦٨]

- وقول ابن سهل في وصف حبيبته:

مستحسن الأوصاف ممنوعها

فلا ترمه بسوى الفكر

كالماء في السحب وكالدُر في الد

أصداف والشادن في القفر

در ثنائيه وألفاظه

فلق بـوه الكوكب الدري

كأنما الخال على خده

سواد قلبي في لحظي الجمر [٦٩]

- شبه مفاتن الحبيب بأوصاف حسية استمدتها من مظاهر بيئته، وهناك تشبيهات تمثيلية مصدرها الطبيعة كقول الأعمى التليبي:

والناس كالناس الا ان تجربهم

والبصيرة حكم ليس البصر [٧٠]

كألايك مشتبهات في منابتها

وانما يقع التفضيل بالثمر

- ومن الصور التمثيلية ما نجده عند ابن اللبانة:

يروك في أهل الجمال ابن سيد

كترجمة راقت وليس لها معنى [٧١]

حكي شجر الدفلاء حسنا ومنظرا

فما أحسن المجلى وما أقبح المجنى

- وكقوله يمدح:

الأرض حاجتها اليك بطبعها

كالعين حاجتها الى الانسان [٧٢]

عالج بسيفك ما وراء بحورها

فعليها في أصعب البحران

- فالتشبيه التمثيلي أكثر تركيباً وأوسع عطاءً في رسم الصورة، يشهد للشاعر بالبراعة والمقدرة على التشكيل فهو ظاهرة بارزة عند الأندلسيين. حيث تتكون الصورة من أجزاء متعددة في كل من طرفيها حتى يحقق الملتقى الامتاع الحسي والاشباع الفني، وتحتوي كل صورة تشبيهية تعتمد على التمثيل على عناصر وجزئيات مكونة لها وتفصيلاً تركيبية أو حركية تقوم بدورها الذي وظفها الشاعر فيه لتوضح ما سبقها وتؤكد وتبين ما خفي فهمه. فالشاعر يوضح أثر المشبه في نفسه ثم يصوغ هذا الأثر في صورة ينسج خيوطها من البيئة مثلاً أو من غيرها. ويتوسل لرسم الصورة التمثيلية برصد الحركة فيصور اهتزاز النبات وترنحه ضاحكا وسط روضته الخضراء بصورة الشارب المترنح من النشوة، حيث تعتمد الصورة على رصد الحركة بين الطرفين وتنمو الصورة في التشبيه التمثيلي فيجعل الشاعر المشبه به أكثر من صورة وأكثر من جزئية إعاناً في الابانة والايضاح، وعلى

سنتناول في هذا البحث بنية الاستعارة كصورة محددة المعالم ونذكر أوجهها المستخدمة في الشعر الأندلسي، وعلاقتها بأركان الصورة البيانية الأخرى ولا يهمننا كل التحديدات التي لحقت بالاستعارة عبر العصور بقدر ما يهمننا استخلاص وتحليل بنيتها وتوظيفها والدور الذي تلعبه في التعبير. فالاستعارة جزء من عملية المجاز وجوهرها يقوم على عملية الانتقال من دلالة إلى دلالة والعلاقة التي تربط بينهما هي علاقة المشابهة، إذا فالانتقال والمباشرة هما ركنان أساسيان في تكوينها [٧٤]، وقد عرفها الجاحظ بقوله: «الاستعارة تسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه» [٧٥] وهذا التعريف لا يوضح أركانها وخصائصها. وعرفها ابن المعتز تعريفاً لا يميزها عن المجاز بشتى أنواعه ولكن عبد القاهر الجرجاني ميزها عن المجاز المرسل فقال (الاستعارة أن تريد تشبيه الشيء بالشيء وتظهره وتجيء إلى اسم المشبه به فتغيره المشبه وتجره عليه) [٧٦] وهذا التعريف يقتصر على الاستعارة التصريحية فقد حصرها في المشبه به بينما المكنية هي تشبيه حذف منه المشبه به. ولكن السكاكي يعرفها فيضم نوعيها، يقول:

«وهي أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتزيد به الطرف الآخر مدعياً دخول المشبه في جنس المشبه به دالاً على ذلك بآثباتك للمشبه ما يخص المشبه به» [٧٧] والاستعارة وجه بلاغي تنتقل به دلالة اللفظة الحقيقية إلى دلالة أخرى لا تتناسب مع الأولى إلا من خلال تشبيه مضمّر في الفكر [٧٨] وتتكون الصورة الاستعارية من عملية الجمع والتقريب بين حقيقتين متباعدتين ويكون عنصر التماثل أو المشابهة عنصراً مميزاً للاستعارة عن باقي الأوجه البلاغية.

أقسامها:

وقد قسمها البلاغيون باعتبار ما يذكر منها من الطرفين إلى استعارة تصريحية واستعارة مكنية، فالتصريحية هي ما صرح فيها بلفظ المشبه به دون

المتلقي أن يختار أقرب الجزئيات المصورة المؤثرة فيه وقد ترك الشاعر الاختيار لنفسه عندما يستخدم أداة العطف - أو - بين طرفي صورته، فيما مضى معنا من الصور التشبيهية نجد الرؤية التشبيهية متضحة عند الشاعر الذي سخر خياله لأدراك ما خفي من العلاقات بين الأشياء في رسمه للصور التشبيهية التي وقعت عليها حواسه وخوالجه فلم يصفها الشاعر بمعزل عن شعوره وعواطفه بل مزج تصويره بعاطفته وأحاساسه فطابق جوه النفسي بجوه الفني وبرزت ألوان صورته ملانمة بين الشعر والشعور وخرجت عنده درجات عديدة بين التشبيهات الحسية والمعنوية والمفردة والمركبة استلهم بعضها من وحي التراث وجدها فيها بما أملت عليه متطلبات التطور في عصره وابتكر في بعضها فأتى بصور تشبيهية بارعة. فشكل المادي المحسوس عنصراً بارزاً في التشبيه فعقد الصورة بين طرفين محسوسين أتى بها من الواقع، وتمثلت الصور المركبة في البيتين أو البيت الواحد فالمشبه في الأول والمشبه به في الثاني وربط بين الطرفين بأداة التشبيه ثم رفع من مقدرة المشبه به على المشبه. وبلغ الشاعر إلى التفصيل في الصورة فيستعين بصورة أخرى وينوع في أدوات التشبيه بين الحرف والفعل، وتكون الصورة قوية عندما يفسر ويفصل في الطرف الثاني من التشبيه. ويصور المحسوس في صورة المعنوي والمعنوي في صورة المحسوس في أسلوب يقوم على إثارة الانفعال.

الصورة الاستعارية:

- الاستعارة ودورها في تشكيل الصورة البيانية: أهميتها: الاستعارة وسيلة للتعبير بالتصوير تؤثر بشحناتها النفسية وبمضاتاتها الحسية والفكرية التابعة عن التجربة الصادقة. وتقيد الصورة الاستعارية شرح المعنى، وتقلع في النص ما لا تفعله الحقيقة، ثم هي طريقة للتجديد والتوليد لأنها تكشف عن صور جديدة ومعانٍ بديعة [٧٩]

المشبه، والمكنية هي التي اختفى فيها لفظ المشبه به واكتفى بذكر شيء من لوازمه دليلاً عليه [٧٩].

غرض الاستعارة:

تهدف الاستعارة المكنية كأداة فنية لتحقيق غرضين حسب طبيعة المشبه به المحذوف ولازمه المثبت للمشبه. فالغرض الأول هو تجسيد الأمور المعنوية وإبرازها للحس في كيان مادي ملموس. والثاني هو تشخيص الجمادات وبحث الحياة فيها ومنحها الحركة بشتى مظاهرها [٨٠]. والغرض من الاستعارة كما قال عبد القاهر الجرجاني هو أنك ترى بها الجماد حياً ناطقاً والأعجم فصيحاً والأجسام الخرس مبينة والمعاني الخفية بادية جليلة، ومن خصائصها أنها ترينا المعاني اللطيفة التي هي من خبايا العقل كأنها قد جسمت حتى رأتها العين [٨١]، ذلك لأن الخيال حين يستعين ببعض العناصر الحسية فانما يبغي غاية هي التسامي، فليست غاية الاستعارة هي تقديم المعنى للاتقان به معتمدة على الوضوح البصري أو الحسي فحسب بل من أجل اضماء الحياة والحركة على الجمادات وجعلها تتحرك في ذهن حركات تنبعث منها اشعاعات ايجابية لا يمكن أن يصل إليها التعبير المجرّد [٨٢]، والتوتر في الاستعارة وليد التفاعل بين المستعار والمستعار له وقد تتولد عنهما معان هي المعنى الثالث، والشاعر هو الذي يصل بفضل مخيلته إلى ادراك العلاقات الخفية بين الحقائق فيقرب بينها مجازاً، فكلما كانت المسافة بين قطبي الاستعارة كبيرة كان التيار المنبثق من تجسيد الفكرة في الوهج الاستعاري قويا والمسافة بين الحقيقة الأولى والثانية هي التي تحدد قيمة الاستعارة [٨٣]، وعندما تتعد الحقيقة الأولى عن الثانية يضطر القارئ إلى بذل جهد عقلي أقوى للكشف عن العلاقة القائمة بينهما وهذه العملية تقوى بقوة الاستعارة التعبيرية الإيجابية وتثير في نفس القارئ غبطة، ويذكر عبد القاهر الجرجاني التطرف في صعوبة بلوغ العلاقة فيقول ان الغموض في اكتشاف العلاقة بحيث لا يبلغ حد التعقيد والتعمية

أو المحال [٨٤]، ويضع الصورة الشعرية درجات ويعطي أمثلة للصورة الغامضة في الاستعارة [٨٥].

الفرق بين الاستعارة والتشبيه:

أهم فرق هو أن الاستعارة تقوم على عملية انتقال في المعنى من مدلول إلى مدلول آخر، أما في التشبيه فكل لفظة تحافظ على معناها الحقيقي، والنقطة الثانية هي عملية التطابق فالاستعارة تسعى إلى تحويل الحقيقتين إلى حقيقة واحدة أو توحى بأنها توحده بينهما، وفي التشبيه هناك تواجد الحقيقتين فتبقى كل حقيقة محافظة على ذاتها.

وقد توسل الشاعر الأندلسي بأشكال وأنواع من الاستعارات للتعبير عن خواجه وأفكاره وبيئته وعن كل مظهر من مظاهر الحياة. فإذا راجعنا عدداً من صور ابن خفاجة في وصف الفرس نجد عنده ألواناً من الاستعارات إلى جانب الفنون البلاغية الأخرى ونذكر من ذلك وصفه لفرس أشهب يقول:

أجنوب تقستاد لي من جنب
أم شمال عنانها بشمالي
جال في أنجم من الحلي بيض
وقميص من الصباح مزال
أشهب اللون أثقلت حلي
خب فيهن وهو ملقى الجلال
فبدا الصبح ملجماً بالثريا
وجرى البرق مسرجاً بالهلال [٨٦]

هذه لوحة فنية فيها الاستعارات ناطقة حيث جعل الشاعر رياح الجنوب منقاداً له طائفة ورياح الشمال قد أسلمت عنانها بيده وكانت خاتمة الصور، هذه الصورة التي تحوى حشداً من الاستعارات تمثلت في أن الصبح قد ألجم بالثريا وأن البرق صار جواداً والهلال سرجه، وهذا خلاف ما تعارف عليه الناس. وقريب من هذا قول الداني في وصف فرس أشهب أيضاً سار على نفس نهج ابن خفاجة من حيث

في المتوكل:

ركبت اليك جناح كل عزيمة
قرب الردى من خلفها مزود[٨٩]

- وله من قصيدة في الرشيد بن المعتمد:
اليك أبا الحسين ركبت عزمًا
يضيق برحب مسعاه الطلاب[٩٠]

- وقال في صورة أخرى تعتمد على المعنوي:
سجيري من نهر لا تخمشن
وجه الاخاء يظفر العذل[٩١]

- واعتمد الشاعر على أمور حسية لتكوين صورته
الاستعارية كقوله:

وما أنسى ليلتنا والعناق
قد مزج الكل منا بكل[٩٢]
الى أن تقوس ظهر الظلام
وأشمط عارضه وأكتمل
ومس رقبي رداء النسيم
على عاتق الفجر بعض البلبل

واستخدم الشعراء الأندلسيون أيضا الاستعارات
المفردة والمركبة في تصويرهم لنوازعهم وعواطفهم
ممزوجة بالواقع فكانوا يستخدمون التركيب في غير ما
وضع له علاقة المشابهة. والاستعارة من هذا النوع
تعرف بالتمثيلية وذلك لكي يرسموا الصورة بالخطوط
والألوان والأشكال والحجوم ملتصين وشائج اللفظة
المستعارة المستمدة من نفس مبدعها. وفي هذا
السياق يصور ابن خفاجة عهد الغرام مخاطبا البرق
في قوله:

لك الله من برق تراعى فسلمًا
وصافح رسما بالعذيب ومعلما
إذا ما تجاذبا الحديث على السرى
بكيت على حكم الهوى وتبسما

استعارة صفات معنوية الى المحسوس أو استعارة
الصفات المحسوسة للمعنوي مع المحافظة على جمال
التعبير ودقة التصوير والبراعة في الافادة من عنصر
الخيال في تأليف الصورة الأدبية الفنية المعبرة يقول
الشاعر:

وأشهب كالشهاب أضحى
يختال في مذهب الجلال
قال حسودي وقد رآه
يخب ويختال الى القتال
من الجم الصبح بالثريا
واسرج البرق بالهلال[٨٧]

فالشاعر استعان لتأليف هذه الصورة بالتشبيه
فجعل جواده شهابا ثم نقل الشهاب الى المحسوس
وجعله يختال عجا وتيهها وتهدف الاستعارة الى تحقيق
تجسيد الأمور المعنوية وإبرازها للحس في كيان مادي
وتشخيص الجمادات وبث الحياة فيها وجعلها تتحرك
كما هو مبين عند ابن خفاجة في وصفه لمجلس أنس
ولهو في حديقة شخص جماداتها وأعطاهما سلوكا
انسانيا وأفعالا بشرية يقول:

سقى ليوم قد انخت بسرجه
رأى تلاعبها الشمال فتلعب
سكرى يغنيها الحمام فتتشى
طربا ويسقيها الغمام فتشرب
يلهو فتترفع للشبيب راية
فيه ويطلع للبهارة كوكب
واهتز عطف الفصن من طرب بنا
وافتر عن ثغر الهلال المغرب[٨٨]

نلاحظ في هذه الأبيات الاستعارية أن شعور
الشاعر يسبق التشخيص ويلقى عليه ظله ويبيت فيه
حياته، فنقل الشاعر هذه الأشكال في الحديقة كما
وقعت في الحس والشعور. ومن الاستعارات التي
اعتمدت على الأمور المعنوية قول ابن عديون من قصيدة

وانما هي موصولة بحالته النفسية وتجربته وآلامه وما يراه حوله وما يحس به فهي نتيجة للتأمل العميق في الحياة.

ونضيف شيئا مهما وهو ان المعنى الذي تثبكره الاستعارة ليس ترجمة الواقع أو صورة منه وانما هو معنى جديد جاء من تفاعل الحقيقتين.

وهكذا نكون قد رأينا جانبا من الصورة الاستعارية عند الشعراء الأندلسيين التي توسلوا فيها بالتشخيص والتجسيد وخلقوا من المعنى المجرد كائنا حسيّا يحس وينطق وينشر الحياة يديدها والحركة بقوتها في الجماد. وقد شكلوا صورا قوامها الانسان والحيوان والطير وغيرها من عناصر الطبيعة، وأغلب أساليب الاستعارة اضافة الفعل الى المشبه والاتيان بأفعال مضارعة تحكي الحركة لتشخيص المعنوي، وأسقط الشاعر أحلامه وآلامه على استعاراته فعبثت عن ذاته ولعب الخيال دورا واسعا في الصور المتلاحقة.

الهوامش:

- (١) البلاغة والتطبيق، ص ٣١١.
- (٢) الصورة الفنية، جابر عصفور، ص ١٧٢.
- (٣) نفس المرجع، ص ١٧٤.
- (٤) البلاغة والتطبيق، ص ٢٦٧.
- (٥) البلاغة والتطبيق، ص ٢٦٨.
- (٦) نفس المرجع، ص ٢٦٨.
- (٧) الصورة الفنية، جابر عصفور، ص ١٨٥.
- (٨) نفس المرجع، ص ١٨٦.
- (٩) نفس المرجع، ص ١٩٤.
- (١٠) نفس المرجع، ص ٢٠٣.
- (١١) البلاغة والتطبيق، ص ٢٧٠.
- (١٢) نفس المرجع، ص ٣١٤ - ٣١٥.
- (١٣) نفس المرجع، ص ٢٧٦ - ٢٧٧.
- (١٤) الصورة الشعرية في الكتابة الفنية، ص ١١٥.
- (١٥) خصائص الأسلوب في الشوقيات، ص ١٩٥.
- (١٦) نفس المرجع، ص ١٩٥.
- (١٧) ابن حمديس ١٧٤، الديوان، ص ٣٩٠.

ولم اعتنق برق الغمام وانما
وضعت على قلبي يديّ تاللا
وما شاقني الا حفيف أراكه
وسجع حمام بالغميم ترنا
وسرحة واد هزها الشوق لا الصبا
وقد صدح العصفور فجرا فهينما
اطفت بها اشكو اليها وتشتكي
وقد ترجم الماء عنها قلبهما
تحنّ ودمع الشوق يسجم والندى
وقرّ بعيني أن تحن ويسجما
وحسبك من صبّ بكى وحمامة
فلم يدر شوقا أيما الصب منهما [٩٣]

والتأمل في اللوحة الاستعارية المركبة يجد أن الشاعر يلجأ الى طريقة التجسيم والتشخيص حيث وصف البرق بانسان ثم حذفه وأبقى شيئا من لوازمه وهو السلام والمصافحة والحديث ليخرج الاستعارة المكتنية، وكذلك ما فعله مع الشجرة حيث أضفى عليها الحياة والحركة وأعطاهم مشاعر انسانية فجعلها تحنّ وتشكو، وهذه الاستعارة توحى لنا بالجو النفسي والتجربة الحزينة التي عاشها الشاعر من خلال الذكرى، ويمكن أن نقع على صور كثيرة تجسم المعنوي وتشخصه تشخيصا نابضا بالحياة والحركة فمن ذلك الصور الطريفة لابن سهل يصف محبوبه قائلا:

لحظ يرى القتل منى نفسه
والعار أن يترك قلب الخلي
غض الصبا يسفر عن منظر
احسن من عصر الصبا المقبل
مُورّ من نور ومن فتنة
والناس من ماء ومن صلصل [٩٤]

كل صورة استعارية تعطينا تجربة من تجارب الشاعر وليست استعارة وقتية تنتهي بانتهاء الصورة

- (١٨) البلاغة والتطبيق، ص ٢٨٠.
- (١٩) ابن حميس، ١٧٤، الديوان، ص ٣٩٠.
- (٢٠) النخيرة، قسم ٢، مجلد ٢، ص ٧١٧.
- (٢١) نفسه.
- (٢٢) نفسه، ص ٨٤٨.
- (٢٣) نفسه، ص ٨٤٢.
- (٢٤) نفع الطيب، ج ٢، ص ٣٤٥.
- (٢٥) النخيرة، قسم ٢، مجلد ٢، ص ٨٤٠.
- (٢٦) نفس المرجع، ص ٨٣٩.
- (٢٧) أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، ص ٧١، والصورة الشعرية في الكتابة الفنية، ص ١١٨.
- (٢٨) الأدب العربي في الأندلس، عبد العزيز عتيق، ص ١٧٧.
- (٢٩) الصورة الشعرية، ص ١١٩.
- (٣٠) خصائص الأسلوب في الشوقيات، ص ١٩٥.
- (٣١) الديوان، ص ١٣.
- (٣٢) ابن اللبابة، ص ٩٤.
- (٣٣) ابن صارة، ص ١٦٠.
- (٣٤) الديوان، ص ٢٤.
- (٣٥) ابن خفاجة، ص ٣٦.
- (٣٦) ابن سهل، ص ٩٥.
- (٣٧) نفس المرجع، ص ١٤٤.
- (٣٨) نفس المرجع، ص ٩٩.
- (٣٩) البلاغة والتطبيق، ص ٢٩٥.
- (٤٠) ابن صارة، ص ١٦٠.
- (٤١) ديوان ابن الزقاق، ص ٥٦.
- (٤٢) الديوان، ص ١٣١.
- (٤٣) الديوان، ص ٢٦٧.
- (٤٤) الديوان، ص ٣٢.
- (٤٥) الديوان، ص ٢٩١ - ٢٩٢.
- (٤٦) شعر ابن اللبابة، ص ٤٥.
- (٤٧) التوريات ٨٨.
- (٤٨) نفسه، ص ٨٧.
- (٤٩) النخيرة، قسم ٢، مجلد ٢، ص ٦٢٠.
- (٥٠) النخيرة، قسم ٢، مجلد ٢، ص ٨٢٤.
- (٥١) شعر ابن اللبابة، ص ٤٦.
- (٥٢) نفسه، ص ٤٦.
- (٥٣) نفسه، ص ٤٧.
- (٥٤) الديوان، ص ٢٦٧.
- (٥٥) نفع الطيب، ج ٢، ص ٦٠٢.
- (٥٦) نفسه، ص ٦٠٠.
- (٥٧) مختارات من الشعر الأندلسي، نيكل، ص ١٥٨.
- (٥٨) نفس المرجع، ص ١٦٢.
- (٥٩) الاسرار، ص ٢٠٦، الصورة البلاغية، ص ٥٨٢.
- (٦٠) الاسرار، ص ٢٠٧، الصورة البلاغية، ص ٥٨٢.
- (٦١) الديوان، ص ٣٦١.
- (٦٢) البلاغة والتطبيق، ص ٣٠٧.
- (٦٣) الصورة البلاغية عند عبد القاهر، ص ٥٥٣.
- (٦٤) نفس المرجع، ص ٥٥٨.
- (٦٥) البلاغة والتطبيق، ص ٣٠٧.
- (٦٦) الصورة البلاغية عند عبد القاهر، ص ٥٥٣.
- (٦٧) نفس المرجع، ص ٥٥٨.
- (٦٨) التوريات، ص ٨٧.
- (٦٩) الديوان، ص ١٥٠.
- (٧٠) النخيرة، قسم ٢، مجلد ٢، ص ٨٤٥.
- (٧١) شعر ابن اللبابة، ص ٩٨.
- (٧٢) نفسه، ص ١٠٠.
- (٧٣) البلاغة والتطبيق، ص ٣٦٥.
- (٧٤) الصورة الشعرية، صبحي البستاني، ص ٦٩.
- (٧٥) انظر البلاغة والتطبيق، ص ٢٤٣.
- (٧٦) نفس المرجع، ص ٢٤٥.
- (٧٧) البلاغة والتطبيق، ص ٢٤٦.
- (٧٨) الصورة الشعرية، البستاني، ص ٦٩ ما قاله بوماسيه.
- (٧٩) البلاغة والتطبيق، ص ٩٢٥٤.
- (٨٠) نفس المرجع، ص ٢٥٦.
- (٨١) الصورة البلاغية عند عبد القاهر، ص ٥١٨.
- (٨٢) نفس المرجع، ص ٥٤١.
- (٨٣) الصورة الشعرية، البستاني، ص ٩٢.
- (٨٤) نفس المرجع، ص ٩٧.
- (٨٥) نفس المرجع، ص ٩٩.
- (٨٦) وصف الحيوان في الشعر الأندلسي، ص ٢٩٢.
- (٨٧) وصف الحيوان، ص ٢٩٢ - ٢٩٣.
- (٨٨) الديوان، ص ٣٦.
- (٨٩) النخيرة، قسم ٢، مجلد ٢، ص ٧٠٦.
- (٩٠) النخيرة، قسم ٢، مجلد ٢، ص ٧٠٩.
- (٩١) نفسه، ص ٧١٥.
- (٩٢) نفسه.
- (٩٣) الديوان، ص ٢٢٢ - ٢٢٣.
- (٩٤) ابن سهل، ص ١٤٥.

حوار مع الدكتور عبد القادر طاش المدير العام لقناة إقرأ الفضائية

(إقرأ) نجم إسلامي في سماء الموقعة الفضائية

**** بداية نود أن نقف على ملامح التوجه العام لـ**

(إقرأ) الفضائية.؟

(إقرأ) قناة تتبع من دوحة الإعلام الإسلامي الذي يحاول أن يقدم للناس اعلاماً هادفاً يحقق كثيراً من احتياجات المشاهدين، ويلبي رغبتهم في رؤية إعلام نظيف جاد، يخدم قضاياهم، ويعمق ثقافتهم، ويروح عن أنفسهم، في حدود الضوابط القيمية التي هي بمثابة الحارس لاستقرار المجتمعات وأمنها، وطمانيتها وعيشها في كنف أمن.

من هنا ننظر الى هذه القناة وفلسفتها وفكرتها الأساسية باعتبارها ملاذاً للأسرة العربية المسلمة، ونأمل - إن شاء الله تعالى - أن تجد في هذه القناة ما يشعرها بالأمان أولاً، وما يحقق لها بعض ما تصبو اليه من آمال وتطلعات فتشبع بعض رغباتها وتطلعاتها الحقيقية في مجالات متعددة، يأتي على رأسها ولا شك الثقافة الدينية، باعتبار ان هذه الثقافة هي أس مجتمعا الاسلامي.

قناة (إقرأ) الفضائية في كل أبعادها وفلسفتها محاولة لتوسيع دائرة مفهوم الإعلام الهادف، ليقرب من هذه الثقافة الدينية، وإلى ألوان متعددة من الثقافات المطلوبة لتكوين الانسان المسلم المعاصر، سواء في المجالات الفكرية والثقافية أو في المجالات السياسية والعلمية والاقتصادية، أو في المجالات الاجتماعية.

(إقرأ) لا تغفل الجانب الترويحي، إذ تقدم جانباً من الترويح البريء الذي يحقق للانسان توازنه النفسي والاجتماعي.

**** الآن وقد مضى عام على هذه التجربة المتفرقة**

في عدة شهر رجب ١٤١٩هـ / ٢١ أكتوبر ١٩٩٨م، كان بداية الانطلاقة الحميدة لهذه القناة الوليدة (قناة إقرأ الفضائية)، أسستها (الشركة الاعلامية العربية) .. الآن وقد مضى على بثها عام كامل، فإن المتتبع لهذه القناة يتبين بوضوح تميزها وتقديرها في المضمون والأداء.

فهى قناة عربية إسلامية شاملة، تقدم برامجها باللغة العربية، وتتطرق من هدى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة .. وتمتاز بالشمولية في الموضوع وأسلوب العرض والتناول.

جاءت هذه القناة في وقت جئ الناس فيه بالشكوى من هذا العبث الاعلامي الذي تبثه الكثير من الفضائيات .. جاءت (إقرأ) لتستجيب لرغبات ملايين المسلمين في أنحاء المعمورة، في انموذج اعلامي هادف، يتفاد الكلمة الصادقة، والمعلومة الهادفة، لنشر الوعي الديني الصحيح.

ومن أهداف هذه القناة: ترسيخ المنهج الوسطي السليم للإسلام، وتقوية مشاعر الانتماء للهوية الحضارية للأمة، وتحسينها ضد محاولات الاستلاب الثقافي .. ونحضر الشبهات المثارة حول الاسلام والمسلمين. وتهدف هذه القناة الوليدة الى المساهمة في عرض قضايا العصر وتساؤلاته، ومشكلاته المستحدثة وتوضيح الرؤية الاسلامية فيها.

ولقناة (إقرأ) دورها الفاعل في التعريف بالشعوب والنول الاسلامية، وتبسيط الضوء على احوال الجاليات والاقليات المسلمة في شتى أنحاء العالم .. وقناة بهذا التصور المشرق وهذا الاداء الفريد الرائع، وبسط كم هائل من القروض الاعلامية التي ضج المشاهد المسلم بما تبث، قناة بهذا التصور والتميز والتفرد من حقها على وسائل الاعلام المقروءة ان تقدم لها كلمة الشكر الدافعة لها أبداً على الاستمرارية في الاداء الجاد الملتزم.

ومن هنا جاء هذا الحوار الهادف مع الدكتور عبد القادر طاش مدير قناة إقرأ الفضائية.



الدكتور عبد القادر طاش المدير العام لقناة اقرأ الفضائية

**** قناة (اقرأ) الفضائية (التفرد والتميز، والجدية، والالتزام بمنهج الاسلام. ** (اقرأ) .. أنموذج اعلامي هادف، انتظره الناس كثيرا. ** (اقرأ) محاولة لصياغة وجدان إسلامي يرسخ هوية هذه الأمة في أعماقها. ** إنها أداة للتواصل الحضاري مع ثقافات الآخرين. ** (اقرأ) طموحات متجددة لخدمة الاسلام والمسلمين.**

التي نود ان نصل إليها، الى جانب ذلك هناك أيضاً مجموعة من العقبات والمعوقات التي لا بد من مواجهتها ولا بد من الاعتراف بان لها دوراً في عدم التمكن من تحقيق كل ما نصبو إليه.

وبشكل عام نعتقد أن التجربة يكفيها على الأقل انها رائدة، ويكفيها انها ربما أعطت الأمل في ان مثل هذا المشروع (اقامة قناة هادفة ومن منظور اسلامي)، اعطت الأمل في أنه أمر ممكن وليس مستحيلاً، وأن هناك آفاقاً كبيرة يمكن ان ينطلق إليها مثل هذا المشروع.

التميزة لـ (قناة اقرأ)، ما تقيمكم لهذه التجربة، وما ملامح الرؤية المستقبلية لـ (اقرأ)؟

تجربة (اقرأ) في مضمونها الكلي، جديدة في مجال الإعلام، بل من قبيل ذكر الواقع دعونا نقول إنها رائدة، فهي ربما تعد اول قناة فضائية ذات طابع إسلامي - صحيح إن هناك مجموعة من القنوات العربية التي سبقت اقرأ في الاهتمام بالثقافة الاسلامية بشكل عام في كثير من برامجها - مثل قناة الشارقة مثلاً - لكن تختلف تجربة قناة (اقرأ) في انها ارادت ان تقدم منظومة متكاملة وفق المفهوم الشامل للإعلام الاسلامي، وبذلك ربما اعطاها هذا تميزاً وريادة أيضاً في هذا الميدان.

يبقى بعد ذلك، ما الذي حققته قناة اقرأ خلال عام من عمرها في هذا الميدان؟ وفي هذه التجربة الفريدة لتجسيد هذا المفهوم الشامل والمتكامل للإعلام الاسلامي الهادف؟ ويكل تواضع نقول، إن التجربة لا تزال في بدايتها ومن ثم من الصعوبة بمكان ان نخرج بحكم شامل ونهائي، ونعتقد بعمامة إن القناة استطاعت ان تحقق بعض اهدافها التي كانت قد وضعتها نصب عينيها في بداية مشوارها.

لكن تبقى هناك مجموعة من الأهداف التي لم نستطع تحقيقها، هذا من جانب، ومن جانب آخر حداثة التجربة وقلة الخبرة من قبل القائمين علي هذه التجربة، كان لهما أثرهما في عدم اتضاح جوانب كثيرة من الصورة المثلى

هذه التجربة المتميزة لـ (اقرأ) وبجسكم الإعلامي المعهود، هل ترون إمكان تكرارها في إعلامنا الفضائي؟

حقيقة نحن نرحب، بل ندعو الى ان تكون هناك قنوات تزامنا وتتافسنا في هذا الميدان، لان الحاجات كبيرة، وتطلعات المشاهدين واسعة، ونعتقد بان الساحة تتسع لكثير من التجارب، والمشروعات التي تصب في هذا الاطار، وحتى بالمنطق التجاري، فإنا نقول بأن السوق واسعة وتستوعب الكثير من مثل هذه التجارب التي يتطلع اليها الكثير من المشاهدين.. وفي هذا الميدان متسع لمثل هذه التجربة ويمكن القول بأن لهذه التجربة روادها وطلابها.. هذا من جانب العطاء الفكري والقيمي لهذه التجربة.. وهذا ما أعنيه بأن في السوق متسع.

أما إذا كان الأمر متعلقاً بمنطق الربح والخسارة، أي منطق التجارة البحتة، فانه من الصعوبة لمثل هذه التجارب، تجربة الاعلام الهادف، وبخاصة قناة فضائية ذات منظور اسلامي، من الصعوبة ان تصبح عملاً أو مشروعاً تجارياً بحتاً، والذين ينظرون الى مثل هذا المشروع بمثل هذا المنظور في رأيي، إما انهم مثاليون أو بعيدون عن الواقع، وفي رأيي ان هذا المشروع ينبغي ان يكون مشروعاً مثالياً يقوم على فلسفة تقديم اعلام هادف وبناء.

الجانب التسويقي والتجاري لا شك يشكل رافداً مالياً داعماً لأي

(اقرأ) تمثل الوسطية المحمودة، بعيداً عن طرفي (الاقراط والتقريط).
تعمل على إشاعة اللغة العربية السليمة المبسطة وإشاعتها بين المسلمين.
كثير من الفضائيات غدت هدماً وتدميراً للأخلاق والقيم.
تعمل (اقرأ) على انتاج عمل درامي تمثيلي يخدم اهدافها الرسالية.
نأمل ان نجد دراسة متخصصة تقييمية لـ (قناة اقرأ).

عمل إعلامي، والدافع الرسالي لقناة (اقرأ) لا يعني أن ترفض الجانب التسويقي والتجاري أو أن تتأني بنفسها عنه، ذلك لأن أي عمل مثل هذا يحتاج الى مال يدعمه ويسير عمله حتى لا يتوقف، وبالتالي تتوقف رسالته التي يسعى اليها.. ومع كل هذا ينبغي التأكيد على ان الجانب التجاري والتسويقي ينبغي ألا يكون هو الأصل، وإنما هو رافد مكمل، ذلك لاننا نعلم اليوم أن المشروعات الاعلامية الضخمة تحتاج الى تمويل كبير، ومن ثم ليس من المعقول ان نقول بأن المشروعات الرسالية في الاعلام لا تلتفت الى هذا الجانب، بل هو جانب له أهميته في اكمال رسالتها وايجاد الكوادر المبدعة تعميق أدائها.. ويلاحظ هنا، أن البحث وراء هذا المربود المالي أو الرافد المادي فيه منزلقات كثيرة، قد تؤدي الى الانغضاء عن بعض الجوانب الفكرية وبعض الضوابط الاخلاقية، والقبول ببعض مالا يتمشى مع الاطر الاخلاقية والفكرية والقيمية لهذه القناة، وأيضاً قد يخل ببعض الجوانب الفنية، لكل هذا ينبغي ضبط الرافد المادي لهذه القناة بضوابطها التي قامت من اجلها، حتى لا تنزلق في منحدرات تفقدها خصوصيتها وتميزها في التوجه والعطاء.. ومن هنا فإنني ادعو الى إعادة النظر في تركيبة مثل هذه المشروعات من حيث انها ينبغي ان تفيد من الروافد المادية - حسب منظومة توجهها العام - وحتى لا تصبح مثل هذه المشروعات مشروعات خيرية بحتة، إذن لماذا لا نصل الى صيغة وسطية توفيقية تجمع بين الجانب الرسالي والخيري، وكذلك الجانب التجاري والتسويقي ونوسع قاعدة المساهمة في مثل هذه المشروعات الحضارية لان هذا التوسيع في المساهمة، سواء المالية أو الفكرية لا شك انها في النهاية تخدم الرسالة البعيدة لمثل هذه المشروعات، وهذه المساهمة تعطي لهذه المشروعات ضمانة الاستمرارية.

وحتى لا يتوقف هذا المشروع وأمثاله، او يتعثر في مسيرته، وضماناً لاستمرار هذه المشروعات يجب ضمان الروافد، لانطلاقة أوسع لهذه المشروعات.

الرؤية المستقبلية لهذه القناة الوايدة، ماذا عنها؟

الرؤية المستقبلية ينبغي ان تقوم على استراتيجية تضع

نحن نعاني في مجتمعاتنا العربية المعاصرة أن الحوار ان لم يكن مفقوداً فعلى أقل تقدير فهو ضعيف

جداً، سواء على مستوى التيارات والاتجاهات الموجودة في داخل هذه المجتمعات، بعضها مع بعض أو بيننا وبين الآخر، خارج حدودنا الجغرافية وحدودنا الفكرية ايضا.

**** مع تفاوت الافكار وتباينها في كثير من الاحيان، الى أي حد استطاعت (قناة إقرأ) إبراز ما ينبغي إبرازه من الفكر الرسالي والقيمي، بعيداً عن مزاييدات بعض المتحاورين؟!**

.. عندما جاء هذا الانفتاح الاعلامي، كأننا وجد فيه بعض الاعلاميين العرب متنفساً لهم فانطلقوا فيه دون ضوابط، ودون رؤية فكرية تضع الاطر التي يمكن ان تتحرك من خلالها.

الحوار بحد ذاته ليس هو الغاية، بل وسيلة.

في كثير من الاحيان ربما تكون الغاية ليست واضحة، ومن هنا يتحول الحوار من وسيلة الى غاية، وهذا في رأيي خطأ، أو هو ليس مما ينبغي أن يكون، اذن، لابد ان نحدد غاياتنا من الحوار ثم بعد ذلك نستخدم الوسيلة الموصلة لتلك الغاية، وعلى كل وسيلة اعلامية أن تحدد غاياتها وتتخذ إليها سبلها المناسبة.

من هنا، ومع غياب الغاية المرجوة، نجد بعض القنوات العربية، تتخذ من الحوار وسيلة للثارة، أو لكسب مزيد من المشاهدين، وهناك نوع آخر له غاياته، ظاهرة أو مستترة، إذ نجد بعض القنوات الفضائية غايتها ابعاد الفكر الاسلامي أو اضعافه ومحاولة تحجيمه، وأظهاره بمنظور الضعيف.

والمطلوب اذن، من قناة رسالية هادفة مثل قناة (إقرأ) ان تحدد ما هي الغاية التي تسعى اليها ثم بعد ذلك تتسجم مع اطارها العام الذي تتحرك فيه، وهو الاطار الاسلامي، وهذا ما نحاول ان نفعله، لكن قد لا نستطيع ان نحقق هذا الهدف كاملاً لعدة أسباب منها:

ان تجربة الحوار المنفتح هي تجربة جديدة في مجتمعنا العربي المعاصر، وكل تجربة جديدة لها محاذيرها ولها سلبياتها، وقصر الفترة الزمنية لهذا المفهوم الحواري الجديد له ايضا آثاره على التجربة.

وفي اطار هذا المنهج الحواري، ونحن نتحدث في اطار الفكر الاسلامي، أقولها صراحة إننا نفتقر للكفايات

فيها الخطط والبرامج، وتحدد الأهداف المبتغاة في سباقات مرحلية لتنفيذها.

وليس بالضرورة كما يظن بعض الناس ان تولد هذه القناة مكتملة النمو، ذلك لان هناك اسلوب تدرج ومراحل لابد من مراعاتها وأخذها في الحسبان، قناة (إقرأ) تبث على مدى (عشرين ساعة في اليوم)، وهنا ينبغي مراعاة ما هو مطلوب للمء هذا الزمن الممتد من الانتاج والمواد.

إن، التدرج والنفس الطويل ضرورة لازمة في هذه المرحلة، ومن المهم قبل هذا كله أن تكون الرؤية واضحة، وهذه الرؤية ينبغي ألا تكون قاصرة على مرحلية محدودة، ثم يأتي التنفيذ المرحلي ليحول تلك الرؤية الى واقع يفيد منه المشاهد، وهذا ما نبتغيه ونسعى إليه، الافادة الحقيقية النظيفة القيمة للمشاهد.

لا شك أن التجارب تعلم الانسان، ونحن خلال هذا العام، استفدنا الكثير من الدروس سواء من حيث تصميم البرامج ومناقشة الافكار، وتقويم هذه الاعمال أو من ناحية الخطط التي توضع للتنفيذ، وهذه كلها مطلوبة.

**** الحوار مع الذات ومع الآخر واحد من صيغ العطاء الحضاري.. إلى أي حد نجد (إقرأ) في هذا الاطار؟!**

اعتقد أن العصر الذي نعيشه الآن يفضل هذا التطور المذهل في تقنيات الاتصال، قد أدى الى هدم كثير من السدود والحواجز وأدى الى انتقال الافكار والآراء بسهولة ويسر إلى كل فرد في انحاء العالم يريد ذلك، وهذا العصر يقتضي منا أن نواجهه بقدر كبير من الانفتاح الاعلامي الذي من خلاله نستطيع أن نستوعب الكثير من هذه التطورات، وبالمقابل يتسلح الانسان العربي المسلم بالادوات التي يمكنه عن طريقها أن يواجه الافكار ويتعرف عليها بطريقة علمية، وايضاً يستطيع ان يحاورها ويناقشها، وربما تتكون لديه قناعات لمواجهة ما يرى انه ضار به أو معارض لثوابته الدينية والفكرية والاجتماعية، وهذا كله لا سبيل الى تحقيقه إلا بالحوار، ومن هنا اعتقد بأن الاعلام الاسلامي لابد ان يكون أحد ركائزه الاساسية ان يكون اعلاماً فيه قدر كبير من الانفتاح في الحوار مع الذات ومع الآخر، ومن هنا نحرص في قناة إقرأ الفضائية على أن يكون لنا نصيب في هذا الحوار - الحوار مع التراث والحوار مع الآخر.

الدكتور عبد القادر طاش في سطور

* عمل أستاذاً للصحافة والإعلام بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ورئيساً لقسم الإعلام بها لمدة سبع سنوات (١٩٨٤ - ١٩٩١م).
* انتقل للعمل في المجال الصحفي حيث رأس تحرير صحيفة (المسلمون) الدولية الأسبوعية التي تصدرها الشركة السعودية للأبحاث والنشر (١٩٩١ - ١٩٩٥م).

* ترأس تحرير صحيفة (عرب نيوز) الصادرة باللغة الانجليزية بالملكة العربية السعودية (١٩٩٥ - ١٩٩٨م).

* يعمل الآن مديراً عاماً لقناة اقرأ الفضائية التي بدأت البث في شهر أكتوبر ١٩٩٨م.
* له مساهمات بحثية وعدة مؤلفات باللغة العربية منها:

- دراسات إعلامية.
- الصورة النمطية للإسلام والعرب في مرآة الإعلام الغربي.
- أمريكا والإسلام: تعايش أم تصادم.
- قدرنا أن نكون إسلاميين.
- المسلمون في آسيا الوسطى والدور الإسلامي المطلوب.
- الاعلام وقضايا الواقع الإسلامي.
- الثقافة والإعلام وما بينهما.
- * شارك في الكتابة الصحفية المنتظمة في عدة مطبوعات عربية وله عمود يومي في صحيفة «المدينة المنورة».
- * شارك في العديد من المؤتمرات والندوات الإسلامية في العالم العربي والإسلامي وفي أوروبا وأمريكا.

الاعلامية القادرة على إجراء الحوارات الراقية التي يمكن أن تحقق الغاية المنشودة، طاقاتها الاعلامية في مجملها لا تزال تسير على النمط التقليدي في الحوار، وربما يكون بعض المحاورين أقل اطلاعاً على فكر الآخرين، وأسلوب تفكيرهم، ومن هنا يكون الحوار فيه شئ من الضعف وهذا يصحبه عدم التوفيق في الوصول الى الغايات المرجوة.

لا ينبغي ان نحكم على بعض هذه التجارب باستعجال وفي جزئيات منها، بل ينبغي ان ينظر اليها متكاملة، فاذا كان هناك برنامج حوارى معين، نجد بعض المشاهدين يحكمون على البرنامج كله من حلقة أو حلقتين وبعضهم ينظر إلى تجربة القناة بكاملها من خلال عدد محدود من البرامج التي تقدمها. وهذه نظرة جزئية لا تعطي الحقيقة الكلية لطبيعة الحكم وبطبيعة الحال فان هذا التصرف فيه عدم موضوعية في النظرة وبالتالي في الحكم الناتج عن هذه النظرة المتعجلة.

وما نريده ممن يودون تقويم هذه التجربة الوليدة (قناة اقرأ) ان يعطوا أنفسهم مساحة أوسع في المتابعة المتأنية، ومن هنا يمكن ان يأتي الحكم ناضجاً سوياً، نفيذ منه جميعاً.

ونحن الآن بعد مرور عام على البث الفضائي لهذه القناة، ومحاولة جادة من القائمين بأمر هذه القناة، فإننا نجرى الآن دراسات تقييمية جادة لما قدمت إقرأ من برامج، موضوعاً وأداءً.

ولا يخفاكم أن دوامة العمل اليومي ادارة وتنسيقاً ومتابعة وتسييراً، لم تعطنا الفرصة لمثل هذه النظرة التقييمية، ومن هنا كان لازماً علينا التوقف قليلاً في مرحلة زمنية معينة لاجراء هذا التقييم وهو بدون شك تقويم للمسيرة في مستقبلها، ومرور عام على هذه القناة فرصة مناسبة لاجراء هذا التقييم الموضوعي والعلمي لبرامج القناة وتوجهاتها.

** مقلمو البرامج الحوارية، هل هم مجرد وسيط لتوزيع الاسئلة على المتحاورين، أم مشاركون بالرأى وموجهون لفة الحوار؟!

أعتقد ان أي وسيلة إعلامية ينبغي الا تكون وسيلة موجهة أساساً، وينبغي على مقدم البرنامج ان يدير حواراً بطريقة ذكية، ويعطي رأيه بأسلوب اقناعي وبطريقة غير مباشرة حتى يمكن للمشاهد أن يتقبل هذا التوجيه ويرضى به.

ذلك لان التوجيه المباشر يضع حاجزاً بين البرنامج والمشاهد. نحن نتعامل مع مشاهدين لديهم قدر وافر من الذكاء، وبرامجنا الحوارية في قناه إقرأ تستقطب نخبة متميزة من المفكرين والأدباء والعلماء، وعلى مقدمي البرامج ان يراعوا خصائص هذه النخبة الواعية، حتى يتمكنوا من ايصال الرسالة المطلوبة بطريقة محترفة، وبأسلوب ذكي

أوانته ووسائله، ولكن في الوقت الحاضر ليس متوفرًا لدينا هذه الوسائل، وهذا الاتجاه للحوار مع

الآخر موضوع ضمن خطة برامج القناة، وقد بدأنا بداية متواضعة إذ قمنا بترجمة بعض البرامج إلى اللغة الانجليزية، وهي تبت الآن على القناة، وهذه مرحلة تتبعها مرحلة أخرى، نعمل فيها على إنتاج برامج ناطقة بالعديد من اللغات المتداولة الآن عالمياً ٠٠ ونأمل في المستقبل أن تكون قناة اقرأ شبكة لقنوات متعددة ناطقة بالعديد من اللغات، ذلك لأن رسالة الاسلام رسالة عالمية، للناس كافة، واستخدام اللغات العالمية الحية في ارسال هذه القناة وسيلة فاعلة لايصال هذه الرسالة الخالدة للناس كافة، ومن جانب آخر فهي تصحيح المفاهيم خاطئة الصقت بهذا الدين الضيف.

**** كثير من الشعوب المسلمة على مستوى العالم تجهل ابدجيات الاسلام، باعتباره عقيدة توحيد ومنهاج حياة ٠٠ وهؤلاء في حاجة ماسة لمعرفة دينهم ١٩٠٠**

إذا كنّا مهتمين بتوجيه رسالتنا الاعلامية الى الآخر من غير المسلمين، فإننا أكثر اهتماماً في توجيه هذه الرسالة الى المسلمين من غير العرب في كل قارات العالم، نخاطبهم بلغاتهم التي يتحدثونها .

ومعلوم أن (أربعة أخماس) المسلمين في العالم من غير العرب، ومن ثم فإن هؤلاء لهم حق علينا أن نقدم اليهم الثقافة الاسلامية بلغاتهم، وهذا جمهور عريض جداً، ينبغي العناية به ويلاحظ أن الثقافة الاسلامية قد ضمرت حتى بين المسلمين من العرب، وذلك لضعف المنهج الاسلامي في مناهج الدراسة في تلك النول، مما أدى الى انتشار الأمية الدينية، وذلك بسبب أن المصادر التعليمية والتربوية في مدارسهم لم تزودهم بما يرفع أميتهم وجهلهم بدينهم، حتى يتمكنوا من تعلم الثقافة الاسلامية، وحتى يستطيعوا الالام الكافي بالمنهجية الاسلامية في الاخلاق والسلوك والتعامل، هؤلاء يحتاجون حقيقة الى اعلام اسلامي جاد يوصل اليهم الثقافة الاسلامية وقيم الاسلام بصورة واضحة ونقية، ومؤثرة.

**** في عالمنا اليوم ظهرت مصطلحات فرضت نفسها على الساحة الاعلامية ومنها (العولمة) على سبيل المثال ٠٠ هل يمكن أن نتعرف على المعالم الاساسية لهذا المصطلح؟**

يتغلغل الى العقول والقلوب بسهولة ويسر .

**** مشروعان أساسيان لهما أهميتهما القصوى، مشروع التوفيق بين المذاهب الاسلامية، ومشروع الحوار مع الآخر، إلى أي مدى يمكن لـ «اقرأ» أن تقوم بذلك؟**

أما أن تقوم (اقرأ) بهذين المشروعين، فالجواب، نعم، القضية ليست خياراً امام (اقرأ) بل هي واجب وأمر أساسي في رسالتها، لكن يبقى بعد ذلك كيف يمكن أن تقوم بهذا الدور؟ ومتى؟ ٠٠ وما الاسلوب المناسب لاداء هذا الدور .

من حيث المبدأ المهتمان أساسيتان بالنسبة لاقرأ، وحاضرتان في التصور الأساسي للقناة، وربما مشار الى ذلك بشكل عام في اهداف القناة ورسالتها .

أما من حيث تفصيل الحديث في هذين المشروعين، يمكننا القول:

فيما يتعلق بالمدارس الفقهية المنتمة للمدرسة السنية، نعتقد أن ما قدمته (اقرأ) وتقدمه من خلال برامج الفتاوى، تحاول أن تبقى على هذا التنوع الفقهي الموجود في داخل هذا الإطار السنّي بشكل عام، وتحقيقاً لهذا فقد استضافت (اقرأ) في برامجها الدينية والفقهية كبار العلماء والفقهاء الذين يمثلون هذا التنوع الفقهي .

أما فيما يتعلق بالمذاهب، ولنأخذ مثلاً لذلك (السنّة والشيعية) فإن (اقرأ) لا شك تسعى لايجاد نوع من الحوار الذي قد يؤدي الى الوفاق، وإلى ايجاد ارضيات مشتركة بين هذه التيارات الكبرى في الجسم الاسلامي بشكل عام، لكن هذا الجانب فيه محاذير كثيرة ومن ثم نحن نظرقه على مهل وبشئء من الحذر، ليس خوفاً من الدخول فيه، ولكن محاولة للوصول الى الهدف المنشود، وقد بدأنا بذلك في بعض الاشارات التي وردت في بعض البرامج، ويمكن هنا الاشارة الى ما طرح في برنامج (مدارات الاحداث) وهو يمثل الاختبار الاول لهذه الفكرة تحت عنوان (التقريب بين المذاهب الاسلامية)، واعتقد أن هذه الحلقة اثارت جدلاً واسعاً ولازلتنا في مرحلة تقييم هذه الحلقة وما نتج عنها، ونعتقد انها كانت فاتحة في هذا الطريق، ورغم بعض السلبات التي رافقت هذه المحاولة، تبقى لدينا العزيمة في أن نستمر في هذا الطريق، وفق الاهداف والمبادئ الثابتة لهذه القناة .

أما الحوار مع الآخر، فإننا في قناة اقرأ نؤكد أننا اصحاب حوار، وللراي الآخر مكانته، ونعلم أن للحوار

عمل الشيطان، ونحن في هذا السجال نحتاج حقيقة الى وقفة نحل فيها العولة، معطياتها - سلبياتها - ايجابياتها، وهذا هو المنهج الاسلامي، الذي يدعو الى النظر والدراسة والبحث في الأشياء، بعيداً عن اسلوب الرفض المطلق، أو القبول المطلق بدون نظر وروية.

والأهم من ذلك هو: كيف نصنع عولتنا الخاصة بنا، التي يمكن ان نقدمها للآخرين، إذا كانت العولة تعني فتح الصدود، وإزالة السودود، وانتقال الافكار والآراء بحرية بين الشعوب، فنحن

هنا أولى بأن نقيد من هذه الفرصة ونستثمرها لان ديننا هو دين عالمي للجميع، ولأن ثقافتنا فيها من الثراء والغنى والقيم ما يمكن ان نقدمه للآخرين، ونعتقد بأن في مبادئ الاسلام وتعاليمه وقيمه علاجاً لكثير من المشكلات التي يعاني منها مجتمعنا المعاصر.

وكل هذا الذي يحدث الآن من الخوف الشديد من العولة إنما هو دليل على ضعفنا اصلاً وعلى عدم ثقافتنا بأنفسنا.

**** الاعلان، لا شك يمثل وسيلة من وسائل الدعم المادي لأي قناة، ما مدى تعامل (اقرأ) مع الاعلان.. وكيف؟**

الاعلان لا شك يمثل واحداً من روافد الدعم لأي قناة، ولكن نحن لدينا ضوابط للاعلان، هي مكان الالتزام لدينا، والذين يتعاملون معنا بحمد الله لديهم هذا الوعي، ونحن رفضنا الاعلانات التي لا تلتزم بضوابطنا، وبعض المعلنين انتجوا اعلانات ملتزمة بضوابط (اقرأ).. وهذا امر في غاية الأهمية، ذلك لان جزء من مهمتنا ورسالتنا ان نساهم في ايجاد اتجاه اعلاني منضبط، وقد وجدنا تجاوباً طيباً في هذا الميدان.. ولا شك أننا نشمن تجربة التلفزيون السعودي في الاعلان حسب ضوابطه.

**** الانتاج الدرامي .. ولـ (اقرأ) خصوصيتها.. هل ستعمل على انتاج تمثيلي خاص وفق منهجيتها؟**



الدكتور عبد القادر طاش أثناء الحوار مع المحرر

هذا الموضوع ذو جوانب متعددة وواسعة، ولكن في عجالة يمكن القول أن هناك اتجاهات متعددة في نهج العولة وإبعادها، بعضهم يصور العولة على انها العالمية ذات الانتشار الواسع، وهناك من يصور العولة بأنها ثقافة مهيمنة لطرف من الاطراف القوية في هذا العالم، ولهذا نسمع بمصطلح (الأمركة) أو (الأوربية) وما الى ذلك، (العولة) تحتاج الى تحديد دقيق، ومعالجة في مستويات متعددة، هناك مستوى فكري يتعلق بمدى هيمنة ثقافة على ثقافات أخرى، كما يذهب البعض إلى ذلك، وهناك من يقول بأن العولة هي نتاج لظروف وتبدلات حصلت في الواقع الذي نعيشه اليوم، ولا شك ان هذا ناتج طبيعي لهذه الثورة الهائلة التي حدثت في مجال الاتصال والمواصلات، وانتقال الافكار من مكان الى مكان.

وبصرف النظر عن الجوانب المتعددة للعولة يبقى السؤال المهم وهو: كيف يتعامل المسلمون مع هذه الظاهرة؟

هل نقبلها، هل نرفضها، هل نكيف معها، هل نضع عولتنا الخاصة بنا؟.. مدى تأثير هذه العولة على خصوصياتنا الخلقية والفكرية والدينية والاجتماعية؟

كل هذه الاسئلة اعتقد أنها مطروحة، وبكل أسف فإن كثيراً من الحوارات التي تتم في هذا الإطار تأخذ طرفين متناقضين، إذ هناك من يدعو الى الأخذ بهذه العولة بكل ما فيها باعتبارها قدر محتوم علينا..

وهناك من يرفض هذه العولة، ويعتبرها رجساً من

ومن هنا نود من الباحثين
المختصين ان ينظروا في هذه
التجربة، في كل ابعادها وجوانبها،

وتقوم مسيرتها من خلال الدراسة العلمية الموضوعية
المنهجية، فانا ادعو الباحثين، وبخاصة في جامعاتنا العربية
للالتفات الى التجارب العملية في مجال الاعلام
الاسلامي وتقديم دراسات موضوعية عنها، لان هذه
الدراسات تقيدها الى مواقع القوة والضعف، ولا شك ان
هذا يساعد على التمتين من مواطن القوة ومعالجة مواطن
القصور والضعف، هذه حقيقة أمنية كبيرة أمل ان تتحقق
بإذن الله تعالى.

وفي نهاية هذا اللقاء يبقى علي حقيقة أن أتقدم بخالص الشكر والتقدير والوفاء لمجلتي الحبيبة المنهل..

ومجلة المنهل، مجلة عريقة في مسيرة الثقافة السعودية
بخاصة والثقافة العربية بعامه ومنذ أن بدأت هذه المجلة
كانت ولازالت ذات منهج واضح، ويحمد فيها الاستمرارية،
حتى عندما جاءت التطورات الحديثة أخذت بها، وبقيت
ملتزمة بثوابتها الموضوعية في تناول الثقافي والفكري
والاجتماعي والعلمي، لها سمعتها ومنهجها الإسلامي
والعربي، وكما قلت فإن هذا يحمد لها أنها استقرت على
هذا المنهج واستمرت عليه رغم الكثير من التيارات التي
مرت على الثقافة، ظلت ثابتة على منهجها، وهذا لا شك
سمة من سمات المجالات العريقة ويبقى لمجلة المنهل تميزها
وتفردا ونكهتها الخاصة.

الجانب الآخر الذي يميز مجلة المنهل أنها تستقطب
أقلاماً متنوعة من شتى البلدان العربية والاسلامية، أقلام
لها مكانتها العلمية والفكرية على مستوى عالمنا العربي..
وهناك أقلام ربما لا نجدها إلا في مجلة المنهل، حتى
أصبحت من أعمدتها، ولهذه الاقلام الرصينة قراؤها
ومتابعوها والريصون على اقتناء المجلة من اجلها، واذكر
بين هذه الاقلام أستاذي الكبير الاستاذ الدكتور محمد
رجب البيومي الذي تلمذت عليه، ولا أعني التلمذة المنهجية
في داخل الفصل بل هو استاذي في كتاباته، ومن هنا أوجه
له التحية.

حوار:

السماني كمال الدين

الجانب التمثيلي جانب له أهميته بخاصة ذلك الذي
يخدم اهداف وتوجهات (أقرأ) في منهجيتها الخاصة بها.
إلا أننا لا نستطيع في هذه المرحلة انتاج عمل تمثيلي
لسببين:

أولاً: ان هذا الجانب يحتاج ان تكون لنا فيه رؤية
واضحة وضوابط قادرة على ان تقدم منتجاً راقياً هادفاً،
يودي الغرض المطلوب منه.. ونسعى الآن لتحديد هذه
الرؤية، ولنا دراسة في هذا الجانب وسوف نتبلور هذه
الرؤية قريباً ان شاء الله تعالى.

ثانياً: ان هذا المشروع الانتاجي يحتاج الى تمويل
كبير، وقد لا نستطيع الآن - على أقل تقدير - أن ندخل في
هذا المشروع الكبير، لكن في النية مستقبلاً العمل فيه، وقد
بدأنا فعلاً مخاطبة بعض المختصين من اصحاب هذا الفن،
وقد وصلنا تجاوب كريم في هذا الجانب.. وسوف يكون
للقناة دورها في هذا المجال في المدى المتوسط لها.

** بغرض تكثيف البرامج القيمية الرسالية في بعض القنوات العربية، الى أي حد يمكن ان تتبنى قناة (أقرأ) هذا الدور التنسيق بين القنوات المعنية؟

هذا أمل ربما يكون من السابق لأوانه الآن أن يكون
ضمن الخطة العملية للقناة، ذلك باعتبار أن القناة لا تزال
تجربة وليدة، ولا نريد ان تحمل أكثر مما تستطيع ان تقوم
به أنياً وكفى أن نركز الآن على انجاح هذه التجربة
وانجاحها ثم بعد ذلك يمكن أن تأتي أهداف أخرى في
مراحل أخرى، بغرض الوصول الى الأمثل والأثمن
للمشاهد.

** في نهاية هذا اللقاء اثر .. ماذا يود الدكتور عبد القادر طاش ان يضيف؟

بمناسبة هذا اللقاء الطيب الذي أشكر مجلة المنهل
على اجرائه، وبمناسبة مرور عام على بداية البث لـ (قناة
أقرأ الفضائية)، فاني اقول ان هناك تجارب عديدة في
الاعلام الهادف، سواء في المجال المطبوع أو المسموع أو
المرئي واعتقد ان تجربة (أقرأ) هي واحدة من التجارب التي
تضاف الى تلك التجارب، مدى نجاحها أو عدم نجاحها،
أمر متروك للمشاهدين من جهة، وللباحثين منهم بخاصة من
جهة أخرى.

وأملى بهذه المناسبة ان يتوافر عدد من الباحثين
الجادين لدراسة هذه التجربة، تجربة (أقرأ) ..

شعر/ مفرح السيد
- السعودية -

صدي الألفاء

أيها الحب الذي ولّى زمانه
وتوارى عن فؤادي عنفوانه
قبل ما يمضي من الحب أوانه
أين منى في هوى الماضي حنانه

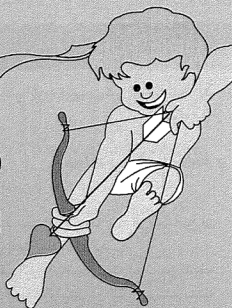
أيها الحب الذي قد راح عنى
سلب المقهور هذا الحب منى
كم تمنينا وما يجدى التمنى
مالها لو حققت في الحب ظني

أيها الحب الذي صار حطاماً
أهرقت في ليله الكف المداماً
وانطوى في ظلمة الليل الندامى
وتلاشى الجو من نفع الخزامى

عادت الألفان في الدنيا عويلاً
تندب العهد الذي كان جميلاً
وخليل في الهوى ضم خليلاً
قصر الليل وقد كان طويلاً

يا صدى الألفان أين الحب أيننا
كيف ضاع الحب هذا من يدينا
كم على الأطلال نحنا وبكيننا
وانتهى هذا الهوى ثم .. انتهينا

رسالة
من زكي مبارك
.. الى السيدة الجميلة



الحذاء

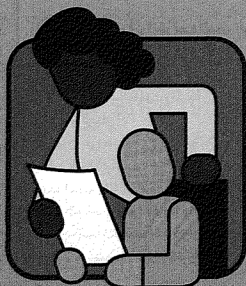
علاج

طبي ناجع

اليافوت .. فروع القلوب

١٢٠

أوراق زوجية



هين

مجلة شهريّة ذات أداء متميز تخطب عقل المرأة ووجدانها

الياقوت .. مفرح القلوب

هذا الخير العميم «نهر الكوثر» وقد ثبت في الصحيح أن الكوثر: «نهر في الجنة حافظه من ذهب».

ومجره على الدر والياقوت، تربته أطيب من المسك، وماؤه أحلى من العسل، وأبيض من الثلج، من شرب منه شربة، لم يظم بعدها أبداً.

وقد ذكر الترمذي بسنده عن عبد الله بن مسعود عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: إن المرأة من نساء أهل الجنة ليرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة حتى يرى مخها وذلك بأن الله يقول: (كأنهن الياقوت والمرجان)، فأمّا الياقوت، فإنه حجر لو أدخلت فيه سلكا ثم أستصفيت لأرثته من ورائه. وخيل الجنة من ياقوته حمراء. فقد سئل رسول الله (صلى الله عليه وسلم): هل في الجنة من خيل؟ قال: «إن الله أدخل الجنة فسوف تحمل فيها على فرس من ياقوته حمراء يطير بك في الجنة حيث شئت؟ كما يوجد في الجنة ثمة منابر من نور ومنابر من لؤلؤ، ومنابر من ياقوت، ورد في المسند أنه قال (صلى الله عليه وسلم) إن الركن والحجر والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة».

منافع الياقوت وأثاره الطبية:

يعتقد الكثيرون حتى الآن أن التحلي بالياقوت يؤمن الفعولة ويحمي من الأمراض والأخطار.

ويقال أنه يمنع نزف الدم إذا علق على الإنسان، وأما خاصيته في تقريح القلب وتقويته ومقاومة السموم فأمر عظيم. وهو يفرح القلب إسكاسا، ويقطع العطش إذا وضع في الفم أو تحت اللسان، ويقال إنه ينفع من الوسواس والخفقان وضعف القلب.

ومن منافعه أنه يخلع على لابس مهابة وأبهة، وينيل

ظل الياقوت الأحمر لبضعة آلاف من السنين جوهره تيجان العائلات المالكة، وعلية الأميرات والأغنياء.. والأمل المنشود.. للباحثين عن الكنوز.. إن هذا الحجر الذي احتاج الطبيعة الى ملايين السنين لتكوينه هو الأكثر ندرة والأعلى سعرا بين الأحجار الكريمة، ويشكل هو وأخواته مثل الياقوت الأزرق «الصغير» نصف تجارة العالم بهذه الأحجار الملونة.

وفي عصرنا الحالي اهتمت التقنية الحديثة الى طريقة صنعه في الافران وأمكن تصنيعه في الولايات المتحدة الامريكية واليابان وسويسرا وروسيا وفرنسا وفي كل مكان لاغراض مختلفة مثل زجاج الساعات والاجهزة الطبية، وصناعة سفن الفضاء وصولا الى اجهزة فحص الاسعار في المحلات التجارية، حيث تحمي صفائح الياقوت الأزرق هذه الاجهزة من الخدش وتسمح لأشعة الليزر بقراءة الاسعار.

ويقع الياقوت بنوعيه في قلب صناعة النظم العاملة بأشعة الليزر والاقمار الصناعية.

وهكذا فإن النسخة التي يصنعها الانسان لهذه البلورات البالغة من العمر بلايين السنين توسع أهداف الإنسان باتجاه غزو الفضاء الكوني.. عن طريق الصواريخ.. وسفن الفضاء..

الياقوت في القرآن الكريم والسنة النبوية:

ورد ذكر الياقوت في القرآن الكريم في موضع واحد في سورة الرحمن الآية/٥٨ حيث شبه الله العلى القدير نساء أهل الجنة بالياقوت والمرجان. قال تعالى: (كأنهن الياقوت والمرجان).

وورد في صفة الجنة قوله (صلى الله عليه وسلم) «وحصباؤها الياقوت واللؤلؤ». قال سبحانه وتعالى في سورة الكوثر (إنّا أعطيناك الكوثر) والخطاب هذا للرسول (صلى الله عليه وسلم) تكريما وتشريفا له ولمكانته الرفيعة ودرجته السامية عند الله عز وجل.. ومعنى الآية أننا أعطيناك يا محمد الخير الكثير في الدنيا والآخرة، ومن



في أعين الناس، ويكون مهيباً موقراً منظوراً إليه، مشاراً إليه بالبنان.

اصناف الياقوت وخواصه:

: الياقوت الأحمر لونه أحمر بدرجاته المختلفة وهي:

- ١ - الياقوت الوردى.
- ٢ - الياقوت الخمرى.
- ٣ - الياقوت الرمانى.
- ٤ - البهرمان.
- ٥ - الياقوت الأرجوانى.
- ٦ - الأرجوان.
- ٧ - الجمرى أو البنفسجى.

ثانياً: الياقوت الأصفر:

ولونه أصفر بدرجاته المختلفة من الأصفر الفاقع الى الباهت.
- الرقيق - الخلوفى - الجلتارى - الأترجى -
التينى - المشمش.

ثالثاً: الياقوت الأسمانجونى:

وينتظم اللون الأزرق بجميع درجاته المختلفة كل أنواع الياقوت الأزرق.

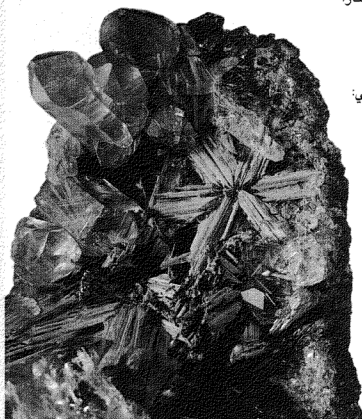
- ١ - الياقوت الأزرق.
- ٢ - اللانزوردى.
- ٣ - النيلي أو الياقوت الذكر.
- ٤ - الياقوت الكحلّى.
- ٥ - الياقوت الزيتى.
- ٦ - الياقوت البنفسجى.
- ٧ - سفير.

رابعاً: الياقوت الأبيض:

جميع أصنافه الأربعة لونها أبيض.

- ١ - المهاى أو الأبيض.
- ٢ - الياقوت الذكر.
- ٣ - الياقوت الأنثى.
- ٤ - سفير أبيض.

التركيب الكيميائى لكل هذه الأنواع واحد وهو ثالث أكسيد الألومنيوم Al_2O_3 إلا أن النوع الأبيض يتكون من ثالث أكسيد الألومنيوم النقي Pure Corundum أما النوع الأحمر فيكون مشوباً بالقليل من أكسيد الحديد Fe^{2+} والنوع الأصفر يكون مشوباً



ببيض الشوائب غير المعروفة حتى الآن، أما النوع الأزرق فيكون مشوباً بثآثر طفيف من أكسيد الحديد والتيتانيوم. ومعامل إنكسار الياقوت $1.7606 - 1.7687$ ، ودرجة الصلابة ٩، والوزن النوعى $3.989 - 4.000$ ، ونظام تبلوره سداسى.

ويذكر احمد بن يوسف التيفاشى أن أجود الياقوت هو الأحمر البهرمانى، الرمانى، الوردى، المشرق اللون الذى ينفذه البصر بسرعة، الخالى من العيوب.

ومن عيوب الياقوت التى تعثره الشعرة والسوس وقيل: إن أرداً ألوانه الأحمر الوردى الذى يضرب الى البياض السماقى الضارب الى السواد وكذلك الرمادى ويسمى السنورى أو الزيتى.

ومن خصائصه أنه يقطع كل الأحجار ولا يقطعه شيء غير الماس ولا يكون مثقوباً بغير الماس.

الياقوت في الشعر العربى:

- يقول جرير في وصف محبوبته:

إذا مشيت على الحمباء صورها

شعاع خديك ياقوتاً ومرجاناً

و«كانثابوري» وتبدأ معالجة الأحجار الخام بعد أن يقيم الصانع الماهر البلورات ويقرر الشكل الذي يجب أن تتخذه أحيانا تشطف حواف البلورة وتقطع وغالبا ما يتم تشكيل الأحجار بأشكال دائرية أو بيضاوية أو على شكل مثلثين الأضلاع أو بأشكال أخرى بواسطة دواليب يتم تشعيق حوافها بالماس، وتستمر عملية الصقل الى أن يتحول سطح الحجر إلى ما يشبه المرأة.

تقليد الطبيعة لانتاج الياقوت الصناعي:

يعالج معظم الياقوت والصفير، وأنواع أخرى من الأحجار الكريمة بالتسخين، وذلك لتكثيف ألوانه واكتمال صفاته، وإنتاج مجوهرات نقية قابلة للتسويق وهذه المعالجة معروفة منذ زمن بعيد. وجاء في رسالة لكاثر عربي من القرن الحادي عشر وصف دقيق لعملية تسخين الياقوت، وهي العملية نفسها التي تجرى في العصر الراهن.

ويدخل التكنولوجيا الحديثة أصبح من الممكن جعل النتائج دقيقة فالمعالجة بالحرارة هدفها تنقية الياقوت من الداخل، وتصل درجة حرارة التسخين في أفران الغاز والكهرباء المسيطر عليها بالكمبيوتر الى ٢٠٠٠ درجة سنتريرد تقريبا.

وتتنوع عمليات التسخين أو إعادة تصنيع الياقوت والصفير، وهناك اليوم طريقة جديدة تسمى «المعالجة بالتغلغل» يقوم بها تاجر أمريكي يسمى «جيفري بيرجمان» يشتري من بانكوك أحجاراً ذات ألوان تعتبر لا قيمة لها أو عديمة اللون من الصغير السريلانكي ثم يرسل ما يشتريه الى مختبر في كاليفورنيا حيث تغلف بعنصرى التيتانيوم والحديد. وبعد طبعه لمدة ٦٠٠ ساعة في درجة حرارة عالية يتغلغل التيتانيوم والأكسيد في الحجر بطول ٤، ملليمتر، ثم ترسل الأحجار المعالجة بالحرارة الى بانكوك ثانية حيث يقوم الصانع المهرة بصقلها محاذرين إزالة الطبقة الزرقاء الرقيقة ويبين أن هذه الطريقة قديمة قدم التجارة نفسها فقد كتب بليني قبل ١٩ قرناً أن الزجاج يمكن أن يتألق مثل الذهب عندما يغلف بطبقة معدنية مطروقة لأمعة. وبذلك نجد أن الكثير من البضاعة التي تباع على أنها ياقوت لا تعدو أن تكون مركبات صناعية من صنع الإنسان لذلك نجد أن تحديد هوية الياقوت تحديداً دقيقاً بدون تدريب أمر مستحيل. ومع زيادة الطلب على الياقوت والصفير الصناعي لدخوله في كثير من الصناعات كما سبق ذكره ظهرت محاولات عديدة لصناعاته نذكر منها طريقة الصهر.

- أما الجحترى فيقول:
أما ترى الورد يحكي خجلة ظهرت
في صحن خد من العشوق منعوت
كأنه فوق ساق من زيرجدة
نثر من التبر في محمر ياقوت
- وقال أبو نواس، من أروع النسيب والتشبيب:
فالخمر ياقوتة والكأس لؤلؤة
في كف لؤلؤة ممشوقة القد.

- وقال الصنوبري:
الجزع، والياقوت، والدر
عيناه، والخندان، والثغر
- قال حاتم الطائي:

وعلقن في أعناقهن لناظر
جمانا وياقوتا ودرا مؤلفا
- وقال أبو أحمد:

كان نوي الحلي تحت ثيابها
نوي السفا لاقى الرياح الزعاعا
جمان وياقوت كان قصوصه
وقود الفضا زان الجيوب الروادما
- وقال جميل بن معمر (جميل بثينة) الشاعر العذري:
من البيض معطار يزين لبانها
جمان وياقوت ودر مؤلف

أهم مناطق استخراج الياقوت في العالم:

لعدة قرون كان الصغير ذو الحجم الكبير يأتي من كشمير والياقوت الجميلة تأتي من ماينمار «بورما» حالياً وسريلانكا، أما اليوم فقد أصبحت تايلند وكامبوديا وأستراليا وكينيا ونيجيرو مناطق استخراج رئيسية وشقت مناجم جديدة في الصين وقيتنام. وهناك نوع من «الصغير» الأزرق يأتي من مونتانا في الولايات المتحدة الأمريكية وتجدر الإشارة هنا أن ما يانمار هي منطقة المناجم الأسطورية حيث خرج من مناجم موجو في هذه البلاد عدد كبير من الياقوت المميز التي جمعها مهرباجات الهند وشاهات فارس وسلاطين آل عثمان. النوع الذي تنتجه هذه المنطقة يسمى «ياقوت دم الحمام» وهو النوع النادر الذي يعثر على القليل منه سنوياً، إنه ذو ألوان متميز بسبب الكروميوم المشع.

عمليات قطع وصقل الياقوت:

تنتشر مصانع القطع والصقل في شوارع «بانكوك»



قيراط من الكورنيوم سنويا .

استخدامات الياقوت الأحمر والأزرق الصناعي:

١ - أكبر سوق للياقوت الأزرق الصناعي في الولايات المتحدة الأمريكية حيث يباع بالجملة بأقل من ٥ دولار للقيراط، ويتم تحويل جزء كبير منه الى شرائح تستخدم كزجاج للساعات، وتكلف ساعة من هذا النوع أكثر من ٤٠٠ دولار، حيث تتكون واجهتها الزجاجية من الصفيير الأزرق الذي لا يؤثر فيه أي نوع من الحوامض أو أي مادة كيميائية اضافة الى أنه ضد الخدش .

٢ - يستخدم في صناعة ساعات الكوارتز واليوصلات والعدادات الكهربائية وكخيوط مرشدة في آلات النسيج .

٣ - أكثر استخدامات الصفيير تقدما تتم تطويرها في الولايات المتحدة . ففي امريكا أصبحت قضبان الياقوت الصناعي حجر الزاوية في عالم نظم أشعة الليزر ويرجع ذلك الى أهم ما يتميز به الكورنيوم وهو المئات ودرجة نوابته العالية وقابليته لتحرير كل أنواع الموجات، من موجة الأشعة فوق البنفسجية مرورا بموجات الأشعة المنظورة ووصولا الى الأشعة تحت الحمراء، وبواسطة إيجاد التوافق بين أطوال الموجات المهمة المطلوبة، يستطيع قضيب واحد القيام بكل المهمات .

٤ - في جو الفضاء أو المفاعلات النووية، تستطيع جزئيات الإشعاع اختراق رقائق السليكون التقليدية فتعيق هذه الجزئيات المشحونة عمل الرقائق . ولكن استخدام الصفيير لتدعيم هذه الرقائق التي تستخدم في صناعة الدوائر الكهربائية يجعلها تقاوم بشكل طبيعي اختراق الأشعة وذلك لان الصفيير يعتبر عازلا جيدا في معظم الأحيان .

٥ - وأخيرا هناك خصائص مهمة للصفيير ساهمت في نجاح الولايات المتحدة في حرب الخليج الأخيرة وتحرير الكويت . إن قضبان الصفيير تشكل أساس عمل جهاز يعمل بالأشعة تحت الحمراء ويوجد قرب محرك الطائرة الحربية، مبرمجة اصدار اشارات قوية تجعل المحرك وكأنه نسخة ثانية من محرك طائرة العدو أو دبابته أو أي آلة من آلات ومهمة هذا الجهاز هي تضليل صواريخ العدو .

٦ - استخدام الصفيير في صناعة أنف الصاروخ فالصفيير يستعصى على الخدش والحك حين يمر الصاروخ عبر عاصفة رملية مثلاً، وهكذا فإن الأنف المصنوع من الياقوت الأزرق يسمح بدخول الإشعاع الذي يحتاجه جهاز الاحساس في الصاروخ للوصول الى هدفه بدون عائق .

حيث تجري العملية في أفران كهربائية تحتوى على المادة المصهورة «أكسيد الألومنيوم والكروميوم» .

ويتم تسخين الخليط جيدا تحت درجة حرارة تتجاوز ١٠٠٠ درجة ثم توضع بذور الياقوت في قلب هذا الخليط المتوهج ويستغرق نمو بلورات الياقوت سنة تقريبا لتتحول الى ياقوت . وهناك طريقة أخرى تجرى في مختبر في لوس انجلوس تقوم بها «جوديت أوسمر» الباحثة السابقة في تنمية بلورات الفضاء، وتختلف عن الطريقة السابقة أنها لا تستخدم بذورا بلورية، مع أنها تستخدم طريقة الصهر نفسها .

وخلاصة القول في هذه الطريقة أن العمليات حين تكون دقيقة، فإن الذرات الناتجة تصطف في أشكال شبكية سداسية وتتلور مكونة الياقوت، تماما كما يحدث في الطبيعة .

وفي الاتحاد السوفيتي السابق أجريت تجارب لإنتاج الياقوت بالتسخين المائي ولكن غالبية الياقوت الصناعي ذى السعر العالي ينتج بطريقة التسييل، وذلك لأن هذا النوع نادر نسبيا وله مظهر الياقوت الطبيعي بألوانه المتنوعة ويستجيب لمليل شتى المستهلكين وعلى العكس من هذه التقنيات يستخدم أحد أكبر المنتجين العالمين للياقوت الصناعي طريقة مختلفة تسمى طريقة «الانصهار باللهب» .

وهي طريقة بدأت وتطورت منذ تسعينيات القرن التاسع عشر . ويقع هذا المصنع في مونتى السويسرية بين جبال الألب وبحيرة جنيف . ويحتوى هذا المصنع على ما يقارب الألفى فرن وقودها الهيدروجين، وقد بدأ العمل باستخدام مسحوق أكسيد الألومنيوم عديم اللون، وللحصول على اللون الأحمر يضاف أكسيد الكروميوم . أما للحصول على اللون الأزرق فيضاف التيتانيوم والحديد، وللحصول على اللون الأخضر يضاف عنصر الكوبالت . أما اللون الأصفر فيمكن الحصول عليه بإضافة النيكل بدلا من الحديد . ثم يسقط المسحوق من وعاء قمعي الشكل ويمر عبر اللهب فيتحول الى سائل يستقر على بذرة بلورية حيث ينمو الياقوت والصفيير خلال خمس ساعات ونصف الساعة على شكل اسطوانى بطول ٧ سم وعرض ٢ سم . وقد أصبح الآن ستة منتجين على الأقل بهذه الطريقة، اضافة الى مؤسسات أخرى تستخدم تقنيات مختلفة، وكل هذا ينتج أكثر من بليون

الحناء علاج طبي ناجح

«احتجم» وما شكا اليه وجعاً في رجله إلا قال له «اختضب الحناء».

وكان إذا صدع غلف رأسه بالحناء وهو يقول «إنه نافع باذن الله من الصداع» رواه ابن ماجة في سننه. وذكر ابن القيم في فوائده الحناء... ومن منافع الحناء انه محلل نافع من حرق النار وفيه قوة موافقه للعصب إذا ضمد به وينفع إذا مضغ من قروح الفم، وقد ورد في غير كتاب من كتب العرب الطبية ما نوه بأهمية الحنة الصحيحة فأشار «ابن عوام» في كتابه «الفلاحة» الى أن: «الحنة باردة وترطب بطبيعتها تستعمل النساء أوراقها للخضاب كزينة ويستعملها الرجال لتبريد وتهديء المزاج».

وما من كتاب كتبه أطباء العرب القدامى إلا ذكروا فيه «الحناء» كعلاج يقول ابن سينا في كتابه الشهير «القانون في الطب» قيل انه يفعل في الجراحات فعل دم الأخوين فهو نبات ينفع لأوجاع العصب يدخل في مراهم الفالج والتمدد ودهنه يلين الأعصاب وينفع في كسر العظام يطلى على الجبهة مع الخل للصداع، وفي قروح الفم موافق لأوجاع الرحم.

فوائد الحناء:

والحناء العديد من الفوائد للأماكن التي توضع عليها

وهي:

أولاً: الرأس والشعر:

- تخفف حرارة الرأس وتنقي فروة الشعر من الميكروبات والطفيليات ومن الإفرازات الزائدة من الدهون.

- تفيد في علاج القشرة والتهابات فروة الرأس.

اعداد : نائلة عثمان انعيم

- الاردن -

ظاهرة النقش بالحناء كانت موجودة منذ فجر التاريخ وقد استعملت المرأة العربية النقش بالحناء منذ آلاف السنين والتي ارتبطت في البداية بالأميرات من «كليوترا» الى «قطر الندى» ثم شاع بين عامة النساء... ثم اقترن بالأفراح والأعياد والعلاج.

وروي أن الحناء شجرة من الجنة وأن أول من تحت بها السيدة «هاجر» زوجة سيدنا ابراهيم وأم اسماعيل عليهما السلام، فعندما كانت تجمع الحصى حتى لا يتسرب الماء الذي نبع لاسماعيل اخذت يدها تتشقق وعندما دبت الحياة في مكان معيشتها، مع ابنها اسماعيل جاء اناس من العرب ودلوها على وجود شجرة الحناء وحملوا لها منها وريقات طحنتها وخضبت بها يدها فشفيت والتأت الجروح.

فما هي شجرة الحناء وما هي فوائدها؟؟:

شجرة الحناء ضاربة جذورها في اعماق التاريخ نظرا لما لها من استعمالات طبية عديدة اذ يكبر نباتها حتى يصير شجرة معمرة متساقطة الأوراق من موسم لآخر ويصل علوها ما بين ٨٠ سم الى ١٢٠ سم وقد يصل علوها أحيانا الى زهاء سبعة أمتار وموطنها الأصلي مصر القديمة ويولد فارس ثم انتقلت الى افريقيا وأوروبا.

والحناء صلبة عديمة الشكل لونها أسمر أو أحمر قاتم تنوب جزئياً في الماء البارد وكليا في الماء المغلي.

أهمية الحناء عند المسلمين:

ترتبط الحناء عند المسلمين بجانب من الفكر الديني فاستعملها سنة وإن النبي (صلى الله عليه وسلم) قد ندب إلى استعمال الحناء للزينة أو استعمالها كدواء... وهناك من الأحاديث للرسول (صلى الله عليه وسلم) ما رواه الامام ابو داود واحمد: أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ما شكا اليه أحد وجعاً في رأسه إلا قال له



- تقلل من افراز العرق.
- تغذي الشعر وتكسيبه حيوية وقوة.
- تعتبر أفضل وسيلة لصبغ الشعر لاحتوائها على مادة لونية طبيعية تخترق الشعرة وتصبغها تماماً دون اضرار جانبية.

ثانياً: الأيدي والأقدام:

يقضي معجون الحناء على الطفيليات التي تسبب الحساسية سواء بين أصابع الأرجل أو ثنايا الجسم فهي تقضي على فطر «التينيا» الذي يصيب الأقدام فيما بين الأصابع على سبيل المثال.
- تمنع المواد القابضة

المستوفرة في الحناء من تشقق الجلد وتمده بالصلابة والحيوية وبذلك تفيد في علاج شقوق الأيدي والأقدام.
فوائد عامة:

- يمتاز نبات الحناء بأن جميع أجزائه ذات فائدة صحية فيقال إن لحاء الشجرة بعد غليه يمكن تناوله كعلاج للدوسنتاريا الأميبية.

- يستخلص من أزهار الحناء عطر «التمر حنة» وهو عطر عربي شهير.

- تستخدم ثمرة نبات الحناء المغلية في علاج متاعب الدورة الشهرية وأوجاع البطن ومفيد للآلام الظهر.

- يستخدم في علاج الجروح والتآملها.

- يستخدم في علاج العين «بدول الخليلج» لأنها تعزل الجسم عن حرارة الرمل وتحول دون وجع العين الذي هو أحد العوارض الناتجة عن تسرب الحرارة.

- محلل نافع من حرق النار.

- فيه قوة موافقة للعصب إذا ضمد به.

- ينفع في قروح القدم.

- يستخدم في علاج السرطان كما جاء في كتاب

«الخالصي».

- يستخدم في التحنيط لاحتوائه على مادة مطهرة

تقتل الفطريات التي تعمل على تحلل الجثث.
- يستخدم في الترطيب والتنظيف والتطهير.

فوائد الحناء:

بدأت شركات ومستحضرات التجميل في الخارج تدرك أهمية الحناء في صناعتها، فبدأت تستخدمه في تركيب أنواع مختلفه من الشامبو ومنظفات البشرة وكريمات معالجة تشققات القشرة، وحول هذا الموضوع سبق وأن نشرت مجلة العلوم الطبية دراسة للدكتورة «اليس كوب» الخبيرة بأمراض الشعر والتجميل تقول فيها «إن المركبات الكيميائية التي تستخدم الآن في صبغة الشعر تضعف من افراز المواد الطبيعية من فروة الرأس وأن الصبغة الوحيدة المفيدة للشعر هي الصبغات المصنعة من: مواد طبيعية مثل الحناء.

ففي الوقت الذي ادرك فيه الغرب قيمة الحناء الذي استخدمته جداتنا منذ مئات السنين وأصبح يصنعه ويعيده الينا بأسماء جديدة إلا أن المرأة العربية مازالت بعيدة عن استخدامه بل وتعتبره «موضة» قديمة.

فمنى نذكر أهمية الحناء، أهمية ما تركناه وأهملنا؟»

فاعلية الصورة البيانية في القصة الشعرية قصيدة (دلال) للشاعر عبد الله الفيافي نموذجاً

مصطلح القصيدة القصصية يبدو مناسباً، بيد أن مصطلح القصة الشعرية يبدو أكثر ملاءمة حين ينسج الشاعر قصة كاملة يختار لها الالهام الشعري شكلاً، وفي هذه الحالة يكون الشكل الشعري ثانوياً قياساً بالقصة التي تنتظم القصيدة.

النموذج التطبيقي:

وفي المجموعة الشعرية الموسومة (إذ ما الليل أغرقني) للشاعر عبد الله الفيافي تتجلى ظاهرة القصة الشعرية ولا سيما في قصيدة (دلال) [٥] التي ستكون نموذجاً تطبيقياً للتحليل الذي سينحو منحى خاصاً يقوم على رصد الصورة البيانية بانماطها الثلاثة (الصورة التشبيهية والصورة الاستعارية والصورة الكنائية) [٦]، من حيث صلتها بعناصر القصة، فالصورة البيانية تسهم بطريقة وبأخرى في رسم الشخصية ونمو الحدث، وتدخل بالضرورة في نسج السرد الشعري، وتبولى هذه السطور الإجابة عن سؤال مهم هو: هل للصورة البيانية دور في إظهار تأثير عناصر القصة؟ وهذا ما سيكشف عنه الجانب التطبيقي من هذه الدراسة.

يتقمص الشاعر في قصيدة (دلال) - التي جاءت في إطار ثلاثة مشاهد قصصية - دور الراوي الذي

إن التناغم بين فن الشعر وفن القصة مما يعزز الفنين ويستثمر خصائصهما المشتركة ولا سيما حين يجتمعان في مضمار القصة الشعرية، وليس من شأن هذه السطور أن تتعرض لطبيعة الصلة ما بين الشعر والقصة لأن ذلك مما تعرضت له دراسات كثيرة، فضلاً عن تلك الدراسات التي رصدت القصة الشعرية في الشعر العربي منذ مرحلة ما قبل الإسلام وحتى الوقت الحاضر [١]. حتى إذا ما دخلنا رحاب هذا العصر بدت القصة الشعرية [٢] مما لا يمكن إنكاره أو تجاهله في ديوان الشعر الحديث لا سيما أن الشعراء المعاصرين اتخذوا من القصة الشعرية وسيلة تعبير مهمة من خلال تنمية أحد عناصر القصة داخل القصيدة. وربما طمحت القصيدة الحديثة لأن تكون قصة متكاملة «لها ما يميزها من أجواء وحدث نام وأشخاص نعرفهم ونحيا مشكلاتهم» [٣].

ويطلق الدكتور عز الدين اسماعيل تسمية (القصيدة القصصية) على هذا النمط الشعري إذ يورد أن القصيدة القصصية صارت تكتب الآن على أنها نوع أدبي متميز [٤] ولو شئنا أن نفرق بين مصطلحي القصة الشعرية والقصيدة القصصية لقلنا إن الشاعر حين يغلب الطابع الشعري وتكون القصة أداة فنية ثانوية فإن

بقلم: الدكتور وجدان عبد الإله الصائغ

دكتوراه في النقد البلاغي - العراق



دلال [*]

كانت (دلال) تُحسُّ مُسْاةَ امها
وترى حوالِها الربيع زبرجدا
فمضت تُدْاري عاشقاً حيناً وحيد
نأ تشترى بوصالها المترددا
قد أطمعت .. ولَّم ما في مهجة
حرى تخوض صراعها المتمردا!

غاصت بأحضان النُّصار وأغرقت
بالناعم الأملود .. فدأها الندى
لكنَّها سلَّبت ثراء الروح في
لُج السراب وحلَّمها المتوردا
ثابت .. وعادت بالجمال وقد نوى
زهر الربيع .. وجفَّ في العود الندى
ولرَّعما تنوي الزهور البائسا
تُ .. بفصلها .. بيد الليالي والصدى

سارت شُعباً نابضاً متوقدا
فيها انتفاضات الربيع مُوردا
تخطو على إيقاع نغم فاره
فاه الشباب بلحنه فتردداً
من (كعبها) انبث الضياء وعانقت
نرات تُربِّ العاشقين المُهتدي
وعلى جديلة شعرها سالت سبا
نك من كنوز الله تهمني عسجدا
هي فتنة الدنيا ملاك طاهر
رأت الطريق أمامها قدمها
ولها دلال الفصن مياس الجنى
فتحت لها الدنيا يداً مُم يدا

قالت: «وماذا لورميتُ بمهجتي
في موجة الدنيا للعب لتسعدا»
بلجت براعمها فألفت حولها
صور الجمال وكل مال مُغتدا
كانت يتيممة والد لم يرعها
والأم أشقى من رعاها مولدا

(*) نشرت في مجلة (المنهل): العدد ٤٤٠ (صفر
١٤٠٦هـ = أكتوبر ونوفمبر ١٩٨٥م).
المصدر: الفيقي، عبد الله: إذا ما الليل أغرقني. ط.
(١) مطابع الشريف الرياض: ١٤١١هـ (١) مطابع
الشريف الرياض: ١٤١١هـ = ١٩٩٠م.

روحها اذ يقول:

سارت شُعباً نابضاً متوقدا
فيها انتفاضات الربيع مُوردا
تخطو على إيقاع نغم فاره
فاه الشباب بلحنه فترددا

يسرد علينا قصة تلك الفتاة بلمسات شعرية دالة،
والراوي هنا من النوع الذي يعلم بسياق الأحداث
وتطوراتها أكثر من الشخصية [٧]. لذلك يمهّد في
المشهد الأول للمفاصل المهمة في حياة دلال ابتداء
بالاستهلال التي تكشف عن براءة ذاتها ونصاعة

من كعبها انبث الضياء وعانقت
 ذراتُ تربِ العاشقين المُهتَدَى
 وعلى جديلة شعرها سالت سبا
 تك من كنوز الله تهمني عسجدا
 هي فتنة الدنيا ملاك طاهر
 رأت الطريق أمامها قد مُهدَا
 ولها دلال الغصن مياس الجنى
 فتحت لها الدنيا يداً ثم يدا

يكنّي الشاعر - في البيت الشعري الاول - عن
 لمسات الجمال الفطري والبراءة الغضة بعنقود من
 الصور البيانية، ان تطالعنا الاستعارة التصريحية
 التي صيرت دلال (المستعار له) شعاعاً. وقد اضيف
 الشعاع (اللفظ المستعار) على الفتاة دلالات النصاعة
 والنقاء فضلاً عن القدرة في اثارة الاريحية في
 النفوس. وينتقي خيال الشاعر لفظ (نابض) قرينة
 استعارية لاستعارة مكنية يستحيل الشعاع - تحت
 ظلالها - قسيماً استعارياً للقلب (المستعار منه)
 المترع بالحياة، احياء برهافة المشاعر والاحاسيس.
 وتطل من لفظ (متوقد) استعارة مكنية أخرى تصوير
 الشعاع وهجاً (متوقدا) اشارة الى جذوة الشباب
 وعنفوانه، ويهب الربيع بطلاة القصة الشعرية كل
 دلالاته المقترنة باللون الزاهي والعطر الذاكي فضلاً
 عن التجدد والحيوية في نسج صورة كنانة انتظمت
 الشطر الثاني.

ملاحح البطة هسيا:

ان هذا الاستهلال للقصة الشعرية قد اضاء
 جانباً من ملاحح دلال الحسية وطبيعة سريرتها حيث
 استعانت الصور البيانية المتواشجة بتأثير ثلاث
 حواس هي حاسة البصر المستقاة من لون (الشعاع)
 الناصع، والربيع واللوان وروده (موردا)، ولون التوقد
 (متوقدا). وحاسة السمع المستوحاة من صوت
 النبط (نابض). فضلاً عن حضور حاسة اللمس

المستمدة من وهج الوقد (متوقدا). ان يعزز حضور تلك
 الحواس تأثير اللوحة الشعرية.

ولكي يفصح الشاعر/ الراوي عن ميعة الصبا
 وفورة الشباب فانه يستعين بالصورة البيانية التي
 ترصد ايقاعية خطوات دلال - بطلاة القصة الشعرية -
 في البيت الثاني حيث يتأنس الشباب (المستعار له) -
 تحت ظلال التشخيص الاستعاري - مغنياً يتسق
 (لحنه) مع تلك الخطوات الموقعة.

ويغدق حضور الالفاظ (ايقاع)، (نغم)، (فاه)،
 (لحنه)، (ترددا) على اللوحة الاستعارية طابعاً سمعياً
 بيناً. ويشكل تردد صوت النون والفاء مهاداً ايقاعياً ان
 يتكرر صوت النون اربع مرات (ن ٠٠٠ ن ٠٠٠ ن
 ٠٠٠) وصوت الفاء ثلاث مرات (ف ٠٠٠ ف ٠٠٠
 ف) وفي اطار ما يُدعى بـ (التجمعات الصوتية) [٨]
 التي من شأنها ان تدخل في مفاصل الصورة الشعرية
 لتزيدها عمقاً في الدلالة وثراء في تدفق الايحاءات.

ويأتي البيت الثالث كي يكشف عن ملمح حسي
 آخر من ملاحح دلال وهو لون بشرتها إذ تغدو بطلاة
 القصة الشعرية (المستعار له) - تحت خيمة الاستعارة
 المكنية - مناراً للعاشقين بقرينة قول الشاعر (من كعبها
 انبث الضياء) افصاحاً عن لون بشرتها البيضاء التي
 تخفي تحت إهابها الفطرة الخيرة المتمثلة بنقاء
 السريرة وبهاء الروح وتكرس هذا المعنى الاستعارة
 المكنية التي شخصت (ذرات ترب العاشقين) اناسي
 (المستعار منه) (تعانق) خطوات دلال وتباركها.

وتظل الصورة البيانية اداة القصة الشعرية
 ووسيلتها في رسم ملمح خارجي آخر من ملاحح دلال
 حيث تعكس في البيت الرابع لون شعرها وغزارة حين
 يصطفي خيال الشاعر (السباك) قسيماً استعارياً
 مشتركاً لثلاث صور استعارية مكنية إذ تصيرها
 الأولى ماء (المستعار منه) بدلالة الفعل المستعار
 (سالت). وتجعلها الثانية والثالثة غيمة (المستعار منه)
 بدلالة الفعل المستعار (تهمي). تعبيراً عن نعمة شعر
 دلال وغزارته. ويضفي الفعلان المستعاران (سالت)



الحياتية في سطور

- دكتورة في النقد
البلاغي.

- أستاذة النقد
الادبي والدراسات
البلاغية.

- لها جمهرة من
الدراسات والبحوث
نشرت في العديد من
المجلات المختصة.

- صدر لها كتاب
«الصورة البيانية في
شعر عمر أبي ريشة».

- لها مجموعة من
القصائد.

- شاركت في
مجموعة من المؤتمرات
والندوات.

به). ويهب المشبه به
المشبه احياءات
العتاء والجمال
والتجدد. وتتأزر
هاتان الصورتان
البيانيتان كي تشيا
باعتدال قوام دلال
وتثنيه حين سيرها.
ويشاء الشاعر أن
يختم هذا المشهد
باستعارة مكنية
تستعير لـ (الدنيا)
(المستعار له) من
عالم الانسان
(المستعار منه)
سمات الكرم والعتاء
المتدفق بدلالة (فتحت
لها ... يداً ثم يدا)
كناية عن احتفاء
الحياة بها واقبالها
عليها لما تمتلكه من صفات جمالية وسجايا نفسية
سامية.

هركية الصورة:

ومنذ مستهل هذا المشهد تلحظ ان الشاعر
يفضل ان يلتقط لبطلته (دلال) صوراً تزخر بالحركة
وهي تتعكس على صوره البيانية. أو لم تر كيف يهتـم
بسير دلال (سارت) وخطواتها (تخطو) (ومن كعبها)
على صعيد الحركة المحسوسة؟ وربما كنى عن
حركتها المعنوية واسلوب عيشها بـ (الطريق المهد).
وبذلك فان الشاعر يهب صوره البيانية فيضاً من
الحوية والعنفوان.

ويضم المشهد الثاني نزوة الحدث الذي تنهض
به هذه القصة الشعرية حيث تتجه دلال صوب طريق

و(تهمي) على اللوحة الاستعارية سمات التجدد
والحركية. ويعكس حضور اللفظين (سبانك) و(عسجد)
دلالات اللون الاصفر البراق المقترن بالنفاسة والندرة.

سجايا البطلة النفسية:

ولكي يستكمل الراوي/ الشاعر ملامح شخصيته
القصصية فانه ينتقل من سماتها الحسية التي
اضاعتها الصورة البيانية الى سجاياها المعنوية حين
يصوغ صورة تشبيهية مجملة تجمع بين دلال (المشبه
المحسوس) وفتنة الدنيا (المشبه به المعقول). ولم يشأ
الشاعر أن يورد وجه الشبه الذي يجمع بين طرفي
التشبيه كي يترك لخيلة القارئ سائحة انتقاء وجه
الشبه الذي يخدم السياق الشعري، ويشفع الشاعر
هذا التشبيه بتشبيه مفصل يعقد من خلاله الصلة بين
دلال (هي) (المشبه) والملاك (المشبه به). ووجه الشبه
الذي يجمع بين طرفي التشبيه هو سمة الطهر وقد ورد
في نسيج التشبيه (طاهر). ويتأزر هذان التشبيهان
كي يشكلان نغماً تشبيهما أطلق عليه البلاغيون (تشبيه
الجمع) [9]، حيث يتكرر فيه ايراد المشبه به دون المشبه
وغايته هي استكمال صورة (دلال) الحسية الموحية
بالجمال الاخاذ وصورتها المعنوية المقترنة بالسمو
والعفاف.

وينظم قوله: (رأت الطريق امامها قد مهدا)
صورة كنائية تتم عن اقبال الحياة على البطلة، وقد رمز
لها الشاعر بالطرق الخالية من العقبات.

وتمضي الصورة البيانية في اضافة اللمسات
الفنية على قوام دلال في البيت الشعري الاخير حيث
يكون لفظ (دلال) محوراً لصورتين بيانيتين فهو قرينة
استعارية لصورة استعارية مكنية تضفي السمات
الانسانية على (الفنن مياس الجني) (المستعار له)
فيتجلى حسناً تقطر فتنة وغنجاً ويكون اللفظ ذاته
(دلال) وجه شبه يجمع بين طرفي تشبيه مفصل يعقد
الصلة بين بطلة القصة الشعرية المشار اليها بضمير
الغائب (لها) (المشبه) و(الفنن مياس الجني) (المشبه

لم تألفه في حياتها بل تجرب الخوض فيه وتحاول اقتناع ذاتها به عبر حوار ذاتي (Monologue) (١٠). يطل علينا من خلال استهلاله المشهد الثاني في قول الشاعر:

قالت: وماذا لو رميتُ بمهجتي
في موجة الدنيا اللعوب لتسعدا؟
بلجتُ براعمها فألفتُ حولها
صور الجمال، وكل مال مُعْتَدَا
كانت يتيمة والد لم يرعها
والأم أشقى من رعاها مولدا
كانت دلال تحسُّ مُساة أمها
وترى حواليلها الربيع زبرجدا
فمضت تداري عاشقا حيناً وحيد
سنا تشتري بوصلها المترددا
قد أطمعتُ ويثم ما في مُهجة
حرى تخوض صراعها المترددا

ويكون التجسيم الاستعاري [١١] أداة فنية في البيت الاول تتشكل من خلاله صورتان استعاريتان مكنيتان أما الاولى فانها منحت المهجة (المستعار له المعقول) جسماً بدلالة الفعل المستعار (رميت). واما الاخرى فقد اسبغت على الدنيا (المستعار له المعقول) اجواء البحر ودلالات عالمه الغامض بقرينة (موجة) وحرف الجر (في).

وينتقي خيال الشاعر لفظ (اللعوب) قرينة استعارية لاستعارة مكنية ثالثة تتشخص من خلالها الدنيا (المستعار له) فتاة متقلبة لا يقر لها قرار. وتشع من تواشج هذه الصور الاستعارية كناية تشي بالرغبة العارمة التي اجتاحت دلال في اختراق حواجز الفضيلة والامان والنأي عنهما.

ولقد وردت هذه الصور البيانية في اطار تساؤل ينم عن بدء استجابة البطلة لتلك النوازع اللاهثة وراء البريق الزائف.

وتخطوي الاستعارة المكنية التي شخصت الدنيا

(المستعار له) على ثنائية ضدية تعكس نقيضين، اذ تظهر الدنيا - في خاتمة المشهد الاول - في غاية اللطف والسخاء. في حين أنها تبرز - في مستهل هذا المشهد - باهاب آخر يشي بالتغير والتقلب ارماساً بوقوع حدث وشيك تنقلب فيه حياة دلال رأساً على عقب.

وتسجل الصورة البيانية بداية انسياق بطلة القصة الشعرية الى ذلك السبيل الوعر حيث يطالعنا البيت الثاني باستعارة مكنية تضمنها قول الشاعر: (بلجت براعمها) حيث تستعير البراعم (المستعار له) من الفجر دلالات الانبلاج (بلجت) الموحية بالاشراق والتجدد. وتسبغ لفظه (البراعم) على الصورة احياءات الغضارة واللون الأخضر الزاهي. وتنبثق من هذه الاستعارة صورة كنائية تتجلى من خلالها تلك الفتاة (المكنى عنها) ايكه براقة زاهية الالوان ايماء الى أصباها الغض. وقد استجابت لها الحياة في هذه المرحلة حين زينت لها هذا السبيل واخفت امامها عواقب حصولها على ذلك المال الحرام الذي كنى عنه الشاعر بقوله: (مال معدا).

الارتجاع الفني:

يعود الشاعر الراوي، وبأسلوب الارتجاع الفني (Flash - back) (١٢) إلى ماضي دلال، حيث يسترجع في البيت الثالث من مقطع القصيدة الثاني المهاد الاجتماعي الذي ترعرعت فيه مثلباً عند حدث فقد الأب حين تنسج الصورة الكنائية التي انتظمت البيت خيوط مأساة تلك الفتاة مشيرة الى طبيعة الاجواء التي ادت الى انهيار القيم والمثل لديها لا سيما انها شهدت معاناة امها وخلو حياتها من الرعاية والرفد المادي. ويكرس تكرار الفعل (رعى) الذي ورد مجزئاً مرة وبصيغة الماضي اخرى (لم يرعها، ورعاها).

أجواء الفقد والحرمان:

وتتزع شخصية الفتاة في البيت الرابع صوب السقوط ومحاولتها تبريره والافتقار به. وتأتي الصورة



خاتمة هذا المشهد حيث يتفاعل في البيت السادس مع سياق القصة الشعرية فيشير الى مأساة بطلته وما تثيره من شجن في النفوس لا سيما ان الشاعر كنى عن خوضها في عالمها المغمى بـ (المهجة الحرى) وهي تعاني (صراعها المتمردا) وتشتع من هذه الصورة الكنائية - التي انتظمت البيت - ثنائية ضدية تتم عن التعاطف معها على اساس انها ضحية (وقد اطمعت) تلويحاً بما تنطوي عليه النفس البشرية من نوازع انساقت اليها دلال. بيد ان طرف هذه الثنائية الآخر هو احساس الشاعر/ الراوي بالسخط عليها إذ تبادت في غيها ولابد في هذه الحالة من ان تواجه مصيرها المحتوم كي تكون عبرة لسواها من بنات جنسها - ان هذا الانتقال من السرد الموضوعي الى السرد الذاتي له ما يبرره ان يفرضه سياق القصة الشعرية، وهو يأتي استجابة لضرورة الحدث الذي شهد سقوط القيم النبيلة في اعماق دلال وقرب ذبول ألقها وخفوت بهاء ملامحها -

ويعود الشاعر/ الراوي الى فضاء السرد الموضوعي في مشهدة الثالث والأخير حيث يواصل سرده لاحداث قصته الشعرية فيستهل المشهد بوصف انغمار دلال في مباحث الحياة الزائلة إذ يقول:

غاصت بأحضان النضار وأغرقت
بالناعم الأملود فداها الندى
لكنها سلبت ثراء الروح في
لح السراب وحلمها المتوردا
ثابت وعادت بالجمال وقد نوى
زهر الربيع وجف في العود الندى
ولربما تنوي الزهر البائسا
ت بفصلها .. بيد الليالي والصدى

يروق للشاعر في البيت الاول ان يصبغ لوحة دلال- في هذه المرحلة - باللون الاصفر البراق المستوحى من صفرة النضار - فهو لا يكتفي بحضوره - تحت افق الاستعارة المكنية - اما

التشبيهية المرسلة كي تعقد الصلة وعبر فعل التشبيه (ترى) - بين شباب دلال المترع بالحيوية والذي رمز له بالربيع (المشبه المحسوس) وبين الثراء وقد عبر عنه بالاجر الموات (الزبرجد) (المشبه به المحسوس) ايجاء برغبة البطلة في ان تستبدل نبض الشباب وعنفوانه بسكونية الزبرجد وجموده -

لقد فتنت ريشة الشاعر في تلوين هذه الصورة التشبيهية اذ نهلت من الربيع الوانه المتجددة واستقت من الزبرجد خضرته البراقة التي ارتضتها بطلة القصة بديلا عن الوان الربيع الحية -

ولكي ترسم الصورة البيانية تهاوى تلك الفتاة في دوامة الرذيلة فانها تعكس في البيت الخامس - وتحت افق صورة كنائية - كثرة التهافتين عليها (عشاقتها) العابرين الذين تتشكل من مجموعهم صورة الشخصية الشريرة التي تلتهم الجانب الخير من البطلة وتمتص نضارتها وتغير مسار حياتها باتجاه الهاوية -

ومثلما منح السياق الشعري لفظة العشق (عاشقاً) ايجاء الغواية والزيف، فان الوصال يغادر دائرة السمو والرفعة كي يدخل في اطار الضعة والابتذال حين تجسمه الاستعارة المكنية بضاعة (المستعار منه) بقرينة الفعل المستعار (تشتري) ايماء لإيغالها في اقتناص (عشاقتها) بعد ان نجحوا في اغوائها ببريق المال الخادع -

ويشكل تكرار ظرفي الزمان (حيناً، وحيناً) قوام صورة كنائية نمت عن اجواء الزمن الموبوء الذي شغلته بطلة القصة بما يتنافى والقيم الخيرة للمجتمع لاهية عن العاقبة السيئة التي تترصد بها - ويتضمن انشغالها هنا بحياتها الجديدة غياب سريرتها الخيرة من جانب فضلا عن ضмор نضارتها ووشك أفولها تحت وطأة الزمن الذي لا ينجو من تأثيره انسان على وجه هذه البسيطة -

خاتمة المشهد :

ويتخلل الشاعر/ الراوي عن رداء الحياء في

ويكتنز البيت الثالث بالإيحاءات التي تخدم سياق القصة الشعرية فثمة كناية تشع من قول الشاعر (ثابت) تشي بنمو في شخصية دلال إذ تستيقظ الفطرة الخيرة في اعماقها كي تؤنبها على ما جنته يداها وتعيدها الى جادة الرشاد، وبذلك تنتهي هذه الكناية رحلة البطلة الخائبة في دروب الطيش والهوى. ويشفع الشاعر هذه الكناية بكناية أخرى انتظمت قوله: (وعادت بالجمال وقد نوى زهر الربيع وجف في العود الندى) إذ تشير الكناية الى تغيير ملامح الجمال وتلاشي نبض الشباب وعنفوانه. لقد غيببت هذه الصورة البيانية ألحى الربيع والوانه الزاهية لتحل محله صفرة الذبول ولون الهشيم، إيماء لتأثير عنصر الزمن على ملامح دلال. كما عزز الفعلان (نوى جف) إيحاءات الافول والانكسار.

وتتضح في خاتمة القصيدة العبرة المستقاة من هذه القصة الشعرية حيث يصوغ الشاعر في البيت الرابع والآخر عنقوداً من الصور البيانية تطالعنا منها الاستعارة التصريحية التي تحل من خلالها النساء في اهاب الزهور، وتغيب هذه الاستعارة النساء لتحضر الزهور محلها. لقد اسبغت الزهور (اللفظ المستعار) على النساء (المستعار له) دلالاتها المقترنة باللون الزاهي والرائحة الشذية والملمس الناعم فضلاً عن الجمال والغضارة، وتشع من قول الشاعر: (الباسات) كناية تتم عن الظرف القاسي الملمع بالشقاء. وتتشكل من قوله: (بفصلها ٠٠) تورية تشي بمعنيين احدهما يشير الى فصل الربيع وهو زمن تألق الزهور وزهوها، واما المعنى الآخر فيمنع عن القطف المفضي الى الافول والموت. وتضفي الاستعارة المكنية على الليالي (المستعار له) سمات الجاني فتبرز بملامح شرسة وقاسية، وتعزز القرينة الاستعارية (يد) بوصفها اداة الجاني ووسيلته في الايذاء اجواء البطش والوحشية التي تخوض في غمارها تلك الزهور اللاهثة خلف بهرج الثراء وقد اقترن في مخيلة الشاعر بالصدى فبدا

(المستعار منه) تلوذ باحضانها دلال كي تحس في كنفها بالسكينة والامان. بل انه يحيل النضار - في اطار استعارة مكنية أخرى - بجرأ (تغوص) في اعماقه دلال تكريساً لاجواء الاحاطة والاشتمال. وتنهل الاستعارة المكنية التي انطوى عليها قول الشاعر (اغرقت بالناعم الاملود) من البحر ودلالاته مرة أخرى إذ يتجلى قسيماً استعارياً لـ (الترف والنعيم) (الناعم الاملود) بقرينة حرف الجر (الباء) والفعل المستعار (اغرقت) اشارة الى انقطاع دلال عما يصلها باسباب الحياة الكريمة وانغلاق عالمها على اجواء الرذيلة بعيداً عن الهواء الطلق والاجواء الخيرة. ويضفي الفعلان المستعاران (غاصت واغرقت) على اللوحة الاستعارية إيحاءات الضياع والغرق المؤذن بالاختناق والموت الوشيك، ولكي تتقصى الصورة البيانية اجواء الثراء التي كانت تنغمس فيها بطلة القصة الشعرية فانها تصير الندى - في قول الشاعر (فداها الندى) انساناً (يقضى) دلال بكيانه في سياق استعارة مكنية نمت عن قدرتها على سلب العقول الخاوية بسحر فتنها وبريق شكلها.

وتفصح الصورة البيانية في البيت الثاني عن الخسارة التي منيت بها دلال. صحيح انها كسبت الثراء المادي الذي يقع خارج ذاتها ولكنها خسرت سموها وعنفوانها إذ افترقت روحها الى زاد الفضيلة وقد عبرت عنه الصورة الاستعارية - التي انطوى عليها قول الشاعر (سلبت ثراء الروح) - إذ شخصت الروح (المستعار له) انساناً مثرياً وما ذلك الا لأن دلال استبدلت الجوهر الاصيل والثابت (ثراء الروح) بما هو براق وغير حقيقي وقد كنى عنه بـ (لح السراب) الموحى بالزيف. وقد اصطبغ حلم الفتاة بلون الورد (حلمها المتوردا) كناية عن الق ذلك الحلم ولقد جاءت واو العطف كي تعطف ذلك الحلم الزاهي على اثراء الروح حيث سلبتهما تلك الفتاة وخسرتهما معاً، بيد أنها لم تع خسارتهما الحقيقية في غمرة انسجامها مع تلك الاجواء الحالكة.



الشعر العربي في صدر الاسلام والعصر الاموي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٩٠ ص ٨ - ٩.

(٢) اطلق د. جلال خياط مصطلح القصة الشعرية على هذا النوع من القصائد. ينظر: د. جلال خياط، ص ٧ وهو المصطلح الذي تبنته هذه الدراسة.

(٣) د. محسن اطميش، دير الملاك، دراسات نقدية للظواهر الفنية في الشعر العراقي المعاصر، دار الرشيد للنشر، بغداد ١٩٨٢، ص ٢٣.

(٤) د. عز الدين اسماعيل، الشعر العربي المعاصر، دار العودة ودار الثقافة، ط ٢، بيروت ١٩٨١، ص ٣٠.

(٥) عبد الله الفيقي، اذا ما الليل اغرقني، مطابع الشريف، الرياض ١٩٩٠، ص ٦٩ - ص ٧٣.

(٦) ينظر: د. حفني شرف، التصوير البياني، مكتبة الشباب، ط ٢، القاهرة ١٩٧٣، ص ١٩. وينظر: د.

وجدان عبد الله الصائغ، الصورة البيانية في شعر عمر ابي ريشة دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٩٧، ص ١٨١ وما بعدها.

(٧) ينظر: د. سيزا قاسم، بناء الرواية، دار التنوير، بيروت ١٩٨٥، ص ١٨٠.

(٨) د. محسن اطميش، ص ٣٢٤.

(٩) ينظر: الخطيب القزويني، الايضاح في علوم البلاغة، تحقيق: د. محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتاب اللبناني، ط ٥، بيروت ١٩٨٠ ص ٣٧١.

(١٠) ينظر: مجدي وهبة، معجم مصطلحات الادب، مكتبة لبنان، بيروت ١٩٧٤، ص ٣٢٩.

(١١) ينظر: سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، دار المعارف (بون تاريخ) ص ٦٣. كما ينظر: د.

وجدان عبد الله الصائغ، الصورة الاستعارية في شعر الاخطل الصغير، رسالة دكتوراه مخطوطة، كلية الاداب/ جامعة الموصل، الموصل ١٩٩٥ فصل التجسيم الاستعاري، ص ٦١ وما بعدها.

(١٢) ينظر: مجدي وهبة، معجم مصطلحات الادب، مكتبة لبنان، بيروت ١٩٧٤، ص ١١٠.

- وفي سياق استعارة مكثية - جانباً آخر يسهم في قتل تلك الزهور وسحقها - لقد لَوَّنَ الشاعر ويوعي منه خاتمة قصته الشعرية باللون الاسود المستمد من الليالي حداداً على بطة قصته الشعرية التي أمست شبيهاً وحطاماً.

وبعد:

فان الصورة البيانية التي تفنن الشاعر عبد الله الفيقي في صياغتها كانت أداة فنية أبرزت عناصر القصة الشعرية في قصيدة (دلال) ولا سيما الصورة الاستعارية بشعبيتها المكثية والتصريحية حيث أفاد الشاعر من عبقرية الاستعارة في تشخيص المعنويات والمحسوسات وتجسيمهما، تليها الصورة الكنائية فالتشبيهية بانماطها المفصل والمجمل والمرسل والجمع.

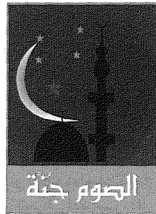
لقد مهتت الصورة البيانية في رسم ملامح بطة القصة الشعرية الحسية منها والمعنوية، كما رصدت حركتها التي تشكل عنصر الحدث، وانصت لحوارها الهامس مع ذاتها - ولم يحدد الشاعر - ويوعي منه - لقصته الشعرية زماناً ومكاناً معينين رغبة منه في اطلاقهما وصولاً الى العبارة المستقاة من احداث القصة برمتها وإشارة الى أن هذه الاحداث مما يمكن ان تقع في كل زمان ومكان.

وقد تسلل تأثير الحواس ولا سيما حاسة البصر الى نسج الصورة البيانية، فالشاعر يستهل قصته الشعرية باللون الابيض المعبر عن النقاء والجمال ولكن سياق احداث القصة يقود بطلتها الى صفرة النضار الممهدة لولتها المعنوي وانتقالها الى اجواء لا يليق بها سوى اللون الاسود المعتم الموحى بالحنن والاسى.

الهوامش:

(١) ينظر: د. جلال خياط، الاصول الدرامية في الشعر العربي، دار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٨٢، ص ٧ كما ينظر: د. بشرى الخطيب، القصة والحكاية في

اطفالنا والصيام



الشأن فهو يربى في الإنسان فضيلة التقوى وهذا ما أشار إليه الحق سبحانه وتعالى في قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا كُتِبَ عليكم الصيام كما كُتِبَ على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) (البقرة/ ١٨٣).

والصيام يعود المسلم على الصبر وقوة التحمل والإرادة والعزيمة وهي من الصفات الضرورية للمسلم الصغير.

كما يربى الصيام لدى الطفل صفة المراقبة والانضباط الذاتي فالصائم لا يراقب أحدا بصومه إلا الله سبحانه لأنه هو المطلع عليه.

والصوم فيه إحساس من الغنى بالأم الفقير الذي لا يجد قوت يومه فالغنى إذا ما صام فسوف يحس بالأم الجوع وهنا يدرك ما يعيش فيه الفقير الذي يصاحبه الجوع في رمضان وغير رمضان.

والصوم فوق كل هذا فيه وقاية للمجتمع المسلم من الشرور والآثام لأن الصائم لا يمكس فقط عن الطعام والشراب وإنما يهجر جميع المعاصي والسيئات فجوارحه تصوم عن كل ما هو خبيث من القول والعمل.

شروط صيام الأطفال:

قد اختلف الأئمة على تحديد السن التي يجب على الآباء والأمهات أن يأمرُوا أولادهم عندها بالصيام فبينما قال الشافعي وأبو حنيفة «يؤمر الولد بالصوم وهو ابن سبع سنين» نرى الإمام أحمد

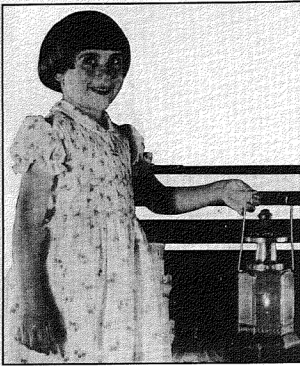
مرحلة الطفولة في حياة كل منا هي أهم مرحلة ففيها تتعلم وتتعرف على الأشياء.

نتعلم القيم والمبادئ، نتعلم المعنى الحقيقي للإيمان وكيف نصبح مسلمين بكل هذه الكلمة من معان عظيمة وجميلة وعلى حد قول الكلمة الماثورة - العلم في الصغر كالنقش في الحجر - فكل ما نتعلمه في طفولتنا ونشبه عليه يحفر داخلنا ويصبح هو اسلوبنا في الحياة وفي تعاملنا مع الآخرين لذا على كل أم وأب أن ينتهز المناسبات الدينية ويعلمها صغارهم تعاليم الدين الحنيف بالقول والفعل ويأن يكونا قدوة حسنة لهم.

وبمناسبة قدوم شهر رمضان المبارك علينا أن نوضح لأبنائنا المعنى الحقيقي للصيام ويجب أن نوضح أن معنى الصيام في شهر رمضان ينقصه الكثير من التوضيح حتى تصل الفكرة واضحة للطفل، فمن القصور الشديد أن يصل معنى هذا الشهر للطفل على أنه فقط ابتعاد عن الطعام والشراب مما يؤدي إلى تعجب الطفل وتساؤله لماذا ينهانا الله عن تناول هذه المأكولات والمشروبات وقد تعودنا عليها وسمح لنا بتناولها؟! ولكي يجد الطفل إجابة عن تساؤلاته ولكي تكتمل هذه الصورة أمام الطفل نحتاج الكثير من الاهتمام الحقيقي لتوضيل الفكرة الحقيقية للصيام مثل التأخى بين الناس فمواعيد الإفطار واحدة والإمساك عن الطعام واحد أيضا وهذا يقوى روح الجماعة بين المسلمين، خاصة أن الاسلام يحض ويشجع على العمل الجماعي. وأن للصيام فوائد اجتماعية وخلقية عظيمة

سهير ابوبكر عبدالوهاب

- مصر -



يحدد بداية الصوم بعشر سنين وقال أسحاق «إن من واجب الآباء والأمهات أمر أولادهم بالصوم عند بلوغهم للثنتي عشر ربيعاً».

ويقول الإمام الأوزاعي «إذا أطاق ثلاثة أيام تباعاً لا يضعف فيهن حُمل على الصوم» ويستحسن تدريب الصبيان المميزين على الصوم لما روي عن الربيع بن مسعود قال «أرسل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) - غداه عاشوراء - إلى قرى الأنصار التي حول المدينة من كان أصبح صائماً فليتم صومه ومن كان مفطراً فليتم بقية يومه فكتا بعد ذلك نضومه ونصوم صبياننا الصغار منهم ونذهب إلى المسجد فنجعل لهم اللعبة من العهن فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناه إياه عند الإفطار» رواه البخاري.

كما يجب تشجيع الأطفال على الصيام إذا كانت صحتهم تتحمله ولا يجب أن يدفع الخوف على الأبناء أو على قدراتهم على الاستذكار والتحصيل حتى لا نزرع في الأطفال أن المهم هو فقط التفوق الدراسي أما الشعائر الدينية فهي أشياء ثانوية نقوم بها عندما تسمح الظروف وهذا عكس ما نرغب في ترسيخه في عقول وضمير أبنائنا وهو أن الدين هو القيم والإلتزام، وهي الأهم والأكثر أهمية وإذا التزمنا بها فسوف ننجح في كل أمور حياتنا بعد ذلك .

دربوا أطفالكم على الصوم بالرفق واللين:

إذا كان تدريب الأطفال على الصيام أمر مستحب فإن ضربهم على ذلك حرام لما قد يؤدي بهم إلى الانحراف مستقبلاً فإن إجبار الطفل على الصوم قد يدفعه إلى تناول المفطرات سراً ثم يتظاهر بالصوم وتكبر معه هذه الخيانة لأن الطفل عادة لا يقدر معنى الأمانة ولا يحترم المسؤولية . لذا يجب على الآباء والأمهات أن يدربوا أطفالهم على الصوم وأن يحبوا إليهم ذلك بالرفق واللين .

ويجب على الآباء والأمهات أن يتدرجوا عند تدريب أطفالهم على الصيام وليكن هذا التدرج على النحو التالي:

- ١ - عند وصول الطفل إلى سن سبع سنوات يمنعه عنه الطعام والشراب لمدة ثلاث ساعات يومياً ويفضل أن تبدأ هذه الفترة من العصر وحتى الإفطار على أن يتم ذلك مرة واحدة أو مرتين كل أسبوع .
 - ٢ - وفي الثامنة من عمره يبدأ الطفل في صيام ثلاث ساعات كل يوم طوال شهر رمضان .
 - ٣ - وفي التاسع من عمره يمكن مد فترة الصيام من الصباح وحتى أذان العصر على أن يكون ذلك يوماً بعد يوم .
 - ٤ - وفي سن العاشرة يدرّب الطفل على صيام ثلاثة أيام كل أسبوع صوماً عادياً أي منذ الفجر حتى أذان المغرب .
 - ٥ - وفي العام التالي، أي عندما يبلغ سن الحادية عشرة من عمره يكون الطفل قادراً على صيام أيام الشهر الكريم كلها منفذاً لأوامر الله (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) .
- بهذا نجعل الطفل مخلوقاً يرقى ويرتقى نحو الخير والتقوى والصلاح ويصبح فرداً سوياً في هذه الحياة .



حبيس الجدران

** هذه محاولة في الطريق لطالبة في المرحلة المتوسطة ..

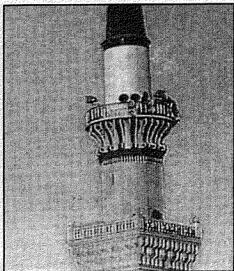
يعيش بين نار حب وغيرة
وتواصل وتشاجر وكلام
تقول له إن أنت إلا فارغ
ألا ترى قذائف النيران؟؟
على إخوانك في الدنا تصليهم
فيقول مالي همي قد كفاني!!
تقول له أخي انظر إليهم
ألا تراهم مقطعي الأبدان?
ألا ترى الأيتام تبكي أهلها?
ألا ترى الثكالي في الخيام?

تعال واذرف دمعة الأحزان
على ثرى الحبس في الجدران
جدار نفس قد طغت شهواتها
فصار لها عبدا مدى الأزمان
جدار أنانية وحب لذاته
جعلته يرجو الشيء كالصبيان
لا يرى في الكون حقا لغيره
فهو الوحيد صاحب الوجدان!!
هو الذي يعاني الهم وحده
ما الكون غير ظالم هدام!!
يرى حلي الدنيا في وصل صحبه
ويرى خراب العمر في الهجران

نور محمد البار
- جدة -



رمضان يا قطر الندى



سهام مهران عبدالله

- سوريا -

كنت الفضيل مدى السنين مانثراً
فشموس هديك نعمة، ونجاح

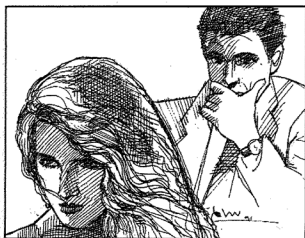
اليوم أنسج للمبارك بردتي
من عسجد، وزمرد تنداح
اليوم والشهر الفضيل مكرم
رمضان - يا قطر الندى - فواح
أجهز على التخریب تنجز عبيرة
للمفسسين ، ويكمل الإصلاح
واقطف زروع الشر في ريعانها
فهم أتاحوا قطفها، وألحوا
وهب الجموع هداية، ومناقباً
ولانت مناح الهدى وفلاح
ولقد قصدتك يا حبيبي لانثأ
بحسان فطك والندى وضاح

رحيل

سهام مهران عبدالله

- سوريا -

فإذا أبيت سوى الرحيل وفرقتي
فلتهمني هذا الفؤاد وتقتلي
لا تعبئي أبداً بصب عاشق
يكوي الغرام فؤاده .. لا تسألي
الله لي بعد الفراق حبيبتي
الله لي .. فالعمر بعدك ينجلي
حسبي سناك على النجوم موزع
حسبي هواك فإنه هو قاتلي



أزف الفراق حبيبتي لا ترحلي
وترفقي .. هاك الفؤاد .. تمهلي
لا تعجلي فالقلب يأتي عبودة
فإذا ذهبت تركتني جسداً خلى
والعقل نونك مهمل ومكبل
كيف الحياة بدونه .. هل تقبلي؟!

رسالة من زكى مبارك إلى السيدة الجميلة

حبيبتي يا حسناء قريتي - سنتريس:

ومع ذلك فالنسمات الرطبة الطوة تداعب وجوه الذين
يتنزهون كما تداعب أمواج النهر وكأنها تتغنى بالبحان
الهوى والغرام.. يا عجباً: كل شيء هنا ينتشى
بالغزل: الماء والسماء والأشجار والنسمات، فكانتني،
والحق أقول كنت أسير في جنان كل أنيسها من الحور
العين.

ماذا أقول يا حبيبتي؟ اغفري لي هذا الاعتراف..
أرجوك، أرجوك، ولا تتوجسى منى خيفة ولا تخامرك
الشكوك فقلبي لك ويك يا حسناء سنتريس.

أجل، سرت على ضفاف السين عند الأصيل..
خامرتني ظنون كثيرة، بل غارتني مغريات أكثر؛ ولكن
سرعان ما رجعت إلى روحي، ورجعت إلى ضميري
فتذكرت رسالتي التي جئت من أجلها ونذرت نفسي لها
وسعيت غاية السعي لأحقها: فقلت للسان السين:

يا جيرة السين يحيا في مراتبكم

فتى إلى النيل يشكو غربة الدار

جنت عليه لياليه وأسلمه

إلى الحوادث صاحب غير أبرار

أحاله الدهر في لأواء غريته

روحاً مَعْنَى وجسماً نضو أسفار

يسعى إلى المجد ترميه مخاطر

بنافع من شظاياها وضرار

بقلم: محمد عبدالواحد حجازي

- مصر -

رسالتي إليك اعتراف وعرفان في نفس الآن..
اعتراف بجميل حبك ورقيق إحساسك نحوى وحنو
قلبك عليّ فيها أنت في سنتريس لما علمت بقرب
مغادرتي الوطن إلى باريس فلم تشئي أن تعوقى
رحلتي فتذرفي الدموع وتطلقى الآهات وتبعثى
التهنيدات حارة جارفة حزناً على فراقى لك.. غير
أنك كنت خير من أضرم في طموحات الأمل
والانطلاق إلى الرفعة والعلاء، والتزود من عاصمة
النور بالنور.. نور الفكر، ونور العلم، ونور الحضارة
حتى أعود إلى وطني - مصر - برسالتي التي نذرت
لها روحي وحياتي ومصيرى.. كنت خير من أحيا
في وجداني طموحات الأمل بغير أن تراودك غيرة من
أن أتمرد على حبنا فيزيغ بصرى، هنا أو هناك حيث
الحسنات في باريس لا يكفغن عن المعابثة وإطراح
شباك الغرام وشراك الهوى على أمل أن يقع في
هواهن واحد مثلى؛ وإن كنت لا أعرف سر غرامهن
بأناء الشرق، وشدة لهفتن على مطارحتهم الغرام
وإهدائهم عطور الحب لعلهم يستجيبيون لأهوائهن
ونزواتهن.

إنني يا حبيبتي أجاهد وأجاهد وأضرب على
نفسي - في كثير من الأحيان - عزة شبيهة بعزلة أبى
العلاء حتى أتقى حسناوات باريس.. فهن دائبات
على مناوشتي، دائبات على اختلاق الحيل للملاقاتي
ومطارحتي بكلمات الهوى والغرام.

في إحدى الليالي قمت بنزهة قصيرة على
ضفاف السين عند الأصيل، وكان الجو شبه غائم.

ضمان / رمضان ١٤٢٠ هـ - نوفمبر / ديسمبر ١٩٩٩ م



- هو محمد زكي عبد السلام مبارك.

- من مواليد سنتريس بمحافظة المنوفية.

- ولد سنة ١٨٩١.

- تعلم في الأزهر.

- دخل الجامعة المصرية سنة ١٩١٦م.

- نال إجازة الدكتوراه في الأدب سنة ١٩٢٤م.

- هاجر إلى فرنسا سنة ١٩٢٧م.

- نال إجازة الدكتوراه في الأدب من السريون.

- وبلوم الدراسات العليا في الآداب من مدرسة

اللغات الشرقية في باريس سنة ١٩٣١م.

- عمل بالتدريس بمصر وبغداد وبعد عودته من

العراق عين مفتشاً بوزارة المعارف (التربية).

- توفي سنة ١٩٥٢م.

** من آثاره الفكرية:

- الأخلاق عند الفزالي.

- التصوف الإسلامي.

- مدامع العشاق.

- النثر الفني في القرن الرابع الهجري.

- ليلى المريضة في العراق.

- ديوان زكي مبارك.

فيارب صدق في هواها عواذلي

فإن عنائى أن ألام بلا نذب

ولا فلا تقطع عليّ ملامهم

فإن ملام المرء فاتحة الحب

وأحياناً كنت أنحى باللائمة على قلبى الذى كلف بك واستهتام فيك حتى أضنأتني معه، إذ كانت أشواقه عارمة لا قدرة لى على رده، ولا قدرة لى على إقناعه بالتريث، فلا يندفع جموحاً بغير تؤدة أو تعقل... كنت

عزاؤه أن عقيبى كل عابية

يشقى بها الحر إكليل من الفار

ومن هنا تدركين يا حسناتى أننى كنت يوماً في شقاق حاد بيني وبين نفسي، أحياناً كان يطيف بي لواذع ملحفة من الإحساس بالضيق والملال وكأنتى أدخلت في سجن لا أنيس فيه ولا جليس. فلا يسعنى سوى أن أذرف الدموع فتتزل حارة على كبدى ذلك لأننى كنت أحس بوطاة الغربة تطبق على أنفاسى فتضيق من الدنيا الواسعة وتصير بزخرفها وزينتها الخلوب كالحة مريدة... ومن ثم كنت أشكو باريس إلى باريس؛ فقلت لها مرة:

يا جنة الخلد كيف يشقى

في ظلك النازح الغريب

الناس من لهو ونشأوى

وبمعه دافق صبيب

يقتات أشجانه وحيدا

فلا صديق ولا قريب

أقصى أمانيه حين يمسى

أن يهجع الخفق والوجيب

حبيبتي يا حسناء قريتي:

في هذا القلق الضارى الذى ينشب أظفاره في سواء وجدائى قديميه، كنت لا أجد منقذاً ينتشلنى من ذلك العذاب الواصب، سوى ذكريات عشقنا في وصالنا وتباعدا، في تهيأنا وتعاتبنا.

هل تذكرين يا حبيبتي يا حسناء سنتريس يوم أن اتهمونى بحبك وكأن الحب جريمة يعاقب عليها صاحبها... الحق أننى عجبت لهم:

عجبت لهم أنى رمونى بحبها

ولا مهجتى رهن لديها ولا قلبى

وأستميحك العذر في أن ترفقى بقلبي، وأن ترفقى
بروحي فلا تعذبها فمالها طاقة على تأبى الدلال:

فكن يا سيدي برا
بصب ماله نذب
لئن ضيعتني قلبي
فلئت الروح والقلب
وإن أثرت إبعادي
ولم يشفع لى الحب
فإن عقابكم عدل
وإن عذابكم عذب

جيبتي يا حسناء قريتي:

هل تذكرين مساء يوم الثلاثاء ١٤ ديسمبر سنة
١٩٢٧؟ حين التقينا عند ساقية «أبو حجاج» بين
مخارف الصفصاف وأشجار التوت. هل تذكرين؟
كان لقائنا حديثاً، رأيتك تذكرين حديثنا وكأني قد
اجترحت إنشا مبينا فصرت كالعاصفة المروعة ترغين
وتزبدن بكلمات قاسية نزلت علي كالصاعقة المدمرة...
إيه يا حسناء سنترى:

ما الذي أنكرت مني
في مساء الثلاثاء
فحين نام الدهر عنا
وتولى الرقيباء
أنا لا أنكر شيئاً
يقتضى هذا الجفاء

بعد هذه الحادثة السعيدة، حادثة الثلاثاء صرت لا
تردّين على رسائلتي التي كنت أرسلها اليك من
القاهرة، فمالتي الخوف منك والخوف عليك... فقد
استبنت أنك وجدت في الهجران راحة لك وعقاباً لى
على ما جنيته منك فتجاسرت وبعثت إليك رسالة أعلّك
فيها حرباً بحرب وسلوانا بسلوان، وتباعدت بتباعد...

أخطابه، بل أهمس إليه، بل أناجيه خيفة الرقباء
والوشاة... خاطبته فقلت له:

رويدك أيها القلب
فقد أودى بك الحب
وقد أصبحت لا تسلو
فلو أمسيت لا تصبو
وبين القلب والعين
سجالا كانت الحرب
فتنكيه ويبكيها
لعمرك إنه خطب
لقد أسرفت في حبي
كذلك يفعل الصب

ولا تعجبي من اعترافي لك بحبي فأنت أدرى
بوجيب قلبي، ودلالات كلماتي، ورموز إشاراتي...
فبعد أن خاطبت قلبي ونصحتني فأبنتي أوضحت له
المخاطر التي يمكن أن تلحق به فتصيبه بجراح ماله
قدرة على احتمالها، فذكرت له عنادك ومطالك
وتغافل عني: فقلت له:

وأصغيت الهوى حبا
له من دله حجب
فمنه الصد والبعد
ومنى العفو والقرب
فلو عاتبته يوماً
لزاد عناده العتب
وقد راسلته جهدي
فضاعت عنده الكتب

لكني لم أجِد مناصاً من أن أضرع إليك



قلت في رسالتي:

أيها المسرفون في النيل مثا

بين صد يئى الفؤاد وضم

لا تدلوا بحسنكم قد سلونا

وأما من هجركم والتجني

لكنما الشوق غلاب .. فلم أصبر على صدودك
وانقطاع ما بيننا من أسباب الوصال، فوسطت إحدى
قريباتي لترأب الصدع الذى بيننا فرجع كما كنا
حبيبين عاشقين، ولكنها استغرقت في وساطتها وقتنا
طويلا حتى ظننت أنها فشلت في مهمتها، وهنا ساءت
حالتي فدبت الأسقام والآلام في جسمى وروعتنى
الأتراح من كل صوب .. أه يا حسنائى .. أه يا
مولاي:

مولاي لو أبصرتني

لفرغت من دمعي الطليق

وشجاك جسمى ناحلا

وكنته الطيف الطروق

أشكو إليك وإنما

يشكو المضيق الى الشفيق

فأرحم فديتك مهجة

أودى بها الحزن العميق

حزن يقطع في الحشا

فكئنه غدر الصديق

يا وريح قلبى لم يزل

يهفوبه الروح الخفوق

وتقوده النكوى الى

عهد الهوى الغض الرقيق

أيام نمرح في الصببا

في ذلك العيش الأنيق

أيام تُسقى في الهوى

والود كسأ من رحيق

حبيبتي يا حسناء قريت:

لا يخطر ببالك يا حبيبتي أننى ممن تسببه حسان
باريس أو تخدعه أفانين الهوى اللعوب التي يجدها
ويحسن بها مخادعة القلوب .. أقول لك، بل أقول للنيل،
بل أقول لنفسى:

مفانى النيل كيف أقصت

رييب أزهارك الخطوب

وكيف ألقيت به أرض

أصح أحلامها كنوب

أديم أجوائها سواد

فلا شروق ولا غروب

وحب غاداتها موات

فلا سكون ولا هبوب

ومن تبع جسمها بشيء

فقلبها مقفر جيب

ولئن كان للباريسيات شيء في نفسى فإننى كنت
أثوب للعقل والحكمة فقلت:

فيالك من صب على البين مولع

أثارت شجاه أعين وخلود

رشادك لا تجزع فكم من صباة

تحمل عنها القلب وهو عميد

ستأسو عذارى النيل آثار ماجنت

عليك عذارى السنين حين تعود

ويعد:

أقول في ختام رسالتي:

رعى الله في الوادى العزيز عقيلة

عزيز عليها أن يقال بعيد

١٠٢٢ = أبو عواد:

الزوجة في عدم الاهتمام بنفسها كما رآها واختارها أول مرّة، وعندما يدرك أن الآخر كانت اهتماماته وسيلة يوقوع الضحية في الشرك لم يعد لها حاجة، عندها يجد أن التي ملأت بصره وسمعه لم تعد قادرة على المواصلة، فيما هناك أخرى قادرة على تعويض ما بدأ يفقد.

١٠٢٥ = أم عمرو:

ما دامت عادة الزوجات الإهمال في مظهرهن بعد حصولهن على الزوج فماداً يفعل هذا الزوج اذا حذت الثانية حذو الأولى؟ الزوجة تتفانى في تحسين نفسها لزوجها اذا التفت الزوج الى ذلك وعلق عليه وامتحده واذا لم تكن قد وضعت بين رحي البيت والغيط ببنون رحمه.

١٠٢٦ = أبو عواد:

لا أقول أن كل تفكير عند الزوج للزواج من أخرى سببه الزوج.. ولكني أقول أن هذه هي القاعدة ولكل قاعدة استثناء..

١٠٢٦ = أم عمرو:

الكل يعرف أن أهم أسباب الزواج الثاني وصول الزوج الى مرحلة المراهقة المتأخرة واعتقاده ان امرأة أصغر واصبى ستعيد الشيخ الى صباه وهيهات ان يصلح العطار ما أفسد الدهر.

١٠٢٧ = أبو عواد:

عقد الزواج يعني أن فلانة هي زوجة فلان بمعنى أنها على ذمة رجل.. ولكنه لا يعني أبداً أن (الطرطور) فلان ملزم أن يكون زوجاً لفلانة فقط طالما أن الشرع أباح له حتى الزوجه الرابعة.. لكننا نطبق علينا قول الشاعر:

حاولت اكثر من مرّة أن أجد تفسيراً لهذه اللامبالاة في طباع بعض الزوجات، فلم أجد غير ثقتن بأن أزواجهن لا يفكرون أو لا يستطيعون الزواج عليهن، ولو عرفت الزوجه أن النار من مستصغر الشرر لوقفت على باب زوجها كالحاجب المتحفز.

١٠٢٢ = أم عمرو:

يجب ان تقوم العلاقة بين الزوجين على الحب والاحترام المتبادل والثقة وفوق كل هذا الإحساس بالأمان اما اذا تحولت إلى حرب بارده يهدد كل من طرفيها الآخر بما يملك من اسلحة، هنا يصبح انهاء هذه العلاقة افضل لأنها ببساطة فقدت اهم مقوماتها وهو ان يكون كل من الزوجين سكن للآخر.

١٠٢٤ = أبو عواد:

إن مشكلة العنوسة، وبرزت علاقات غير طبيعية في المجتمع لم تبرز إلا عندما أحكمت المرأة سيطرتها على الزوج، وأقر طوعاً أو كرهاً أنه زوج لامرأة واحدة حتى تموت أو يقضي الله أمراً كان مفعولاً.

١٠٢٤ = أم عمرو:

ان كل الإحصاءات المعروفة تؤكد ان عدد الرجال أكثر من عدد الإناث لكل مراحل العمر ولذا تصبح لمشكلة «العنوسة» المذكورة أسباب كثيرة من أهمها عزوف الرجال عن الزواج ممن تقل عندهن نسبة الجمال والمال وتزيد عندهن نسبة العقل.. لذا نقول ليس هناك داع للحجج الواهية.

١٠٢٥ = أبو عواد:

نعم تصبح عين الرجل فارغه عندما تبدأ





نرفع نبياننا بتمزيق ديننا

فلا ديننا يبقى ولا ما نرفع

١٠٣٧ = أم عمرو:

عقد الزواج يعنى ان فلانة هي زوج فلان، وفلاناً هو زوج فلانة «وباريت» نكح عقولنا ونفوسنا ونميتها بدرجة تسمح لنا ان نجد ما يشغل اوقاتنا ويسلينا غير الزواج، هنا سنفهم ديننا ودنيانا معاً بصورة صحيحة بدلا من الإنتقاء والإختيار حسب اموالنا وامزجتنا الشخصية الفردية.

١٠٣٨ = أبو عواد:

لا تريد أن يتزوج زوجك عليك؟! حسناً، كوني له مدى الحياة على الأقل في تعاملك كما كنت في أيام زواجكما الأولى.. هل تذكرين تلك الفراشة الملونة والقطة الاليفة والحمل الوديع؟.. ما رأيك عندما يصبح نحلة تسلس، وهرأ يخربش، وحملنا ينطح؟.. هل يتشابهان؟

١٠٣٨ = أم عمرو:

الفراشة الملونة والقطة الاليفة والحمل الوديع؟! ما هذا؟! ما الذى يحدث لو سمينا الأشياء بأسمائها الزوجة انسان بكل ما تحمله هذه الكلمة من ايجابيات وسلبيات، من حقوق وواجبات. اليس ذلك افضل واوقع من حديقة الحيوانات هذه؟

١٠٣٩ = أبو عواد:

إلى السيدة «س» «يصعب على الطيار أن يقرر الهبوط وينفذه في لحظة الاقلاع وعنفوانها».

١٠٣٩ = أم عمرو:

إذا قرر الطيار الإقلاع فعليه أن يقلع ويذهب بعيداً حيث لا يرى مرة ثانية.

١٠٤٠ = أبو عواد:

إلى زوجتى العزيزة: «اطمنئي لا أفكر في الزواج

فقد أحسنت توريطي في بناء بيت هو عظيم كصاحبه حتى ساعة اعداد هذه الورقة والديون أشعلت رأسى شيباً.. لكني ومع ذلك قد أفعليها ولو سراً.. ككل الجبناء من الزملاء أو أحتسب صبري عليك عند واحد أحد.

١٠٤٠ = أم عمرو:

إذا تورط الزوج في الديون فلن يكون ذلك بسبب اسراف زوجته ولكن بسبب عدم قدرته على ادارة بيته اقتصادياً وتشجيع زوجته على المشاركة في ذلك وإذا سيصنع نفس الشيء مرة أخرى سواء كان شجاعاً أو جبناً وتزوج جهراً أو سراً وبالمناسبة كثير من الزوجات تصرف نقود زوجها على اساس القول المأثور «قص ريش طيرك ليطير لغيرك».

١٠٤١ = أبو عواد:

لو كنت امرأة وتزوج عليّ بعلي.. لتصرفت بحكمة وذكاء يجعلانه يعود إليّ ليقدم لي كل باقات الأسف حين أثبت له أنني زوجة لا يمكن تعويضها بأخرى ولو كانت أجمل منها.

١٠٤١ = أم عمرو:

الزواج ليس مسابقة ولا مغامرة، الزواج شراكة ومسار واحد لهدف واحد.. الزواج قبل وبعد كل شيء وعى ونضح بالمسؤولية المشتركة مسئولية الفرد تجاه نفسه وتجاه الأسرة التي ينتمى إليها.

١٠٤٢ = أبو عواد:

وحتى لا أتهم بالتحيز (وقد حصل).. على الزواج أن يقابل ما تبديه الزوجة من اهتمام به من خلال نفسها باهتمام مماثل بها من خلال نفسها، فأيضا بعض الزوجات عيونهن فارغة ولو من طرف واحد على الأقل.

١٠٤٢ = أم عمرو:

يجب أن يهتم الإنسان بنفسه لنفسه فإذا رضي هو عنها سيرضى عنها الآخرون. أما فروغية العين هذه فكما هو معروف مرض يتفشى بين جنس الرجال.

وتعاليم التلمود

الرئيس موسى بن
ميمون (أبو عمراؤ)

(٥٢٩ - ١٠١٠ هـ / ١١٣٥ - ١٢٠٤ م)

لامع واضح تماما حول هذه النقطة فهو يكرر في فقرة أخرى: «الفارق بين قرينك وبين الإغيار» ليستنتج قائلا: «إلا أن رفض اليهودي وخاصة الطبيب اليهودي إنقاذ حياة الأغيار قد يثير، إذا شاع الرفض، عداة الأغيار من ذوي النفوذ مما قد يعرض اليهودي للخطر، وعندما يكون هناك خطر من هذا النوع فإن واجب تقديريه يحل محل الحظر المفروض على مساعدة الأغيار»، وهكذا يتابع موسى بن ميمون فيقول «ولكنك إذا كنت تخشاه أو تخشى عداوته فاعمل على شفائه لقاء أجر وإن كان ممنوعا عليك فعل ذلك بدون أجر».

وهذا ما كان يفعله موسى بن ميمون نفسه، رغم شهرته الواسعة في مصر، وحصوله على الأموال والضياع من صلاح الدين الأيوبي وابنه الملك الفاضل ورجال دولته، إلا أنه لم يكن يعالج مجانا أحدا من المسلمين، ولو كان فقيرا، بل كان دائما يصير على أخذ الأجر، وكما يقول إسرائيل شاحاك: «فإن إصراره على أخذ الأجر كان من أجل تأكيد أن عمله هذا ليس من أعمال الخير والبر والإحسان بل واجب لا يمكن تقديريه».

ويبدو أن الأطباء من أهل الزمة وخاصة من اليهود كانوا يسقون مرضاهم السم ليقتلوه إذا كان هؤلاء المرضى من العامة الذين لا سلطة لهم ولا نفوذ، ويحيث يعسر كشف الجريمة. وبما أن



بقلم: د. محمد علي البار

مستشار الطب الاسلامي - جده -

**** في الحلقة السابقة من هذه الدراسة القيمة، تحدث الدكتور البار عن ترجمة موسى بن ميمون ونشأته، وقصة اعتناقه الاسلام، وذهابه الى المغرب، وعمله بالطب، واشتغاله بالتلمود، وآرائه وفلسفته للحياة والاحياء.**
وفي هذه الحلقة يكمل ما انقطع من حديثه.

إنقاذ الحياة:

يتحدث إسرائيل شاحاك [١] في كتابه القيم «الديانة اليهودية وتاريخ اسرائيل» عن ما يقوله الحبر الأعظم موسى بن ميمون وتعاليم التلمود حول إنقاذ حياة اليهودي وغير اليهودي فيقول: «فبحسب الهالاكاه (قانون التلمود) فإن واجب إنقاذ حياة اليهودي لا يعلو عليه واجب آخر... أما بالنسبة للأغيار فإن المبدأ الأساسي للتلمود يقول بوجوب الإقلاع عن إنقاذ حياتهم... ويعبر التلمود عن نفسه عن ذلك بالحكمة القائلة بوجوب ألا يرفع الأغيار من البئر إذا وقعوا فيه، وألا يدفعوا إليه» ويشرح ابن ميمون ذلك بقوله: «أما بالنسبة للأغيار الذين لسننا في حالة حرب معهم فينبغي ألا نتسبب في موتهم، ولكن إنقاذهم ممنوع... فإذا شوهد أحدهم على سبيل المثال يسقط في البحر ينبغي الامتناع عن إنقاذه لأنه مكتوب «وأنت لن تقف ضد دماء قرينك ولكن الأغيار ليسوا أقرانك».

«وينبغي للطبيب اليهودي خصوصا ألا يعالج مريضا من الأغيار» وابن ميمون هو نفسه طبيب



قتل الأغيار وعدم إنقاذهم من الأمور التي يأمر بها التلمود ويتقرب بها اليهودي إلى الله، بشرط ألا يحدث أي ضرر من هذه الجريمة على اليهود، فإننا نرى عبد الملك بن حبيب الألبيري فقيه الأندلس المتوفي سنة ٢٣٨هـ يقول في رسالته الموجزة «الطب النبوي»: «وإن كان الطبيب من أهل الذمة فسقى المسلم دواء، فمات، فعلى السلطان أن يكشف عما سقاه، وإن كان طبيباً معروفاً بالطب والبصر به، للمظنة التي توقعه لعداوة اليهود والنصارى للمسلمين» [٢]. ويبدو أن هذه الحوادث قد تكررت وزادت في عهد ملوك الطوائف عندما قوي نفوذ اليهود وتولوا الوزارات مثلما فعل ابن الغزيلة... وقد أدى ذلك فيما بعد إلى أن شدد المرابطون، وبعدهم الموحدون، المراقبة على هؤلاء الأطباء من اليهود والنصارى، وبما أن الحوادث قد كثرت من اليهود خاصة، فقد فرض الخليفة الموحي على اليهود في قرطبة أن يسلموا أو يغادروها إلى حيث شاءوا. وقد استطاع اليهود رغم ذلك

أورشليم (القدس، إيلياء) وعندما وقع عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - عقد تسليم القدس من بطريقها كان أول شرط ألا يسكن القدس يهودي... وقد وفي المسلمون بهذا الشرط ولم يسمح لليهود بالسكن فيها حتى جاء الصليبيون واحتلوا القدس ونقضوا كل العهد ووصلت الدماء للركب ودمروا كل شيء، فلما أنقذ صلاح الدين الأيوبي القدس وحررها من ظلمهم وظلماتهم، اعتبر أن العهد القديم قد ألغي بسبب أفعالهم. ويتأثر موسى بن ميمون سمح صلاح الدين لأربع أسر يهودية بأن تسكن القدس وذلك بعد مرور

إخفاء نوابههم بذكاء شديد، واستطاع موسى بن ميمون نفسه الذي كان يأمر أتباعه بعدم إنقاذ الإغيار، ومنهم المسلمين، من خداع القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي، وزير صلاح الدين، ورئيس ديوان الكتابة والإنشاء، وبواسطته استطاع أن يخدع صلاح الدين الأيوبي نفسه، ويقال أن صلاح الدين كان أول حاكم يسمح لليهود بأن يسكنوا القدس من عهد تيطس الذي دمر الهيكل تدميراً كاملاً سنة ٧٠ بعد الميلاد تحقيقاً لنبوذة عيسى عليه السلام «لا يبقى حجر على حجر في هذا الهيكل» وطرد اليهود ومُنِعوا من دخول

ألف ومائتي عام تقريبا على طرد اليهود وعدم السماح لهم بالسكن فيها .

واستطاع موسى بن ميمون بذلك وخداعه أن يوهم المسلمين وغيرهم أنه يسعى لخير الإنسانية . وقد وضع دعاء نسب إلى ابن ميمون بواسطة طبيب ألماني يهودي يدعى ماركس هرتس في القرن الثامن عشر وتذكره كتب أخلاقيات مهنة الطب باسم دعاء ابن ميمون لإظهار إنسانية هذا الرجل وحبه للخير وللبرية عامة . وهو كذب واقتراء تنقضه كتب ابن ميمون نفسها كما تنقضه الكتابات الحديثة، ومنها كتاب إسرائيل شاحاك «الديانة اليهودية وتاريخ اليهود» الذي نقلنا عنه فيما سبق وفيما سيأتي .

دعاء موسى بن ميمون المزعوم:

لقد أوردت نقابة الأطباء المصرية في كتابها «نظام وواجبات الطبيب وأداب المهنة» [٢] هذا الدعاء مترجما عن اللغة الإنجليزية التي وضعها الأديب الفريد نوالد عن الأصل الألماني: «يا إلهي القادر على كل شيء لقد خلقت جسد الإنسان بحكمة متناهية وباركت أرضك وأنهارك وجبالك فمكنتها مواد شافية، وهي تعين مخلوقاتك على تخفيف معاناتهم وتشفي أمراضهم، ومنحت الحكمة للإنسان ليخفف معاناة أخيه الإنسان وللتعرف على متاعبه، واستخلاص المواد الشافية، ولاكتشاف قدراتها، وإعدادها واستخدامها لتناسب كل داء واخترتني بحكمته الإلهية للعناية ب حياة وصحة مخلوقاتك، وأنا الآن على وشك أن أكرس نفسي لواجبات مهنتي فيا إلهي التقدير هبني العون في هذه الأعمال الجليلة لتفيد الجنس البشري لأنه بدون مساعدتك قلن يكمل بالنجاح أبسط الأشياء» .

«رب ألهمني لمهنتي ولمخلوقاتك ولا تدع التعطش للربح والطموح للشهرة والإعجاب أن تتدخل في مهنتي، ويمكنها أن تقصيني عن المهمة الكبرى المتمثلة في صنع الخير لمخلوقاتك .. اللهم احفظ قوى بدني

وروحى بحيث تكون مستعدة دائما ببشاشة لمساعدة ومعاونة الغني والفقير، والصالح والشرير، والصديق والعدو، على حد سواء .. رب دعني لا أرى فقط فيمن يعاني الجانب الإنساني وحده، وأنر عقلي، حتى يمكنه التعرف على ما هو موجود فعلا، الأمر الذي يساعد على تفهم ما هو غائب وخفي» .

ويواصل دعاء طالب من الله أن يهبه الحكمة والقناعة في كل شيء إلا في العلم العظيم الخاص بمهنة الطب، وأن لا يدع الغرور يتملكه، وينهي دعائه بقوله: «يا إلهي قد اخترتني برحمتك للعناية بأمر حياة وموت مخلوقاتك، وإني لأكرس نفسي لمهنتي فأعني على أداء هذه المهنة الجليلة لكي أنفع الجنس البشري فبدون عونك لن ينجح حتى أبسط الأشياء» .

وهذا الدعاء لا علاقة له بموسى بن ميمون وإنما وضع بعد وفاته بأكثر من ستة قرون، وبلغه لا يفهمها ابن ميمون، وهي اللغة الألمانية . والسبب في ذلك أن اليهود يريدون تلميع صورة موسى بن ميمون وإظهاره بصورة الطبيب الإنسان المحب للخير والإنسانية رغم أن كتاباته واضحة جدا في التزامه بتعاليم التلمود، وعدم إنقاذ الأعيار إلا في حالة تعرض اليهود للمخاطر .. ولابد من كسب ثقة الأعيار وخداعهم وخدمتهم، خاصة ذوي السلطان والمكانة، ومع هذا فينبغي خداعهم في جميع الأحوال، وأخذ الأموال الهائلة منهم .. وأما العامة فإن أمكن قتلهم بعدم إنقاذهم، أو حتى زيادة الجرعة الدوائية، بحيث لا يمكن اكتشاف سبب الموت، فالواجب الذي يحتمه التلمود هو التخلص منهم بأي وسيلة لا تثير حقن الأعيار على اليهود .

تجربة العقاقير على غير اليهود:

ويذكر إسرائيل شاحاك في كتابه الديانة اليهودية وتاريخ إسرائيل أن موسى بن ميمون قال: «ومن المسموح تجربة عقار من العقاقير على كافر إذا

ممكن، أما إذا دُعيت يوم السبت فعلى القابلة أن تتعلل بأن شريعة دينها تحرم عليها انتهاك حرمة السبت» وقد قرر ذلك بكل وضوح موسى بن ميمون حيث يقول: «ينبغي الإمتناع عن مساعدة امرأة من الأغيار في حالة الولادة يوم السبت حتى لقاء أجر، كما ينبغي عدم الخوف من الداء حتى عندما لا ينطوي هذا النوع من المساعدة على انتهاك لحرمة السبت».

وذلك لأن الأصل عدم مساعدة الأغيار في جميع أيام الأسبوع ولكن بما أن ذلك سيثير داء الأغيار ضد اليهود ويسبب لهم مشاكل عدة، فإن المراجع الحاخامية الكبرى ومن ضمنها ابن ميمون تبيح مداواة الأغيار أثناء الأسبوع لقاء أجر، ولكنها مع ذلك تمنع المداواة يوم السبت بحجة عدم انتهاك حرمة السبت».

وأما الشخصيات الهامة مثل النبلاء والحكام فيجب مداواتهم حتى في أيام السبت كما يقرر الحاخام يوئيل سرسكس ولكن عندما يمكن التدليس على الأغيار بعذر مراوغ فإن الطبيب اليهودي يرتكب معصية لا تحدث إذا عالج أحد الأغيار يوم السبت.

ويقرر ذلك أيضا موسى بن ميمون وحاخامات ميتر في فرنسا الذين سمحوا للطبيب اليهودي بأن يدواي الحاكم العظيم يوم السبت، وأن يعبر الجسر أيضا للوصول إلى قصره أما الأغيار الأقل مكانة فلا يجوز عبور الجسر من أجلهم ولا مداواتهم يوم السبت.

ويقرر الحاخام حاتام سوفير المتوفي سنة ١٨٢٢ في بحثه Responsa أن المسلمين والنصارى ليسوا فقط عباد أوثان وإنما ينبغي الامتناع البتة عن إنقاذ أي واحد منهم ويشبههم بالعماليق الذين كانوا في فلسطين أيام موسى ويوشع بن نون، والتلمود واضح في قوله: «من المحظور إكثار بذرة العماليق» وعليه فإنه محرم على اليهودي مساعدة هؤلاء الأغيار طوال الأسبوع وبما أن الفلسطينيين هم من نسل العماليق والكنعانيين فإنه ينبغي العمل بكل وسيلة على

كان ذلك يفي بفرض ما «وهذا ما يكرره أيضا، حسب قول شاحاك، الحاخام الشهير موسى ايسرلس، وبالتالي يجوز أن يجرب على الأغيار أي عقار حتى قبل أن يجرب على الحيوانات، وليس من المهم ما قد يحدث من مخاطر ومضاعفات على صحة متعاطي العقار لأن المتعاطي من الأغيار، ولا يوجد ما يمنع من الإضرار بهم أو حتى قتلهم». كل ذلك بشرط واحد هو أن لا يكشف هذا الأمر، وأن لا يؤدي مثل هذا العمل الإجرامي للإضرار بالطبيب اليهودي، وبصورة أهم أن لا يؤدي ذلك إلى النقمة ضد اليهود والإضرار بهم، فإذا تم تجنب ذلك فمن المحبذ إجراء التجارب على الأغيار حتى إذا أدى ذلك إلى إصابتهم بأضرار بالغة، أو ما هو أعظم من ذلك إلى فقدان حياتهم، إذ أن حياة غير اليهودي لا تساوي، كما قال التلمود حياة كلب أو خنزير، فالكثرة الأغيار كلهم أنجاس وخنازير، ولا يجوز التفريق بين هؤلاء الأغيار ولا بين ملهم فكلهم من القانورات ولكن من المهم جدا التفريق بين من يضر ومن ينفع من هؤلاء الأغيار، وبالتالي اجتنب ضرره وأخذ منفعته أما العامة الضعفاء الذين لا صولة لهم ولا جولة فينبغي أن يعاملوا بكل قسوة بشرط واحد هو عدم إثارة النقمة ضد اليهود.

انتهاك حرمة السبت:

يقول اسرائيل شاحاك[٤] أن انتهاك حرمة السبت يصبح واجبا عندما تتطلب ذلك الحاجة الى إنقاذ يهودي ولا يثير التلمود مشكلة إنقاذ حياة الأغيار أيام السبت كمسألة دينية بما أنها ممنوعة، على كل حال، حتى في أيام الأسبوع.

«ويقرر التلمود إذا كانت هناك قابلة يهودية ودعيت لتوليد امرأة من الأغيار في أيام الأسبوع (غير السبت) فعليها أن تقوم بذلك إذا كان ترك المرأة سيؤدي الى ضرر لليهود وعليها أن تأخذ أكبر أجر

وكان موسى بن ميمون بالإضافة إلى موقفه تجاه الأغيار عموماً والمسيحيين خصوصاً عنصرياً معادياً للسود، ففي كتابه «دلالة الحائرين» كما يقول إسرائيل شاحاك: «يقول موسى بن ميمون في الكتاب الثالث الفصل ٥١: «بعض الأتراك والبدو في الشمال والسود والبدو في الجنوب وأولئك الذين يشبهونهم في أقاليمنا فطبيعة هؤلاء البشر كطبيعة الحيوانات البكماء» وهم يحسب رأيي ليسوا في مستوى البشر ومستواهم بين أشياء الوجود هو دون مستوى الإنسان وأعلى من مستوى القرد لأن لهم أكثر مما للقرد من صورة الإنسان والشبه له».

ويقول إسرائيل شاحاك: «لا ريب أن عدداً لا بأس به من الحاخامات المؤيدين لمارتن لوتركنج (أحد السود الأمريكان المنادين بالمساواة والذي اغتيل في الستينيات) كانوا إما معادين للسود، وقد دعموه لأسباب تكتيكية تتعلق بمصلحة اليهود أو منافقين بارعين إلى حد انفصام الشخصية، قادرين على الانتقال السريع جداً من المتعة الدفينة بالعنصرية المسعورة إلى الارتباط المعلن بنضال معاد للعنصرية والمراوحة بين هذه المتعة وذاك الارتباط».

ومن يستطيع القيام بهذه الأدوار المتناقضة سوى أحبار اليهود إتباعاً لتعاليم التلمود وموسى بن ميمون، الذي خدع القاضي الفاضل والسلطان العظيم صلاح الدين الأيوبي، وابنه الملك الأفضل، وبقية الأمراء وأفراد الحاشية في البلاط الأيوبي... حتى مدحه الشعراء ومنهم القاضي السعيد بن سناء الملك الذي قال فيه [٦]:

أرى طب جالينوس للجسم وحده
وطب ابن عمران للعقل والجسم
فلو أنه طب الزمان بعلمه
لأبراه من داء الجهالة بالعلم
ولو كان بدر التم من يستطبّه
لتم له ما يدعى به من التّم

إنقاص نسلهم وعدم إنقاذ أي واحد منهم يقع في خطر. ومن الواجب المحتم على كل يهودي أن يعمل على إبادةهم وطردهم من إسرائيل، وخلاصة القول كما يقول شاحاك: «إن خداع الأغيار عوضاً عن مساعدتهم أمر لا بأس به إذا كان من الممكن تفادي العداء».

وقد نُشر في القرن العشرين كتاب معتمد بالعبرية، ومختصر له بالإنجليزية بعنوان «القانون الطبي اليهودي» وقد نشرته مؤسسة موساد هارف كوك. كما يقول إسرائيل شاحاك. وفيه النص التالي: «يمنع بموجب الحكم الوارد في التلمود ومجموعة الشرائع اليهودية انتهاك حرمة السبت من أجل إنقاذ حياة مريض من الأغيار في حالة خطر، ويمنع أيضاً توليد امرأة من الأغيار في يوم من أيام السبت»، ولا يستثنى من ذلك إلا مداواة ذوي النفوذ أو عند توقع نقمة من الأغيار ضد اليهود وفي هذه الحالة فقط تجوز مداواة الأغيار يوم السبت بشرط ألا يكون في نية الطبيب إبراء المريض ومساعدته بل تجنب الخطر المتوقع على اليهود.

كتاب شرائع موسى بن ميمون:

يقول إسرائيل شاحاك [٥]: في عام ١٩٦٢ نشر في أورشليم (القدس) باللغتين العبرية والإنجليزية جزء من كتاب الشرائع لموسى بن ميمون والمسمى كتاب المعرفة والذي يتضمن قواعد أساسية جداً للإيمان اليهودي، ويظهر في النص العبري الوصية الكاملة القاضية بإبادة الكفار وهم جميع الأغيار والقائلة: (إن واجب المرء إبادةهم بيديه). أما الترجمة الإنجليزية فتقول: من واجب المرء أن يتخذ إجراءات فعلية لتدميرهم وفي النص العبري أمثلة للشخصيات الهامة من الأغيار التي يجب إبادة مثل يسوع الناصري وتلاميذه وتساوك وبياتوس وتلاميذهما ولا تظهر أي كلمة من هذه الكلمات في النص الإنجليزي.

وداواه يوم التّم من كلف به وأبراه يوم السرار من السقم

تأثر موسى بن ميمون بالثقافة الإسلامية:

إن موسى بن ميمون هو نتاج الثقافة السائدة في عصره وقد نهل من تلك الثقافة في الأندلس في مدينته قرطبة التي حفلت بالعلم والعلماء، وكان معاصره ابن رشد أحد أبرز أعلامها.

وفي فاس في المغرب حيث توسع في الثقافة ودرس الفلسفة الأرسطية - الرشدية، كما تعلم الطب بالإضافة إلى دراسته الفقه المالكي وعقائد المعتزلة والأشاعرة وأشعار الصوفية.

ونجد التأثيرات الفقهية وكيفية تقسيم أبواب الفقه واضحاً جلياً في كيفية تقسيم كتابه الموسوعي (مشنا تورا) (مراجعة التوراة) الذي كتبه بالعبرية، واستغرق فيه عشر سنوات. وقد بدأه في سن الثالثة والثلاثين وانتهى منه في سن الثالثة والأربعين. وقد جمع هذا الكتاب دراسة للتوراة والتلمود، واستنباط الأحكام منها بصورة مقارنة لكتب الفقه الإسلامي، وكتابه هذا مع كتابيه الآخرين الهامين (السراج)، وهو تعليقات على شروح المشنا، وكتابه الديني الفلسفي (دلالة الحائرين)، توضح إلى أي مدى استفاد موسى بن ميمون من دراسته للقرآن والفقه الإسلامي والمذاهب الإسلامية، ففي كتبه الثلاثة الهامة حاول أن ينفي التجسيد القطعي الذي تميّزت به التوراة والتلمود لله سبحانه وتعالى، فالتوراة تصور الله في صورة آدمي بل تنص على ذلك نصوصاً واضحة، جاء في سفر التكوين الإصحاح الأول: «وقال الله لنعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا... فخلق الله الإنسان على صورته، على صورة الله خلقه» وكان الرب يتمشى في الجنة، ففي سفر التكوين أيضاً أن آدم اختبأ وامرأته من وجه الرب الإله وسط شجر الجنة، فنادى الرب الإله آدم وقال له: يا آدم أين أنت؟».

والرب عندهم يظهر لإبراهيم ويعقوب ويصارع يعقوب طوال الليل فلا يستطيع أحد منهما أن ينتصر على الآخر. والرب عندهم يكلم رفقة زوجة إسحاق، عندما كانت حاملاً وذهبت تسأله عن حملها فأخبرها أنها حامل بتوأم... والرب ينزل من السماء ليقتل ابن موسى في حواري مصر، ولكن صفورة أم الغلام، وزوجة موسى، تخطف الغلام وتقطع غرلته، وتمسح ساق الرب (تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً) بدم الغرلة، فينك الرب عنها... والرب يحب اللحم المشوي جداً حتى أنه مستعد حسب زعمهم الكاذب أن يعطي نصف مملكته لمن يقدم له قرابين اللحم المشوي اللذيذ بشرط واحد هو أن يكون مقدم اللحم أحد الأحرار اليهود، وبالنذات من سبط هارون لأنه قرر ألا يكن لديه إلا سبط هارون. وهو فرع لسبط ليفي (اللاوي).

ولهذا قرر ابن ميمون أن كل ما ورد في التوراة أو التلمود من صور بشعة من التجسيم لله سبحانه وتعالى ينبغي أن يؤل. ويقول روجيه جارودي في كتابه «الإسلام في الغرب: قرطبة عاصمة الروح والفكر» [7] في الفصل الذي عقده عن موسى بن ميمون: «ويأخذ الميموني على عاتقه تفسير مجازات النبوة وهو يفعل ذلك استناداً إلى دراسة دلالية (علم الدلالة) حيث يقول الميموني في كتابه «دلالة الحائرين» «والتوراة تتكلم بلسان البشر وعلى ذلك فنحن نطبق بالضرورة على الله مجازاً ألقافاً مستعارة من الخبرة الجسدية لدى البشر... فبواسطة الفكرة الجسمانية نحن نجعل الأذهان تفهم أن الله موجود، وبواسطة فكرة الحركة نجعلها تفهم أنه حي» فالبشر مغرمون عند الحديث عن الله إلى استعارة صورة العالم المرئي لكي يستحضروا اللامرئي.

والميموني في نقده للتجسيم هو أكثر جذرية من ابن رشد ويجب أن ننفي عن الله أي شبه بينه وبين أي من الكائنات، ولنا هنا تعليق سريع فابن رشد لم يكن يواجه تجسيمياً شديداً كما هو لدى اليهود في توراتهم

مجازاً .. والصفات السلبية هي التي يجب أن نستخدمها لنهدي الذهن الى ما يجب أن نعتقده بخصوص الله، أي ليس كمثل شيء ..

«إن الله يرسل إلى كل شعب أنبياء يتكلمون بلغة أبناء هذا الشعب ويخاطبونهم على قدر عقولهم» . ويقول: «اعلم أن هذا الكون يشكل في مجمله شيئاً واحداً .. ووحدة العالم هذه تنبع من وحدانية الله، وكما أن من المستحيل عزل أو فصل القلب أو الكبد عن الجسم البشري .. فإنه من المستحيل على بعض أجزاء الكون أن توجد دون البعض الآخر» ولكنه يؤكد أن الله ليس هو الكون، بل هو منفصل عنه، ويقول: «ما من شبيه لله بين الكائنات .. وحيث أن الله ليس بجسم فليس ثمة علاقة بينه وبين الزمن، ومن باب أولى بينه وبين المكان، والمهم ليس أن نقول ماهية الله ولكن أن نقول ما يفعله . إن هذا الكون يدلنا بالضرورة على خالق يتصرف بقصد ومشئنة» ويقول: «فكما أننا لا نستطيع أن نعرف العلة النهائية لوجود الله فإننا لا نستطيع بعقولنا القاصرة أن نعرف العلة النهائية لمشيئته» «فالتنزيل هنا يحل محل العقل» .

مسألة النبوة:

والنبوة عند ابن ميمون هي المرتبة الأكثر رفعة للإنسان والتعبير عن الكمال الذي يمكن لنوعه أن يبلغه .. فالمسألة الجوهرية ليست إذاً في معرفة فيما إذا كان بوسع الإنسان أن يبلغ ذلك بقدراته وحدها أو أنه بحاجة الى اللطف الإلهي للوصول إليها وهو يعتقد اعتقاداً جازماً أن النبوة لا يدركها الإنسان بجهده بل هي منحة من الرب الكريم للشخص المختار ذي الصفات الخاصة التي خلقه الله عليها «لأن التنزيل سيكون بلا فائدة إذا كان بوسع العقل منفرداً أن يقودنا إلى الله» . وهنا نرى صدق عقائد المسلمين وخاصة أهل السنة، خلافاً لبعض الفلاسفة مثل ابن الطفيل الذي يرى أن الفيلسوف والمفكر يستطيع أن

وتلمودهم بل إن أشد الطوائف المجسمة بين المسلمين يقرّون بأن الله ليس كمثل شيء، وأنه لا يشبه أيّاً من مخلوقاته، بينما التوراة والتلمود تصف الله بأنه ينام ويصحو ويدرس التوراة على يد الأحبار، ويلعب مع الحوت ملك الأسماك، وهو كثير النسيان سريع الغضب وشديد الحقد إلا على ابنه البكر اسرائيل .. وهو يحارب معهم حتى أنه وقع في الأسر ذات مرة وأسرره الكنعانيون في فلسطين!! صورة مضحكة مزرية .. ولهذا كان على موسى بن ميمون الذي تثقف بالثقافة الإسلامية أن يكون أكثر جذرية في محاربة هذه الخزعبلات ورفض التجسيم البشع لله تعالى .

ونرى تأثيرات الفرق الإسلامية من أمثال الأشاعرة والمعتزلة في فكر موسى بن ميمون عندما يقول: «ليس بوسعنا أن نقول ما هو الله في ذاته» وهو أمر متفق عليه عند جميع فرق المسلمين والنبي (صلى الله عليه وسلم) يقول «لا تتفكروا في ذات الله وتفكروا في مخلوقات الله وكل ما خطر بباله فإله غير ذلك وخلاصة القول «ليس كمثل شيء» .

ويقول ابن ميمون: «ما من وسيلة لإدراك الله ومعرفة إلا عن طريق أعماله ومخلوقاته، وصفاته عين أفعاله» ولا يمكن الخلط بين فعل الله والفعل الإنساني لأن الفاعل بالنسبة له ليس سابقاً على فعله، خلافاً للفنان من البشر الذي هو سابق وخارجي بالنسبة لأعماله، من حيث أن فعل الله هو ذات جوهره» .

وعلم الله ليس من شاكلة علمنا .. فعلمنا لا يشبه علم الله في شيء إلا في الاسم لأن ما نعرفه نحن إنما نعرفه من خلال تأمل الكائنات لذا فإن علمنا لا يشمل المستقبل ولا المطلق .. وليس الأمر كذلك بالنسبة لله فهذه الأشياء رهن علمه الذي سبق وجودها، وهو الذي أوجدها، والله هو الخالق، ذو الخلق الذي لا ينقطع، هو فعل .. وجوده وجود كل الأشياء، لا يدعي كل منها وجوداً إلا من قبيل المجانسة .. إنه لا يحد، ولا يمكن لشيء مما هو موجود في الكون أن يقارن به إلا

يصل إلى الله دون الحاجة للوحي، وإنما العامة هي التي تحتاج للوحي للوصول إلى الله.

الشريعة:

يقول ابن ميمون: «بإبراهيم (عليه السلام) تم تحقيق الهدف الرئيسي معرفة الله الحق وإلقاء الوثنية والشريعة تعني الاستجابة للامشروطة لدعوة الله وأوامره، فالشريعة تجعلنا نتذكر الله من جديد ونحبه ونطيعه».

ويقول: «كل جاهل يتخيل الكون برمته لم يوجد إلا لشخصه هو، كما لو لم يكن ثمة مخلوقات أخرى سواه... والشهوات الوهمية كالصحة والثروة والأولاد، كان أيوب (حسب القصة الواردة في التوراة المحرفة) يعتبرها هدفاً لأنه لم يكن يعرف شيئاً إلا عن طريق التقاليد والسنة، لا عن طريق التأمل والتفكير».

ويجب أن ننزه الله عما نظنه خيراً أو شراً نسبياً فيقول: «عندما نعتقد أننا اكتشفنا تناقضات في العالم الذي خلقه الله أو في كتيبه المنزلة فذلك لأننا نحكم بعلمنا نحن، الذي لا يشترك في شيء من علم الله، إلا في الاسم».

حب الله:

يقول: «إذا كان أبونا إبراهيم قد سارع في التضحية بإسحاق (الحق أن الذبيح هو إسماعيل) فليس ذلك خوفاً من أن يهلكه الله أو يفقره، بل فقط لأن من واجب البشر أن يحبوا الله ويخشوه، بمعزل عن أي طمع في الثواب أو خوف من العقاب»، وهنا يظهر صدق كلام رابعة العدوية والصوفية في حب الله والمسارة إلى طاعته... ويكرر ابن ميمون هذا المفهوم في كتابه دلالة الصائرين عندما يتحدث عن الإنسان الذي يعبد الله بدافع الحب: «إنه ليس مدفوعاً بالخوف من العقاب، ولا يأمل الحصول على الثواب، ولكنه يطبق شريعة الحق لأنها الحق، والسعادة تأتي فضلاً عن

ذلك، وهذه المرتبة من العبادة مرتبة رفيعة لا يرقى إليها كل حكيم، وقد بلغها أبونا إبراهيم الذي كان القدس (الله) عز وجل يدعو خليلي».

ما معنى أن نحب الله كما يجب؟ ذلك يعني أن نخصه بحب كبير قوي في غاية القوة حتى أن النفس تغدو مقيدة بهذا الحب وتحيا هاجسه بشكل مستمر كما لو كان المرء سقيماً من الوجد الذي يشغل تفكير المحب بحبيبه دائماً، ويدفعه إلى التفكير في ذلك على الدوام، قاعداً أو قائماً وحتى عندما يتكل أو يشرب، إن حب الله أعظم في قلب أحبائه الذين يجعلونه شغلهم الشاغل، ويجعلون منه كما تأمر التوراة «حياً من كل قلبك ومن كل روحك ومن كل طاقتك» (سفر التثنية ٦:٥)، ولم يقل سليمان مجازاً، إلا ما هو مبسوط في هذا المقطع وذلك عندما يصرح: «لأنني سقيم من الحب (نشيد الأنشاد ٥:٢) ونشيد الأنشاد ليس في الواقع إلا مجازاً واستعارة لحب الله».

ملاحظة: نشيد الأنشاد غزل جسدي فاضح منحنط أشد الانحطاط.

وهكذا نرى تأثير المتصوفة من المسلمين في كلام ابن ميمون، وخاصة رابعة العدوية، حين تقول:

أحبك حبين حب الهوى

وحباً لأنك أهل لذاك

فلما الذي هو حب الهوى

فشغلي بنكرك عن سواك

وأما الذي أنت أهل له

فكشفك لي الصجب حتى أراك

وتقول: «إلهي ما عندك خوفاً من نارك ولا رغبة في جنتك ولكن حباً لك...»

وكانت تقول مستغربة: «أو لو لم يخلق الله الجنة والنار ما عبده أحد؟» وكانت تسمي الذين يعبدون الله خوفاً من العقاب بأنهم كالعبيد، والذين يعبدون الله رغبة في الثواب كالتجار، ولكن الأحرار هم الذين

يعبدون الله حبا له دون أمل في الثواب أو خوف من عقاب.

وقد تأثر موسى بن ميمون تأثرا كبيرا بآراء ابن رشد وكلاهما عاش في قرطبة في زمن واحد تحت حكم الموحدين .. ومن ذلك محاولة ابن ميمون للتوفيق بين الديانة اليهودية والفلسفة، وهو نفس ما قام به ابن رشد في كتابه: «فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من اتصال» وفيه أظهر مطابقة الحكمة (الفلسفة) للشرع، وأن الشريعة قسمان ظاهر ومؤول وأن الظاهر منها هو فرض الجمهور، وأن المؤول هو فرض العلماء. وأما الجمهور ففرضهم فيه حمله على ظاهره وترك تأويله. .. ويذكر ابن رشد أن حقيقة الشرع هي حقيقة العقل أيضا .. ولكن للعقل مجاله المحدود الذي لا يتجاوزه ومع هذا فلا يمكن أن تتصادم حقيقة عقلية مع نصوص شرعية.

ونتيجة تأثر ابن ميمون بذلك كله من فقه وعقائد وفلسفة إسلامية وظهور ذلك في كتابه «دلالة الحائرين» فإن كثيرا من الأخبار وقفاؤه، وخاصة في بداية الأمر، وشنوا عليه حملات شديدة وسموا كتابه «ضلالة الحائرين» و(الضلالة) ولم يقتصر ذلك على يهود المشرق الذين هالهم استخدام ابن ميمون للتأويل في فهم التوراة وخاصة في نفي التجسيم الفظيع الذي تميزت به التوراة والتلمود، وإنما امتد ذلك إلى يهود المغرب والأندلس بل وإلى يهود أوروبا فنرى الصاخام سلومون (سليمان) كبير حاخامات مونتبلية في جنوب فرنسا يشن حملة صاعقة على كتاب موسى بن ميمون «دلالة الحائرين» ويتهمه بالهرطقة واستطاع أن يقنع السلطات الكنسية المسيحية بمنع هذا الكتاب، وإحراق النسخ الموجودة منه، وذلك عام 1233. م، أي بعد أقل من ثلاثين عاما على وفاة موسى بن ميمون [8].

ولكن ما لبثت آراء موسى بن ميمون أن اكتسبت تأييد كافة أحبار اليهود إلا من شذ منهم، وأصبحت كتبه من المصادر الهامة الأساسية لدراسة التوراة

والتلمود، والتي يرجع إليها اليهود إلى يومنا هذا.

نبت بكتب ابن ميمون [9]:

١ - رسالة المصطلحات المنطقية .. وضعها وهو في سن السادسة عشرة وهو لا يزال في قرطبة باللغة العربية.

٢ - كتاب السراج: وهو شروح وتعليقات على المشنا، ويبدأه وهو في سن الثالثة والعشرين، وانتهى منه في سن الثالثة والثلاثين، ووضعه بالعربية.

٣ - الكتاب الموسوعي «مشنا توراة» أي مراجعة التوراة وقد استغرق أيضا عشر سنوات، وظهرت فيه آثار الثقافة الإسلامية، وتأويله لكل ما في التوراة من تجسيم لله تعالى، وقد وضعه باللغة العبرية، وجمع فيه أقوال التلمود وربتها ترتيبا قريبا من أبواب الفقه الإسلامي.

٤ - سفر الوصايا أو القواعد الأخلاقية ووضعه بالعربية.

٥ - قوانين أورشليم: وهو مختصر تعاليم التلمود بالعربية.

٦ - دلالة الحائرين: وهو أهم كتبه وأشرفنا إلى ما فيه من فلسفة وعقائد وكيف حاول أن يوفق بين الشريعة والحكمة (الفلسفة) مما أدى إلى اتهامه بالهرطقة، والتأثر بالفكر الإسلامي .. ولكن ما لبث اليهود أن قبلوا هذا الكتاب وأصبح من أهم مراجع كتبهم الدينية.

٧ - رسالة اليمن (إجريت تيمن) كتبها لليهود اليمن، وكيف يتحايلون على الحكام والقضاة من المسلمين. وقد قيل أن اليهود في اليمن في زمنه كانوا يعانون من التضييق مثل ما حصل في الأندلس والمغرب على عكس الوضع في الشام ومصر والعراق.

٨ - رسالة الردّة.

٩ - رسالة في الفلك (التقويم اليهودي).

١٠ - كتاب الفرائض: وتناول فيه كل ما أحلته الشريعة اليهودية وما حرّمته.

١١ - رسائله إلى أصدقائه: وقد جُمعت هذه

برأيه لقلة مشاركته، ولم يكن رفيقا في المعالجة والتدبير»، وقال «أنه صنف مختصرا لواحد وعشرين كتابا من كتب جالينوس، فجاء في غاية الاختصار، وعدم الفائدة، لم يفعل فيه شيئا».

وهكذا يبدو أن شهرة موسى بن ميمون في الطب لم تكن في محلها، وذئوع صيته كان من حظه في مداواته للقاضي الفاضل... أما كتبه الطبية فلا قيمة لها.

الهوامش:

(١) اسرائيل شاحاك: الديانة اليهودية وتاريخ اسرائيل، ترجمة رضى سلمان وتقديم إدوارد سعيد، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٩٧، ص ١٣٦ وما بعدها.

(٢) عبد الملك بن حبيب الألبيري: الطب النبوي، شرح وتعليق وتحقيق د. محمد علي البار، دار القلم - الدار الشامية، بيروت ١٩٩٣، ص ١٦٦، ١٦٧.

(٣) نظام وواجبات الطبيب وأداب المهنة - رسالة غير منشورة، توزع على الأطباء وأعضاء نقابة الأطباء، القاهرة.

(٤) اسرائيل شاحاك: الديانة اليهودية وتاريخ اليهود ص ١٣٨.

(٥) المصدر السابق ص ٥١ - ٥٤.

(٦) انظر «عين الأنباء في طبقات الأطباء»، لابن أبي أصيبعة، مكتبة الحياة، بيروت ١٩٦٥، ص ٥٨٢، ٥٨٣.

(٧) روجيه جارودي: الإسلام في الغرب: قرطبة عاصمة الروح والفكر، ترجمة د. محمد مهدي الصدر، دار الهادي، بيروت ١٩٩١، ص ١٤٠ - ١٤٥.

(٨) دائرة المعارف البريطانية، الطبعة ١٥، عام ١٩٨٢، الماكروبيديا ج ٢١/٣٥٢، ٣٥٣ مادة ميمونيدس.

(٩) جمعنا ذلك من دائرة المعارف الإسلامية ودائرة المعارف البريطانية، والأعلام للزركلي، وطبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة، وكتاب القفطي: إخبار العلماء بأخبار الحكماء.

الرسائل، وأغلبها بالعربية، ثم ترجمت إلى العبرية، وكان لها رواج عظيم عند اليهود.

١٢ - رسالة الي يهود المغرب (إجروت هشماد).

أما كتبه الطبية فكانت تجميعا ونقلًا عن كتب من سبقه من الأطباء مثل ابن سينا والرازي وابن زهر وفصول أبقراط وغيرها. ولم يكن فيها أبحاث جديدة أو ملاحظات ذات قيمة، ولهذا فإن كتبه الطبية على عكس كتبه الفلسفية والدينية لم تحظ بأي اهتمام وهي:

١٣ - كتاب الفصول: ويعرف بفصول القرطبي

حاول فيها تقليد الفصول لأبقراط.

١٤ - رسالة شرح أسماء العقار وفيها أسماء العقاقير وشرحها.

١٥ - المقالة الأفضلية في تدبير الصحة: وضعها للملك الأفضل علي بن يوسف (ابن الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي).

١٦ - رسالة في البواسير.

١٧ - تلخيص كتاب «حيلة البرء».

١٨ - رسالة في الجماع.

١٩ - مقالة في الربو ومقالة في بيان الأعراض.

٢٠ - الرسالة الفاضلية في تدبير المنهوش، كتبها للقاضي الفاضل ولي نعمته، وهي الرسالة التي سماها ولغسوس «رسالة السموم والتحرز من الأدوية القتالة».

٢١ - مقالة تشتمل على فصول في كتاب الحيوان لأرسطو.

٢٢ - تهذيب الاستكمال في الرياضيات، وهو

التهذيب لكتاب ابن هود.

٢٣ - تهذيب كتاب ابن أفلح في الهيئة.

هذه هي كتب ورسائل ابن ميمون، ولا قيمة حقيقية لكتبه في الطب أو الرياضيات أو الحيوان. إنما قيمة كتبه في النواحي الدينية والفلسفية، وقد أثرت على اليهود على مدى القرون، ولا تزال من المراجع الهامة إلى يومنا هذا.

وقد قال عنه ابن القفطي في كتابه «إخبار العلماء بأخبار الحكماء»، أنه كان يشارك الأطباء ولا ينفرد

سارة

تأليف الأستاذ :

عباس محمود العقاد

كتب عن هذه القصة أدباء مرموقون، فقالوا إنها فتح جديد في القصة العربية، وكتب عنها فريق آخر فقالوا إنها تنتسب إلى المقالة النفسية، وليست من القصة في شيء! فماذا أقول في الوجهتين المختلفتين، وكتابتهما لقوم من نوي الأصالة والروية، وليسوا أصحاب مراوغة واحتيال.

لقد قرأت سارة، فعرفت أن كلا الفريقين معه عنده الواضح فيما قرر من حكم، فحكاية الحب العاصف بين أديب كبير، وحسنة خالية هي قصة لا نزاع في وصفها، ومبالغة العقاد في تحليل الخلجات والهواجس والنظرات والامتداد في ذلك أحيانا إلى جو يوحي بالمقالة لا القصة يجعل سارة ميدانا للتحليل النفسي أولا قبل أن تكون قصة، فمن يتجه إلى ذلك فقد بعثر!

وفي سارة غرائب كثيرة، فهي لم تبدأ البدء الطبيعي، بذكر ما كان في اللقاء الأول وما أعقبه من مسرات أجاد المؤلف وصفها فيما بعد، ولكنها بدأت بعد قطيعة قاسية عاناها الحبيبان معاناة مرهقة، والتقى العقاد فجأة بصاحبه بعد هذه القطيعة، فقال لها وقالت له، وكان لهذا الموقف من التغلل في نفس العقاد ما جعله يبدو به القصة! ولا أظن أن ذلك كان من قبيل التشويق وجذب القراء على عادة من يصطنعون الألفاظ في أول القصة لتشغل بال القارئ فيسارع في القراءة ليصل إلى حل اللغز، فالمؤلف أكبر من أن يصطنع الحيلة الروائية لجذب قارئنا ما إلى أدبه، وأدب العقاد من قبل ومن بعد ليس متعة لكل قارئ، بل لقارئ ذى حظ كبير من الثقافة، والعقاد يعلم ذلك جيدا فلا يحاول أن يهبط

إلى القارئ العادي ليرتفع به! وما أجمله لو فعل ذلك، ولكنه يظل في أفقه الشائق يدعو قارئه إلى الصعود إليه غير ملتفت إلى ما قد يعانیه من جهد، ولا حيلة له في ذلك فقد دأب منذ صباه على القراءة الجادة الرصينة، فرسنت له مثلاً أعلى في الكتابة، لا أعضده الآن ولكن أوضحه، وأضعه في موضعه الصحيح، فالقول بأن الافتتاح المفاجيء في مطلع القصة كان أداة تشويق، أبعد ما يكون عن منهج العقاد، وإن قال به ناقدون نوو شأن!

لقد بدأت القصة حقيقة في الفصل التاسع بعد الصفحة الرابعة والتسعين فيما كتبه العقاد تحت عنوان (من هي) وقد أسس العقاد بأنه يفاجيء القارئ بهذا السؤال حين قال في مقدمة هذا الفصل [١]:

«من هي سارة؟ من هي الفتاة التي مشينا معها هذا الشوط ولا نعرفها، بل رأينا منها خيوطا ولم نر صورة، والتي قرأنا عنها كلمات كثيرة، ولكنها كلمات بينها كثير من الفواصل، وحروفا كثيرة ولكنها حروف يعوزها الإعجام».

وسؤال العقاد محير حقا، لأنه حين يقول إننا قطعنا مع الفتاة شوطاً كبيراً ولا نعرفها، قد ظلم القارئ الواعي، فكل ما تقدم فيما يربو على التسعين من الصفحات أعطى القارئ إماماً كافياً بصفات سارة، وميولها، وما هي عليه من ذكاء وجمال واحتيال، كما أعطى القارئ فكرة عن (همام) بطل القصة التي شاء العقاد أن يخلع عليه هذا الاسم كما خلع اسم سارة على حبيبته وهي ذات اسم آخر، فعرف طباعه النفسية، ومواقفه المتميزة في الغضب والرضا، والبؤس والانفعال، وإذا كان لم يعرف ما جد بعد ذلك من ظروف اللقاء الأول، وانطباع صورتها الجميلة في نفس العقاد لأول مرة فمعنى ذلك أنه يفتقر إلى الأسماء والملابسات بعد أن عرف ما يختفى تحت الضلوع من خلجات وأهواء.



بقلم: أ.د. محمد رجب البيومي

عضو مجمع البحوث الإسلامية - القاهرة



العقاد مع سارة في لقطة نادرة

هذه الكرامة لا تمنع صاحبها أن يقارف المنكرات، كلما حلت له وغفلت عنه عين الرقيب».

هذه خلاصة سمات سارة كما رسمها العقاد، وأنا لا أخلى العقاد من غرض هادف في تسجيل ما قال، لأنه أفرط إفراطاً زائداً في وصف المحاسن الجسدية، وأفرط إفراطاً مماثلاً في وصف المساوئ الخلقية. فماذا يعني بذلك، أنا أعرف أن الرجل الكريم إذا قضى عهداً سعيداً مع حبيبته تبادل له الحب ثم أعقب سعادته شجي الفراق لسبب ما، لا يسبب في تعداد مساوئ إنسانة كانت كل شيء له في الحياة، ولاقى من صدودها ما ينوء

فيما كتبه العقاد تحت عنوان (من هي) وصف تفصيلي رائع لسارة، تلخيصه ينقص من مضمونه، ولكنه يعطى فكرة ما عن فتاة جميلة لا مراة، وجمالها لا يختلط بغيره في ملامح النساء، لونها كالشهد المصفى يأخذ من محاسن الألوان البيضاء والسمرء والحمراء والصفراء في مسحة واحدة، عيناها نجلاوان تخفيان الأسرار ولا تخفيان النزعات، فيها خطفة الصقر وبدة الحمامة، وفيها فم الرضيع لولا ثنايا تجل العقد التضيد في تناسق وانتظام، وبين وجهها التضير وجسمها الفضير جيد كانه الحلية الفنية سبكت للتسجم بينهما، وفقا لتمام الحسن من كليهما، حزمة من أعصاب تسمى امرأة، استغرقتها الأنوثة فليس فيها إلا أنوثة، ولو أنها تفرقت بين أجسام شتى لكانت فيها خميرة أنثى يوشك أن تطفى على جميع تلك الأجسام، شغلتها جواذب الجسد قبل أن تفقه معناها وتسمع باسمها ومسامها، ففيما بون العاشرة وبين جدران مدرسة ليس فيها إلا البنات تزل بُنية لم يكعب ثدياها وتقرتف أم الخطايا التي تقترفها النساء والرجال حتى زعر منها الكاهن عند الاعتراف! وقال لها العقاد حين سمع ذلك أنك اليوم تخطئين وما تعترفين، لا تنظر الى الأديان نظرة الوثنية التي نشأت قبل أن ينشأ الأنبياء، ولها فراسة نفاذة في كل ما بين الجنسين من علاقة، لو حصلتها بالتعليم لأنفقت أعمارا طويلة، وكان همام يسمع منها ما قل أن تفهمه امرأة وإن شعرت به، وتمييزها للملامح الرجولة ومظاهرها تمييز لا يخطيء لأنه أشبه بالغريزة التي لم تعرف غير الصواب، تحب التذليل كما تحبه بنت من بنات حواء ولكنها تكره التذليل السخى الفياض، وتحب أن يقطر لها قططيرا، وكانت الطيارة المحلقة، وكأن نزواتها هي القوة الدافعة لها في الفضاء، فإذا دقعتها فهي ناهيك من حركة وصعود وهبوط، وهي وثنية في مقاييس الأخلاق كما هي وثنية في الدين، لا تؤمن بالعصمة الإنسانية في أحد ولا في صناعة، وشديدة الايمان بضعف الإنسان مع أضعف المغريات.

أما مذهبها في الكرامة فمذهب خليك أن يخيف من يحب لها الكرامة، وهي في نظرها كسوة اجتماعية لا يخلعها المرء في المجالس، ولا يلبسها ممزقة مرقة، ومثل

الكاتب المقتدر أن يتحدث عن نفسه العاشقة بأحسن ما يود أن يعرضه للقارئ، والقارئ بعد ذلك يأخذ من كلامه ما يشاء، ويدع ما لا يراه مطرداً في خطه القويم؟
إن أعظم سمات (سارة) أنها مدد زاهر لعلماء النفس، فقد استطاع الكاتب الكبير أن يفسر كل خلجة، وأن يعلل كل لفته. وأن يشرح بواعث كل نظرة، كما عرف كيف يأخذ النفي من ظواهر الإثبات، والبغض من ظواهر الحب، والكذب من بوارق الصدق. كل ذلك قد برع فيه العقاد براعة تحليلية موفقة، وله صيره المديد على تصوير أزمات النفوس، ومع ما عرف عنه من الإيجاز كثيراً والمساواة دائماً في شرح بواطن نفسه، فإنه حين رصد تياره الشعوري في كثير من المواقف كشف للثام عن خوافي دامة في عالم اللاشعور، كما صدق القول أمام نفسه في مواقف كثيره، وبخاصة في موقفه التصويري الرائع لما أعقب لقاء سارة بعد الجفاء، وتحديد الموعد للقاء، أقول لما أعقب ذلك من صراع نفسي هائل صوره العقاد تصويراً أميناً بقلمه الجبار، لقد تواعدا على اللقاء في منزله بعد الجفاء في عصر اليوم المقبل، ومن ساعة هذا الموعد والعقاد في شجون تتناقض وتتباعد، لم يذهبها عنه اللجوء إلى السينما، ولا النوم المتقطع في الليل، لأنه أثناء النوم كان يحلم بها وحدها، وفي الصباح جابه نفسه بهذا السؤال:

أتريد أن تقابلها؟ وهنا دارت في نفسه - نفس العقاد وحده - مناقشة عنيفة طويلة كأنف ما تكون المناقشة بين رجلين مختلفين، كلاهما مصرّ على عزمه، وكلاهما يحاول جهده أن يخدع الآخر ويستميله، فقال أحدهما:
- كيف لا تنتظرها؟ أعطى سيده موعداً ولا تنتظرها؟
أهذا يليق برجل.

- ولكنها ليست كسائر السيدات، ولا زائرة من زائرات المجالس العامة التي تقع بيننا وبينهن هذه التكاليف!
- ومم عساك أن تخاف، انتظرها، وقل لها إنك لا تريد أن تراها بعد هذا الموعد!
- عجباً! أتجهل ما أخافه؟ أتجهل هذه الآلام التي لا حيلة فيها المخلوق، ولا تزال تبتدىء حيث تنتهي، لأنها تبتدىء وتنتهي بالشكوك! وليس للشكوك قرار حاسم ولا مقطع يقين.

بحمله الصخر الصلب، فلماذا اندفع العقاد في تعداد مساوئها الخلقية هكذا، وأكثر مما ذكرت لأنني لخصت صفحات متعددة في صفحة!

إن العقاد حين أسهب في ذكر محاسنها الجسمية يقدم للقارئ عذره في تأكيد العلاقة بها وأنه كان مضطراً إلى الهيام بفاتنة تملك هذا الوجه وهذا الشعر وهذا الثغر وهذا القوام، وهو حين أسهب هذا الإسهاب المزعج في وصف حيوانيتها الصارخة كان يريد أن يقدم الأسباب الكافية لإهمالها وطردها من حظيرة نفسه! وصاحبة هذا السلوك الشاذ لابد أن تكون معروفة بسلوكها المنحدر أمام فاحص متمرس كالعقاد، ولكنه تغاضى عنه! وما جاء الهجران لأنها أشركت معه غيره كما تنطق صفحات القصة، ولكن لأنها أثرت غيره عليه ووضعت في مرتبة لا تُرضى كبريائه العظيمة! هنا اندفع العقاد لتسجيل مثالب كثيرة توقعه في مأخذ خلقى حين ارتضاها، ولا تبرئه في مسلكه حين جافاها! لأنه في الواقع لم يكن صاحب الأمر في الجفاء، بدليل أنه ارتضاها بعد أن اعترفت له بالسقوط عن يقين، وكبرياء العقاد المعهودة تمنعه أن يخالف قول القائل:

وتمتنع الأسود ويرد ماء

إذا كان الكلاب ولغن فيـه!

وأنا لا أقول إن سارة بريئة، ولكني أقول إن العقاد هو الآخر ليس بريئاً، فكيف يقيم الدنيا ويقعدها على أمر شاركها فيه! ألا أنها امرأة؟!

هذا ما أكتبه عن سارة، في ضوء ما كتبه العقاد تحت عنوان (من هي؟) وكنت أود أن يكتب العقاد فصلاً آخر تحت عنوان (من هو) ليعرف القارئ طبيعة هـام كما عرف طبيعة سارة، والعقاد الكاتب الأدبي الشاعر حقاً ليس في حاجة إلى تعريف، ولكننا نريد هنا أن نعرف العقاد العاشق في تجربته العملية لا في تهويمه الشعري! وقد يقول قائل إن فصول القصة تعريف ممتد بالعقاد العاشق، وأنا أقول إن فصول القصة تعريف ممتد بسارة، ومع ذلك احتاجت إلى فصل خاص بها يبرز سماتها الجسدية والنفسية معاً، هذا الفصل كنا ننتظر نظيره من العقاد تحت عنوان (من هو؟) وليس يعوزه وهو



ترصد خطواتها حتى عرف قمة المأساة! فالمسألة لم تكن تحتاج إلى رقابة، وظن العقاد الكيد أشبه باليقين.

وفي ساره فصل تحت عنوان (حُبَّان) يتحدث فيه العقاد عن صلة بالأنسة مي، وهو حديث دلت رسائل مي (التي نشرت أخيراً) إلى جبران أنها كانت بمعزل عن كل ما قيل عن حبها للعقاد أو الراجعي أو ولي الدين يكن أو غيرهم ولكن الأدباء الكبار رأوا في ملاظفتها الاجتماعية التي ترعى حقوق الضيافة في منزلها نوعاً من الود المتبادل، فاعتقدوا ذلك، وألقوا الكتب والقصاصات في شأنه! ومي كانت عفيفة صابرة ملتزمة وذات إحساس يمنعها أن تجابه أحداً بموقف يخدش إحساسه، وقد اعترفت في آخر أيامها للأستاذ طاهر الطنحاني أنها لم تتبادل الحب الصادق إلا مع جبران وبينها وبينه آلاف الأميال! مما يذكرنا بقول الشريف الرضي:

**سهم أصاب وراميه بذى سلم
من بالعراق لقد أبعدت مرمكاً!**

ويقيني أن البعد الساحق كان الدافع لهذا الحب! ولو كان جبران من شهود نوتها الأدبية لما زاد حظه عن أنطون الجميل، وهو إذ ذاك شاب مسيحي أديب مكتمل الخلق، لا تقوم الحوائل الدينية بينه وبينها إذا أرادت الاقتراح!

ولقصة سارة فضل كبير على أكثر شعر العقاد الغزلي حيث بينت بعض المناسبات العاطفية لهذا الشعر، وبمراجعة ما في القصة، وتطبيقه على هذه القصائد تشرق أضواء كثيرة على المعاني المستترة خلف الإيحاء العام، ومن أشهر هذه القصائد قصيدة «النعم المفقود» المبتدئة بقوله:

**فيم اجتنابك ظلها الممبودا
ولم اتفأوك يوماً المومودا
ولأي طارقه كرهت مزارها
ونمت طالعه، وكان حميدا**

وختامها الرائع قوله:

**وجد الجحيم بكل أرض من رأي
في حيث سار نعيمه المفقودا**

- علام هذه الشكوك التي ليس لها أول ولا آخر، اصرفها عنك مرة واحدة، وافرض أسوأ الفروض، وقدر أنها تخونك، وأنت تلهو بها في ساعات فراغك، ولا يعينك من شأنها بعد ذلك إخلاص ولا خداع.

- أأنت مخلص فيما تقول؟ كيف تنقلب هذه المرأة التي كانت كل نساء الأرض عندي، وكل ما يخفق له قلبي، فتصبح بين مساء وصباح، وهي لهو ساعة ومتعة فراغ؟ أهذا خداع يجوز على إنسان؟

- لكن الفتاة مليحة مع ذلك، تصور بضاضتها وهي جالسة إلى جانبك في المركبة، وأنفاسها وهي تهب على خدك فتسرى في جميع أوصالك! وقبلتها وهي ترتعش على شفيتك، وحاولتها وقد زادها النحول في هذه الأشهر حلوة على حلوة.

- هذا حق ولكن ماذا؟ انتظرها وأله بها ولا تدعها لغيرك ينال منها ما لا تقال، ولا تستضعف عزيمتك هذا الاستضعاف المهين.

- عزيمتي! أين هي عزيمتي إن كانت لا تتجديني في هذا النزاع العنيف؟

- إنها تتجديك ولكن أنت لا تريدها الآن، لا تريد عزيمة الجفاء والقطيعة، ومتى أردتها غداً، فهي في كل ساعة لديك، ومع هذا ألا يشوقك أن تستمع إلى حديثها أيام القطيعة بينكما؟ ألا يجوز أن تفسر لك بعض الغوامض وتريك من البواطن ما ينقض الظواهر؟ وتصف لك من حالها في غيابك عنها ما يهكم ولو من باب الدراسة والاستقصاء!

ومع انتهاء الحوار إلى هذا الرأي، فإن العقاد قد خالفه، وهرب من البيت حين حانت ساعة اللقاء! وذلك في رأيي مستبعد، لأن أسلوب الحوار يصور الاتجاه إلى اللقاء، فهل أراد العقاد أن يفاجئ القارئ بما لم يكن؟ أو أن ذلك قد كان ضد طبيعة الأشياء لمشاعر امتان بها العقاد؟

وتعدد اللقاء، واتضح حقيقة الغدر كما تصوره العقاد أخيراً، وإن كانت القصة تدل عليه من مبتدئها مما يجعلني أميل إلى أن قسوة الغدر أخيراً كانت هي القشة التي قصمت ظهر البعير، لا عنصر الغدر في ذاته! ولا أحب أن أتحدث عن (الرقيب) الذي سلطه العقاد على

الفرق بين المداراة والمداينة

رسول الله، قلت ما قلت، ثم ألتفت له القول، فقال: أي عائشة إن شر الناس منزلة عند الله من تركه - أو ودَّعه - الناس اتقاء فحشه».

ثم نقل ابن حجر قول ابن بطال في ذلك فقال: قال ابن بطال: المداراة من أخلاق المؤمنين، وهي خفض الجناح للناس، ولين الكلمة وترك الإغلاظ في القول، وذلك من أسباب الألفة.

وظن بعضهم أن المداراة هي المداينة فغلط، لأن المداراة مندوب إليها، والمداينة محرمة، والفرق: المداينة من الدمان وهو الذي يظهر على الشيء ويستتر بباطنه، وفسرها العلماء بأنها معاشرة الفاسق، وإظهار الرضا بما هو فيه من غير إنكار عليه، والمداراة: هي الرفق بالجاهل في التعليم، وبالفاسق في النهي عن فعله، وترك الإغلاظ عليه حيث لا يظهر ما هو فيه، والإنكار عليه بلطف القول والفعل، ولا سيما إذا احتيج إلى تألفه ونحو ذلك [٧].

ونكر ابن حجر - قبل ذلك ما يؤيد استحباب المداراة - حديث جابر عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال (مداراة الناس صدقة) وحديث أبي هريرة (رأس العقل بعد الإيمان بالله مداراة الناس) وبين أن الحديث الأول لا بأس به وأن الثاني سنده ضعيف [٨].

(قلت) يغني عنهما فعله (صلى الله عليه وسلم).

ثم ذكر ابن حجر [٩] قول الخطابي في حديث عائشة فقال: قال الخطابي جمع هذا الحديث علماً وأدباً وليس في قول النبي (صلى الله عليه وسلم) في أمته بالأمر التي يسميهم بها ويضيفها إليهم من المكروه غيبة، وإنما يكون ذلك من بعضهم في بعض، بل الواجب عليه أن يبين ذلك ويفصح به ويعرف الناس أمره، فإن ذلك من باب النصيحة والشفقة على الأمة. ولكنه لما جبل عليه من الكرم، وأعطيه من حسن الخلق أظهر له



بقلم: د. ياسين بن ناصر الخطيب

جامعة أم القرى - مكة المكرمة

تختلط الألفاظ في كثير من الأحيان مع بعضها، خاصة إذا كان استعمالها قليلاً، أو كان مما يتعلق بالحلال والحرام، ولكن مع أن هاتين الكلمتين كثيرتا التداول، وينطق بهما الجم الغفير من الناس، إلا أن هناك التباساً، وتداخلاً في معنييهما، مما يستدعي الكشف عن هذا اللبس، وإذا علمنا أن إحدى الكلمتين مندوب إليها والأخرى محرمة، عرفنا شدة الحاجة إلى بيان الفرق: ليزول اللبس، وتتكشف حقيقة كل واحدة من الكلمتين.

فنقول:

قال القاضي عياض - وتبعه في ذلك القرطبي - رحمهما الله - والفرق بين المداراة والمداينة: أن المداراة بذل الدنيا لإصلاح الدنيا، أو بذل الدنيا لإصلاح الدين، أو بذل الدنيا لإصلاح الدين والدنيا، وهي مباحة، وربما استجبت، والمداينة: ترك الدين لإصلاح الدنيا [٩].

قال ابن حجر في فتح الباري [٢] باب المداراة مع النساء: المداراة هو بغير همز بمعنى المجاملة والملاينة، وأما بالهمز فمعناه المدافعة.

(قلت) ومن الهموز قوله تعالى (ويدرأ عنها العذاب أن تشهد) الآية ٣، معناه والله أعلم - يدفع عنها الحد إذا لاعت بعد لعان زوجها -

وكذلك قوله تعالى عن المؤمنين (ويدرأون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار) [٤] وكذلك قوله تعالى (فادروا عن أنفسكم الموت) [٥].

فالآية ويدرأون بالحسنة السيئة - أي يدفعون بالكلام الجميل الطيب الكلام القبيح الصادر من الجهلة، وكذلك يدفعون أعمال الجهلة الحمقى بأعمال حسنة طيبة، وبمعنى الدفع أيضاً (فادروا عن أنفسكم الموت) أي ادفعوا -

والإمام البخاري [٦] - رحمه الله تعالى - ترجم في صحيحه للمداراة فقال «باب المداراة مع الناس» ثم ذكر قول أبي الرداءة: إنا لنكشُر في وجوه أقوام وإن قلوبنا لتعلنهم. وذكر حديث عروة بن الزبير (أن عائشة أخبرته أنه استأذن على النبي (صلى الله عليه وسلم) رجل فقال - أي النبي (صلى الله عليه وسلم): ائذنوا له فيبش ابن العشيرة، أو نبش أخو العشيرة، فلما دخل آلان له الكلام، فقلت له يا

البشاشة، ولم يجيبه بالمكره لثقتي به أمته في اتقاء شر من هذا سبيله. وفي مداراته ليسلوا من شره وغائلته.

وبذلك عرفنا أن المداراة محمودة مندوب إليها، والمداهنة مذمومة، وأن ضابط المداراة أن لا يكون فيها قدح في الدين، والمداهنة المذمومة، أن يكون فيها تزوين القبيح، وتصويب الباطل ونحو ذلك.

وقد علق سيد قطب رحمه الله تعالى في كتابه الظلال على قوله تعالى (وَبَايَعُوا لَوْ تَذَكَّرُ فَيدَهُنَّ) [١٠] فقال بعد أن ذكر خلق النبي (صلى الله عليه وسلم) وإناك لعلي خُلق عظيم [١١] ثم بين ما في قوله تعالى (فَسْتَبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ بَأْيَكُمُ الْغَفُوتِ) [١٢] قال.

ثم يكشف له عن حقيقة حالهم - أي حال المشركين - وحقيقة مشاعرهم، وهم يخاصمون ويجادلونه في الحق الذي معه، ويرمونهم بما يرمونه، وهم مزععو العقيدة فيما لديهم من تصورات الجاهلية، التي يتظاهرون بالتصميم عليها، إنهم على استعداد للتخلي عن الكثير منها في مقابل أن يتخلى هو عن بعض ما يدعوهم إليه! على استعداد أن يدهنوا ويلبثوا، ويحافظوا فقط على ظاهر الأمر لكي يدهن هو ويلين، فهم ليسوا أصحاب عقيدة يؤمنون بأنها الحق، وإنما هم أصحاب ظواهر يهتمهم أن يستروها. [فلا تطع المكذبين، وَاَوْ لَوْ تَذَكَّرُ فَيدَهُنَّ] ثم يعرف سيد قطب الداهنة فيقول: فهي المساومة إذن، والاتقاء في منتصف الطريق، كما يفعلون في التجارة، وفرق بين الاعتقاد والتجارة كبير، فصاحب العقيدة لا يتخلى عن شيء منها، لأن الصغير منها كال كبير له ليس في العقيدة صغير وكبير، إنها حقيقة واحدة متكاملة الأجزاء، لا يطيع فيها صاحبها أحداً، ولا يتخلى عن شيء منها أبداً.

ولقد وردت روايات شتى فيما كان يدهن به المشركون النبي (صلى الله عليه وسلم) ليدهن لهم ويلين، ويترك سب آلهم، وتسفيه عبادتهم، أو يتابعهم في شيء مما هم عليه ليتابعوه في دينه، وهم حافظون ماء وجوههم أمام جماهير العرب!! على عادة المساومين الباحثين عن أنصاف الحلول! ولكن الرسول (صلى الله عليه وسلم) كان حاسماً في موقفه من دينه: لا يدهن لهم ولا يلين، وهو فيما عدا الدين، ألين الخلق جانباً، وأحسنهم معاملة، وأبرهم بعشيرة، وأحرصهم على اليسر والتيسير، فأما الذين فهو الدين: وهو فيه عند توجيه ربه (فلا تطع المكذبين).

ثم نقل عن السيرة النبوية لابن هشام مشي جماعة من المشركين إلى أبي طالب ليكف محمداً (صلى الله عليه وسلم) عنهم، ورد النبي (صلى الله عليه وسلم) على ذلك.

ثم عقب سيد قطب برحمه الله رحمة واسعة على عرض عتبة بن ربيعة على النبي (صلى الله عليه وسلم) أموراً كالمال والسلطة والطب. وكيف رد النبي (صلى الله عليه وسلم) ذلك. فقال.

فهذه صورة أخرى من صور المساومة، وهي كذلك صورة من صور الخلق العظيم تبدو في أدبه (صلى الله عليه وسلم) وهو يستمع إلى عتبة حتى يفرغ من قوله الفارغ، الذي لا يستحق الانتباه من مثل محمد (صلى الله عليه وسلم) في تصويره لقيم هذا الكون، وفي ميزانه للحق، ولعرض هذه الأرض، ولكن خَلَقَه يسلك به: لا يقاطع ولا يتعجل ولا يغضب ولا يصبر، حتى يفرغ الرجل من مقالته، وهو مقبل عليه. ثم يقول في هدوء «أقد فرغت يا أبا الوليد؟ زيادة في الاملاء والتوكيد... ١٠٠هـ.

(قلت) ففعل النبي (صلى الله عليه وسلم) لعتبة بن ربيعة وأدبه معه، بل وتعظيمه، بذكر كنيته - أبي الوليد - مداراة للناس، واستمالة لهم ليقبلوا الحق، وعمل عتبة كان مداهنة وتنازلاً عن عقيدته التي يهاجمها النبي (صلى الله عليه وسلم) في أعز شيء فيها وهي أصنامهم وأباؤهم. وهكذا يتجلى لنا الفرق واضحاً بين المداراة والمداهنة سواء من حيث اللغة أو من حيث الشريعة وحكمها.

الهوامش:

- (١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٤٥٤/١٠ (٧٨) كتاب الأدب (٢٨) باب لم يكن النبي (صلى الله عليه وسلم) فاحشاً ولا متفاحشاً. رقم الحديث (٢١٢٢)، ذكرت كلام عياض بتصريف.
- (٢) الفتح ٢٥٢/٩.
- (٣) النور الآية ٨.
- (٤) الرعد الآية ٢٢، وكذلك القصص الآية ٥٤.
- (٥) آل عمران الآية ١٦٨.
- (٦) ٨٠/٧ طبعة استانبول.
- (٧) فتح الباري ٤٥٤/١٠.
- (٨) نفسه.
- (٩) في ظلال القرآن لسيد قطب، دار الشروق ٣٦٥٦/٦ - ٣٦٦١.
- (١٠) القلم الآية ٩.
- (١١) القلم الآية ٤.
- (١٢) القلم الآيتان ٥ - ٦.

تحقيقات عرسية

ال GE بثلاث نقاط.

٤ - ورد في النص (الفصل الثاني من الرحلة القادمة) ص ٦٨ «عوج بن عنان» ولا بد من أن يكون الأصل: عوج بن عناق.

٥ - وكلمات لم تكن قد ترجمت مثل الكولون LA COLONE (المستعمرة)

٦ - قال المحقق ص ١٠٨ «الحمام الزاجل» وصحيحها: حمام الزاجل.

٧ - بذل المحقق جهداً في جلاء النصوص ولا سيما في إعادة الكلمات والمصطلحات الى أصلها الفرنسي. ولكنه قد يقصر في «التعريف» فابن دريد (ص ٥٢) شاعر عربي شهير! لا تكفي في التعريف والإهمال - في هذه الحال أولى. وابن دريد لغوي أولاً وشاعر ثانياً.

**** المدائح النبوية في الأدب العربي - تأليف زكي مبارك، القاهرة، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، د.ت، تاريخ الإهداء رجب ١٣٥٤ / أكتوبر ١٩٣٥ - ٢٥٣ ١، يصعب أن تكون الطبعة الأولى، وتاريخ الإهداء أولى - أو أقرب - الى الطبعة الأولى.**

١ - ص ٢٠ في الكلام على الأعشى، ترد «منفوخه» ويشرحها: قرية في اليمامة. الصحيح: منفوخه.

٢ - يحيل في هذا الخبر (ص ٢٠) وغيره (ص ٢٣) على مذهب الأغاني ١/١٦٣، فلماذا «والأغاني» نفسه مطبوع؟

٣ - ص ٢٨ قال أبو جعفر الألبيري: «حدثني بعض أشيخاننا بالاسكندرية» ويحيل على «نفع الطيب ج ١» ص ٩٣٢ طبع لندن.

لا بد من أن تكون «الألبيري»: الألبيري.

بقلم : د. علي جواد الطاهر
- عليه رحمة الله -

*** ثلاث رحلات جزائرية الى باريس تقديم وتحقيق خالد زيادة، بيروت المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٧٩ - ١٠٩ + ١ ص:**

١ - الرحلات هي: رحلة السيد سليمان بن صيام ط الجزائر ١٨٥٢. رحلة أحمد ولد قاد ١٨٧٨، رحلة محمد بن الشيخ الفغون القسنطيني (رحلة الوفد الجزائري) ط، الجزائر ١٩٠٢.

٢ - يهمننا منها - هنا - شيء واحد هو رسم «الأرقام» فنحن في الجزائر بين ١٨٥٢ - ١٩٠٢ وبين يدينا نصوص أصيلة أي أنها نشرت كما تركها أصحابها الجزائريون أو كما طبعت لأول مرة في الجزائر ويتخللها مقدار كبير من «الأرقام» على شتى أعدادها بين الواحد والعشرة. كان من محاسن المحقق أن قدم النصوص كما هي بون تدخل أو تعديل.

وليس اهتمامنا هذا إثارة جديدة - قديمة لمشكلة رسم الأعداد وما يراه أخواننا في المغرب العربي من ضرورة الالتزام بما هم ملتزمون به في الوقت الحاضر من رسمها هكذا (12345678910).

وحجتهم أن هذا هو الرسم الصحيح وقد اخذته أوربة عن العرب وسمتها الأرقام العربية. ولا نشك في أن أوربا سمتها وتسميها الأرقام العربية.

ولكن هذه النصوص التي بين أيدينا ونصوصاً أخرى مغربية مناظرة ترينا أن المغرب العربي كان - وإلى زمن قريب (هو هنا - مثلاً ١٩٠٢) يستعمل الرسم الذي يستعمله أهل المشرق وهو ١٠، ٩، ٨، ٧، ٦، ٥، ٤، ٣، ٢، ١ هذا الى ما هو معروف من عودة الرسمين - أصلاً وعموماً - الى الهند.

٣ - في الرحلات فوائد كثيرة، وفي صدد رسم الحروف رأينا أصحابها يرسمون الـ ك مثل الانكليز، الانجليز، يرسمونه ق: الانكليز، ويرسمون الـ ل (الفرنسية مثل JAGEMENT) چوجه ومثل الـ ل

٧ - ص ١٨٠ « لا تجيب على هذا السؤال » عن :

**** عبرة وذكرى أو الدولة العثمانية قبل الدستور**

وبعده - سليمان البستاني، تحقيق ودراسة خالد زياده، بيروت، دار الطليعة، تشرين الثاني ١٩٧٨ - ٢٥٢ منها ٧١ ص للدراسة.

١ - احتفظت هذه الطبعة بصورة غلاف الطبعة الأصلية: عبرة وذكرى... بقلم سليمان البستاني مطبعة الأخبار، أكتوبر سنة ١٩٠٨ - ولنا لحظ «بقلم...» ولم يقل تأليف.

٢ - الكتاب حسن التبويب بين التمهيد (المقدمة) والخاتمة (الإطالة على المستقبل) وكأنه مقالة طويلة متصلة الفقر تدل على سيطرة الكاتب ونضج المادة لديه وعمق الفكرة في نفسه مخلصاً للدستور والآمال المعلقة عليه.

٣ - الدستور المقصود دستور عام ١٩٠٨ ولكن ذكرى مدحت باشا فيه عطرة فهو صاحب دستور عام ١٨٧٦ وإلى روح مدحت باشا أهدى المؤلف كتابه.

٤ - يعجب الذي يقرأ الكتاب لسلسلة لغته (العربية) - ويأتى العجب لدى نظره الى لغة عصر التأليف فاذا هي في العموم على درجة من التعثر، ولدى نظره الى القرون السابقة لها وما تحكم بها من سجع مفتعل مستنقل وركعة وعجمة.

ويمكن أن نجد أسباب هذه اللغة المائتسة السلسلة الرصينة لدى المؤلف في ثمرة الجهود القريبة للعمل على النهضة، وفي تمكن المؤلف من التراث ثم في تمكنه من اللغة الأجنبية (الفرنسية مثلاً) وليس في اللغة الأوربية سجع أو ركة أو عجمة.

٥ - ص ٨٤ «الدستور» هنا ترجمة لـ CODE (الفرنسية).

٦ - كلمة «البوستة» هي الشائعة، والمؤلف يستعملها ولكنه قال ص ١١٥ «البرد» يريد البريد.

٧ - قد يستعمل «جلالة» للسلطان كما في ص ١٦٠ «جلالة السلطان»، ص ٨٤.

٨ - عرّف المحقق ص ٧٩ «الكواكبي» ولكنه لم يعرف: سعاوي وسليمان وغانم.

**** شجرة اليوس - طه حسين، القاهرة، دار**

المعارف ١٩٥٨ - ١٨٨ ص ص :

١ - قال طه حسين في الإهداء: «هذه صورة للحياة في إقليم من أقاليم مصر آخر القرن الماضي وأول هذا القرن، نقلها من صديري الى القرطاس أثناء الرحلة في لبنان» وفي آخرها: بيت مري أغسطس وسبتمبر سنة ١٩٥٤.

٢ - كأنها مقالة طويلة، أو حديث في مجلس... وهي تبع ذلك عن أن تكون رواية. وإذا حسبته قصة طويلة فلتلاحظ أن طه حسين يلتزم الحديث أكثر مما يلتزم الفن القصصي.

٣ - جاء فيها ص ٨: «وأظنك في حاجة قبل أن يتقدم هذا الحديث الى أن تعرف شيئاً من أمر هذين الرجلين» وص ١١ «ثم امتحنت الأسرة بفقد ابنها جميعاً في خطوب لا أعرض لها الآن»، ص ٢٧ «... كما ستري»، ص ٥٧ «أما خالد فكنا نشغل عنه بحديث أبيه» ص ١٦٨ «ومن الحماسة الحقا...» «أن»، ص ١٨٥ «وجب أن نعترف بـ...» ص ١٨٣ «وفي الانسان خصال بغیضة لم تستطع الحضارة تهذيبها».

٤ - ص ٢٧ «الأعزب» ص ٢٨ «هو أعزب» والفصح هو «العزب».

٥ - ص ١٢٥ «واستأنفت المعدة غناها الذي كان يمزق القلوب» يسمى ندب الميت غناء.

٦ - ص ١٨٤ «فلست أعرف أعشى من (الإنسان) اذا ازدهاء الغرور» وتكررت - يريد اذا ركبته الغرور فأعجب بنفسه.

والازدهاء من الكلمات المعقدة، وربما كثر استعمالها في الاستخفاف. يزدهي: يستخفه، كأنها يخيفه. جاء في «أساس البلاغة» وازدهاني كذا استغفني. وفلان لا يزدهيه الوعيد.

وقال الحماسي (جعفر بن عليّ الحارثي):
**فلا تحسبي أنني تخشعتُ بعديكم
لشيء ولا أنني من الموت أفرق
ولا أن نفسي يزدهيها وعيدهم
ولا أنني بالمشي في القيد أخرق**



طرائق العب في ش

روى ابن سلام الجمحي [١] عن لقائه بشيخه الأصمعي [٢] قال: كنت يوماً في بيت أستاذي الأصمعي العلامة العيقرى والفهامة الألعي، فقدم لي «الشاي» السيلاني فقلت: يا أبا سعيد، هل كان العرب يعرفون الشاي في الجاهلية؟

قال: نعم، كانوا يقدمونه للضيوف صباح مساء، وكانت نيران حاتم الطائي [٣] عامرة بنابريق الشاي، فضرِب به المثل في الجود والكرم!

قلت: وهل ذكر الشعراء الشاي في قصائدهم المشهورة؟ قال: عجباً لك يا ابن سلام، تصنف في «طبقات الشعراء» وتجالس الأمراء والخلفاء، ولم تسمع بفخر عمرو بن كلثوم في معلقته وهو يقول:

وتشربُ إن أردنا «الشاي» صفوا

ويشربُ غيرنا «البيسي» السُخينا [٤]

قلت: يا أبا سعيد، قد عرفنا الشاي، فما «البيسي»؟! قال: هو شراب أسود اللون، يتعش البدن، مرتفع الثمن! ولا يشرب إلا بارداً، ومثله الميزندا، والسفن أب، والقاتنا! قلت: وهل ثمة أثر في أشعار العرب أنها لا تشرب إلا بارداً؟

قال: أجل - لما كنت أجمع اللغة رأيت أعرابيا وفي يده صورة لحبوبيته، وفي الأخرى زجاجة «بيسي» وهو ينشد:

وإني لأهوامها وأهوى لقباسها

كما يهوى الصّادى [٥] الشراب المبردا!

ولذلك عاب عمرو بن كلثوم على خصومه أنهم يشربونها ساخنة!

قلت: فما بلغ من ضررها؟

قال: إنها تعسرُ الهضم، وتكثرُ الفهم، ولو شرب منها الخليلُ وسيبويه لما جادت قرائحهم بشي!



بقلم: د. أحمد عطية السعودي

- الاردن -

الأحماض من الجذر الثلاثي (محفز) يقال: أحضض القوم: أفاضوا فيما يؤنسهم من الحديث والكلام، فهي مفاكهة وموانسة! وهي لون فكاكي فني ساخر، يتناول مظاهر الحياة المعاصرة كالمخترعات والمعاني الحديثة، ويصوغها على السنة أدباء العربية القدامى في عصورها الأولى الزاهرة بأسلوب حوارى قصصي.

* موضوع الأحماض: تتناول عدداً من مظاهر الثورة المعرفية والتقنية في العصر الحديث كالمخترعات والمعاني العصرية مثل: الكهرباء، والثلاجة، والتلفاز، والهاتف، والسيارة، والطائرة، والحاسوب، والمشروبات الغازية، والعولة، والدكتورة، والانترنت!

* أسلوب الأحماض: يقوم على الحوار، ويغيد من أسلوب المقامات والقصة المعاصرة، ويتسم بالإيجاز والوضوح والرصانة، ويجاوز حدود الزمان والمكان.

* أهداف الأحماض: تهدف إلى إمتاع قُواد الملّقي، وإبخال السمرور على نفسه، وإمداد عقله بشحنات من المعرفة الأدبية من خلال الخطوط التالية:

١ - تخيل مواقف الأدباء القدامى من المخترعات الحديثة ورويد أفعالهم لو كانت في زمانهم والتعريض بأنباء هذا العصر الذين لم يحفظوا كثيراً بهذه المخترعات المثيرة في أعمالهم الأدبية.

٢ - توجيه النقد الساخر للمظاهر الزائفة في الحياة المعاصرة.

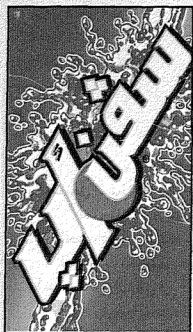
٣ - مناقشة بعض القضايا اللغوية المتعلقة بتعريب هذه المخترعات وأوزانها الصرفية، ومثامها وجموعها.

٤ - إثراء لغة الناشئين من المتلقين بالمفردات والتراكيب وأساليب البيان العالية.

٥ - تقدير الأدباء الأوائل، واستنكار أعمالهم وجهودهم في نهضة العربية والحفاظ عليها.

٦ - ربط الواقع المعاصر بالماضي الأصيل الزاهر للإسهام في البناء الحضاري الشامخ للأمة.

شرب السفن أب



وقد رآه بعض
العسس يشرب
«الببسي كولا» فظنوه
يشرب الخمر، ورفعوا
أسره الى الخليفة،
فجلده ثمانين جلدة!

قلت: يا أبا سعيد، ألا تضع فيها رسالة ينتفع بها
الناس؟

قال: بلى، سأفعل حتى تكون انفس الكتب وحديث
العرب، وسأجعلها في ذيل كتابي «الأصمعيات» هات القلم
والقسطاس.

قال ابن سلام: فجنّته بالقلم والقسطاس، فصنّف قبل أن
يقوم من مقامه رسالة سماها:

«طرائق العبّ في شرب السفن أب»!!

الهوامش:

(١) ابن سلام الجمحي: لغوي كبير، تلمذ على الأصمعي
والفضل الصبي، له «طبقات فحول الشعراء» وقد أخذ عنه الإمام
أحمد بن حنبل، وهو ناقد نواثق، توفي سنة (٢٣٢هـ - ٨٤٦م).

(٢) الأصمعي: أبو سعيد عبد الملك بن قريب، إمام في اللغة، له
«الأصمعيات» (توفي ٢١٦هـ - ٨٣٢م).

(٣) حاتم الطائي: فارس جواد جاهلي، ضرب المثل بجوده، وهو
شاعر أيضاً (توفي ٧٨م).

(٤) أصله:

ونشرب إن وردنا الماء صفواً
ويشرب غيرنا كبراً وطيناً

(٥) الهادي: صدى: صدى: اشتد عطشه، فهو صاد وهي
صادية (جمع صؤدة وصواد).

(٦) يعني الشاعر الخيرة طبعاً، الخليل بن أحمد: إمام في اللغة،
ت (١٧٥هـ) سيبويه: صاحب «الكتاب» في النحو، ت (١٨٠هـ).

(٧) هؤلاء من أجل علماء الحديث والفقه.

(٨) البيتان لأبي منصور الثعالبي (ت ٤٢٩هـ) في مدح الأمير
أبي الفضل الميكالي. والوليد هو البحري (ت ٢٨٤هـ).

(٩) أبو نواس: الحسن بن هاني، شاعر عباسي، له قصائد
سماها (الفرحيات) كان ملجأ، قيل إنه تزهد في آخر حياته،
توفي سنة (١٩٥هـ).

ألم تسمع قول الأعرابي الجاهلي وقد حرّمها على نفسه،
وحرّم الاستشفاء بها:

فلا والله أشربها حياتي

ولا أشربي بها أبداً سقيماً [٦]

إذا رجّ زجاجتها رجاً قوياً فارت فوران المرجل، وثارت
ثوران البركان ولقد رأيت غلاماً معه زجاجة «سفن أب» قد
غلبته، وهو ينادي:

يا أبت، أدرك فاهما، غلبني فوهما، لاطاقة لي بفيها!
فقلت: والله لقد جمع العربية في ثلاث!

قلت: يا أبا سعيد، وكيف تجمع هذه الأسماء: ببسي،
فانتا، سفن أب؟ هل تجمع جمع تكسير أم جمع مؤنث سالماً؟
قال ابن سلام: فحار الأصمعي، وصمت طويلاً، وجعل
العرق يتصب على جبينه!

فقلت: يرحمك الله يا أبا سعيد، جمعت اللغة والنوادر،
وحفظت ست عشرة ألف أرجوزة، وحظيت ببناء الأئمة
والعلماء والأدباء والشعراء، كالشافعي وأحمد بن حنبل،
ويحيى بن معين [٧]، وخالطت الخلفاء والوزراء، وشبه بك
المدحون بقصاحتك وبقية لفظك، كما قال الشاعر في مدح
الأمير أبي الفضل الميكالي:

لك في المفارح معجزات جمّة

أبدأ لفيرك في الوري لم تجمع

بحران: بحر في البلاغة شكّه

شعر الوليد وحسن لفظ الأصمعي [٨]!

ولك أكثر من أربعين مصنفاً في الإنسان والحيوان
والنبات والشجر واللغة والأدب، والألفاظ، والأصوات، والقلب
والإبدال، والمذكر والمؤنث، ولا تعرف جمع تلك الأسماء!!
فالتفت إليّ الأصمعي وقال: وكيف تجمعها أنت؟

قلت: ببسي: ببسوات، وفانتا: فانتوات، وسفن أب: سفن
أبات!! فضحك الأصمعي وقال ساخراً: يا بني، هذه
المشروبات لا تجمع، وإنما «تُجمع» زجاجاتها في الصناديق!!
قلت: فما كان حال أبي نواس [٩] لما رأى «الببسي» أول

مرة في أسواق بغداد؟

قال: أقبل عليها يعبّها عباً، وخصها بقصائد فريدة حلوة
اللفظ، قريبة المأثي، متينة الأسر، رقيقة الحواشي، سماها
«الببسيات»!

«مجلة الثقافة»

على عتبات عامها السابع



غلاف مجلة الثقافة

في مثل هذا الشهر (رمضان) من العام ١٤١٤هـ - كان بين يدي القراء، العدد الأول من مجلة (الثقافية) التي تصدر عن المحقية الثقافية السعودية بلندن - حيث صدر العدد الأول منها عن شهري رمضان وشوال ١٤١٤هـ الموافق لشهري مارس وأبريل من العام ١٩٩٤م.

ومجلة الثقافية صدرت لتعكس النشاط الأكاديمي بكافة جوانبه العلمية والفكرية لطلبة الدراسات العليا من السعوديين الذين يتلقون العلم في الجامعات البريطانية المختلفة فكانت ميداناً لنشاطاتهم وبحوثهم العلمية التي ينجزونها في مجالاتهم

هذه الصفحات تأتي لتسجل تاريخاً مضيئاً مجيداً، لصحافتنا العربية بعامه، والصحافة في المملكة العربية السعودية بخاصة، وهي أسطر معنودة تبقى في الذاكرة خصبة عطاة أبداً.

وبور الصحافة لا يخفى
على ذي بصيرة، وهو نور هام
جدا لكل مجتمع، ومنذ دخول
الصحافة الى العالم العربي
ساهمت في تبصير شعوبه
بأمور لم يكن يتسنى لهم أن
يعرفوها .

ونظرا للور البناء والمؤثر
الذى تقوم به الصحافة في
المجالات المختلفة لخدمة
المجتمع، وإضاءة الطريق أمام
هذا المجتمع للارتقاء والتحضر
- فقد حرصت حكومة خادم
ال الحرمين الشريفين الرشيدة
على مؤازرة ومساندة الصحافة
في المملكة العربية السعودية
وتقديم الدعم السخي لها
لاستحداث آلياتها والسير مع
التقدم التقني العالمي خطوة
بخطوة. وذلك تدعيماً لنور هذه
الصحافة في تنمية المجتمع
وازدهاره.

وفي هذا الباب ستلقي
المنهل شهريا الضوء على
مطبوعة سعودية أو عربية . .
متابعة نشأتها وتطورها .

الأكاديمية المتنوعة، إضافة إلى نشر ما يجد من ابتكارات ونظريات علمية وإنجازات فكرية تقوم بها الجامعات والمعاهد في بريطانيا .
ومن الأدوار الهامة لمجلة (الثقافية) حرصها على إبقاء الروابط الوثيقة بين الطلاب السعوديين وبين وطنهم العزيز، فقد واضبت على نشر أخبار المملكة العربية السعودية وكل ما يجد فيها من أحداث وما يتحقق من انجازات ومشاريع .

من هذا المنطلق أصبحت (الثقافية) من ناحية أولى حلقة وصل بين المحقية وبين طلابها السعوديين - بكل ما يتصل بنشاطاتهم وعملهم الأكاديمي ورسائلهم واطروحاتهم الجامعية - ومن ناحية ثانية شكلت (الثقافية) جسراً علمياً وفكرياً بين ما تنتجه حركة التقدم العلمى والثقافى في الغرب وبين عالمنا العربى بكل تطلعاته وطموحاته نحو اكتساب المعرفة العلمية، والاستفادة من أحدث الأفكار والانجازات المتقدمة في العالم أجمع .

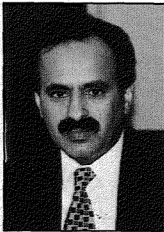
وقد أخذت (الثقافية) في الانتشار، فصار لها الكثير من القراء الذين يتابعون ما ينشر فيها من مواد علمية وفكرية ترضي تطلعاتهم في معرفة الجديد في العالم المعاصر .

ومع الاهتمام المتزايد بالمجلة - داخل بريطانيا وفي العالم العربى - قرر القائمون عليها توسيع مجالاتها لتشمل الفنون الأدبية من شعر وقصة ورواية، ونقد أدبي الى جانب فنون أخرى متنوعة .

وأولت الثقافية اهتماماً خاصاً لتراثنا العربى وثقافتنا الاسلامية من خلال نشر البحوث والدراسات الفكرية التى تكشف عن الجوانب المشرقة في تاريخنا العريق، مما استوجب استكتاب كتاب وأدباء مميزين، فأمدوها بنتائجهم الأدبية والفكرية .

وكان للاستقبال الطيب من القراء، والمساهمة الفاعلة من الكتاب والأدباء أثر كبير فيما وصلت اليه (الثقافية) من تطوير في تحسين مستواها من حيث اختيار المادة والإخراج الفنى عدداً إثر عدد وزيادة أعداد النسخ المطبوعة تلبية لحاجة الأعداد المتزايدة من القراء .

والمنهل بكافة منسوبيها تتمنى للزميلة (الثقافية) ولكل القائمين عليها مزيداً من التقدم والازدهار .



عبدالله محمد الناصر
المشرف العام ورئيس التحرير
- المحقق الثقافي - السعودي
في بريطانيا وإيرلنده .

بين السطور



الإنسان والصحة النفسية

إيقاع، وفي الزخرفة حيث الوحدة الهندسية إيقاع وفي سماع الموسيقى الهادئة القديمة.

٢ - الإنسان كائن عاطفي «العلاج باللغة»:

المرض النفسي ينشأ من عدم القدرة على التعبير عن المشاعر والأحاسيس واللغة العربية لغة ثرية تعبر عن وجدان الإنسان أجمل تعبير مما يساعد الإنسان على تجاوز أزمته النفسية والكلمة في اللغة العربية على الرغم من بساطتها «قوى بساطة اللون الأبيض الذي يحمل في طياته ألوان الطيف السبعة» تحمل في ثناياها ما يعبر عن مشاعر وأحاسيس متنوعة معقدة تساعد الإنسان على أن يعبر مشاكله ويتخطاها ويحولها إلى قوة دافعة عبر برزخ اللغة الجميل واللغة العربية تعبر عن سائر أنواع العواطف والفضائل والسجايا والمعنويات والمدرجات سواء باللفظ المباشر أو بالرمز أو بالكناية والاستعارة والمجاز وطالما الإنسان عبر عن نفسه خير تعبير فإنه يهدأ نفسياً ويتفرغ لشئون حياته بنفس راضية وروح مستقرة وجسد مستريح.

٤ - الإنسان كائن راق:

مولع بصنع الرموز والطلاسم وحلها، عندما كنا

١ - الإنسان كائن اجتماعي:

الإنسان جزء من المنظومة الكونية ورغم كينونته المتفردة التي تختلف في تفردتها عن الآخرين وأي انفصال لتلك الكينونة عن المنظومة الكبرى فيها شقاء الإنسان وعذابه النفسي الذي لن يستريح منه إلا بعد أن ينتظم مره أخرى في تلك المنظومة، إن الإنسان ينمو من خلال تفاعله مع الآخرين وحبه لهم وعطفهم عليه والإنسان البائس الناقص في تكوينه النفسي هو الإنسان الذاتي الذي ينطوي على ذاته وينفخ فيها فتورم ويتصدع النحن الجمعي نتيجة لتورم الذات الانوية.

٢ - الإنسان كائن إيقاعي:

فهو مثل القمر له تحولاته من البدر إلى الهلال إلى المحاق ومثل تعاقب الفصول وتعاقب الليل والنهار وإيقاع الإنسان يتمثل في كونه يرضى حيناً ويغضب حيناً يحزن حيناً ويفرح حيناً آخر يهدأ ويتوتر ويجوع ويشبع ويحب ويكره وهذا الإيقاع شيء طبيعي في حياة الإنسان والصحة النفسية تكمن في أنه يجب عليه أن يوظف حالاته الحياتية المختلفة التوظيف الملائم الذي يتناسب مع حالته المزاجية التي قد لا يملك قهرها أو دفعها.

وهناك أيضاً إيقاع صناعي يهدف إلى تهدئة التوتر وانسجام الحالة النفسية مع الجسد ويتمثل هذا الإيقاع في المشي وقراءة الشعر حيث التفعيلة والقافية

د. عبدالغني عبدالحميد رجب

- مصر -

اطفالاً تلعب في الطمي وتصنع منه اشكالاً متعددة تتميز بالبساطة في الشكل والتعقيد في المضمون حيث انها ترمز لآمال كبار تعتمل في نفوسنا البريئة في تلك الايام الخوالي الجميلة كنا نشعر بالجوع فنهرول الى امهاتنا نطلب منهن الطعام ونحن نقول «عصافير بطوننا تزقزق» ولم تكن نطلب الطعام بصورة مباشرة وانما بصورة رمزية وعندما ذهبت السيدة العربية للأمير تشكو اليه قلة الجردان اعجب بكتايتها وامر بمدها بما تحتاج اليه من الطعام، وفي تراثنا الشرقي أن كل كنز يحيط به طلمس لابد من حله أولاً حتى تصل الى الكنز وكثر النفس أي الصحة النفسية لا يمكن الوصول اليه الا بصنع الرموز وحلها والشعر العربي مملوء بالرمز والكتاية والاستعاره والمجاز الذي يساهم في حل أزمة الانسان النفسية وتهدئة خواطره المضطربة وإعادة الحياة الى مساره الطبيعي.

حكايات من مارستان مصر المطر المراوغ:

إنها فتاتي - ففتاته تتمتع بهذا القسط الوافر من السذاجة مع الخجل الذي يجعلها تتعثر في ظلها وجب شديد المعرفة بعيد للازمان فتيات القرن الثامن عشر والتاسع عشر اللاتي كن يحاولن بخفر شديد إن يفتحن كوى الروح النظر للعالم مع تمسك بالقيم والتقاليد، إنها فتاتي .. ذات الروح المنقبه التي تقابل كل جديد ووافد بالحدز الذي لا يمنحها من ان تفتح نافذه في حجاب روحها لكي تستطلع حتى تقبل أو ترفض وهي في القبول أن الرفض حذر حذر من يخطو أولى خطواته في دروب الحياه الوعرة، انها فتاتي .. والعيش اخضر والارواح مساعدة فلم افقد بعد الكثير من اخضرار روحي وعذريتها، انها فتاتي .. فأشعاري التي لا تفهمها تطربها ويثرى الذي لا افهمه يجعلها في نشوة تجعلني في ملكوت آخر .

كنت اجلس واياها في ظل أيكه في المصححة النسائية التي اعمل بها طبيباً وتأتى هي للتدريب فيها

توطئة لاقتحامها مجال علم النفس التحليلي فأعرض عليها الحالات المرضية التي عليها ان تدرسها واسهب في الشرح مستقبياً حالتى للختام حتى إذا أتى ذلك الختام لا اجرو على مفاتها وان كانت - باعتبارها - استهلالاً لمحل نفساني لابد وقد ادركت ما يعتمل في الفؤاد وما يتعارك في النفس وما يتألف في الروح وما تقوله العيون وما تبرزه الكلمات، كان خوفاً كله من يوم تنهى فيه تدريبها فكنت في نهاية كل لقاء اعداها اننى ساعد لها حالات مرضية لم يسبق لها مثيل في اللقاء القادم حتى اثبر حبيها للمعرفة رغم اننى ساعتها لا يكون في ذهني تلك الحالات التي اتحدث عنها لكننى كنت اعمل باقي الاسبوع في اكتشاف الحالات النادرة واستطلع نواياها واستكشف خباياها حتى اكون على اهبة الاستعداد واظهر امامها بالمظهر الجدير اللائق .

لكنها لم تأت في الموعد المضروب وكنت انتظرتها طويلاً اطول من الف عام مضت في ساعة لم تترك اثرأ اهتدى به الا عطر روحها الذي كان يسرع مبتعدا وهو يراوغ كلما امسكت بطرفه أو خلت أنى فعلت بل لابد اننى فعلت واننى يوما ما سأمسك بطرف الخيط وسأهتدى اليها وسأهتدى الي .. وإننا كما اجتمعنا لنفترق .. افترقنا لنجتمع .

بواكير الفؤاد:

حاولت أن استعيد لحظة بوح العينين لما التقتا خارج دائرة الزمن وبعيداً عن محيط التاريخ لماذا تأتى تلك اللحظات التي قد تغير مجرى الحياه كموت الفجاءة بلا سابق إنذار أشد فيه المقل وأصفى الروح وأجلو صدأ النفس لأجتلى سر عينها الذي يخفى في اللحظات العادية لكنه ينفوخ بشذا الروح النبيله من اللحظات غير العادية كانت معى وكنت معها فلماذا لم تتصارع العينان بما تكنه روحانا أو لماذا لم ادرك أنا هذا إلا غداة البين وفي لحظة الوداع تلك اللحظة التي اعادت روحي الاسيرة وسلبتها في نفس الوقت اخذتها معها كأنها بعض المتاع الذي هل يسقط منها في قطار الحياه عندما تلحق بقطار الزواج؟

أثر ازدياد ثاني أكسيد الكربون على النبات

للاستمرار في النمو والتكاثر ومن ثم تخزين الكربون الفائض لاستعماله عند الحاجة أو التوقف عن أخذ ثاني أكسيد الكربون عن طريق اغلاق مسامات أوراقه. ولكن النباتات لا تستجيب لازدياد CO₂ بنفس الدرجة أو الطريقة وذلك لاختلاف مقدرة النباتات على التكيف مع الظروف البيئية المتغيرة وكذلك لاختلاف خصائص النباتات الفسيولوجية، ويمكن تقسيم أغلب النباتات إلى المجموعات الثلاث التالية:

١ - مجموعة نباتات C₃ (Three Carbons) وتشمل أغلب المحاصيل الزراعية التي تنمو في الأقاليم المعتدلة مثل القمح والشعير والقطن وفول الصويا والبطاطا وعباد الشمس وغيرها، وأن درجات الحرارة المثلى لنمو نباتات هذه المجموعة هي بين ٢٠°هـ - ٢٥°هـ.

٢ - مجموعة نباتات C₄ - Dicarboxylic (C₄ - Aid) وتشمل الأعشاب والنباتات المدارية مثل الذرة وقصب السكر والدخن وغيرها. ولا يتأثر نمو نباتات هذه المجموعة بدرجات الحرارة المرتفعة جداً حيث أن درجات الحرارة المثلى لنموها هي بين ٢٠°هـ - ٢٥°هـ.

٣ - مجموعة نباتات Crassulacean Acid (CAM) (Metabolism) وتشمل النباتات الصحراوية وبعض الأشجار المثمرة مثل الأناناس.

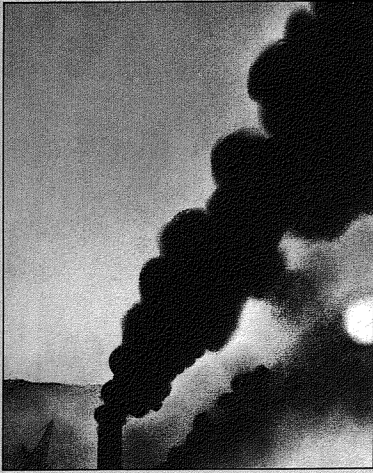
إن تأثير زيادة CO₂ على نمو النباتات يتضح من خلال معرفة علاقته بدرجة الحرارة والتمثيل الضوئي والنتح وفعالية استعمال المياه ومكونات التربة المعدنية، وبينت النماذج الرياضية المتأخرة أن مضاعفة كمية CO₂ في الجو ستزيد من معدل درجة حرارة الأرض بحوالي ٥°هـ - ٨°هـ ورؤى وأكثر من ذلك في العروض العليا. وسيكون لذلك آثار على نمو النباتات

يعتبر بعض العلماء أن زيادة تركيز غاز ثاني أكسيد الكربون (CO₂) تؤدي إلى تفاقم مشكلة تلوث الغلاف الجوي، بينما يعتبره آخرون مورداً اقتصادياً إذا استغل يؤدي إلى رفع إنتاجية المحاصيل الزراعية ويسهم في حل مشكلة الغذاء التي يعاني منها سكان العالم. فقبل عدة عقود كان CO₂ يعد من الغازات الجوية الثابتة الكمية بحوالي ٣٠٠ جزء لكل مليون جزء (ج م ج) لذلك اقتصر على اعتباره من العناصر الضرورية لاتمام عملية التمثيل الضوئي في النبات Photosynthesis وتبين بعد ذلك أن كمية CO₂ تغيرت كثيراً خلال العصور الماضية وأنها الآن في تزايد مستمر، حيث ازدادت من ٣١٤ (ج م ج) عام ١٩٥٨ إلى ٣٤٥ (ج م ج) عام ١٩٨٥، ويتوقع أن تتضاعف كميته إلى ٦٠٠ (ج م ج) في حوالي منتصف القرن القادم، والسبب في ذلك يعود إلى نشاط الإنسان في المجال الصناعي وقطع الغابات وحرق الوقود. وبما أن تقادي التغيرات البيئية الناتجة عن زيادة CO₂ في الجو أمر صعب، بدأ الباحثون الزراعيون بالاهتمام بتحليل أثر زيادة CO₂ على نمو النبات ليجاد طرق عملية للتكيف مع الظروف البيئية المتغيرة.

أثر ثاني أكسيد الكربون على نمو النبات:

يحصل النبات على ما يحتاجه من الكربون عن طريق امتصاص غاز CO₂ من الجو عبر المسامات الموجودة في أوراقه، فيقوم النبات الأخضر بعملية التمثيل الضوئي حيث يتم تحويل CO₂ والضوء والحرارة والماء والمواد الغذائية إلى مركبات عضوية (الكربوهيدرات) ضرورية لنمو النباتات، وبالمقابل تطلق النباتات الأكسجين وبخار الماء إلى الجو بعملية النتح Transpiration وأن أي نقص أو زيادة في أحد هذه العناصر يؤثر على معدل عملية التمثيل الضوئي ومن ثم على نمو النباتات، ويحتاج النبات CO₂

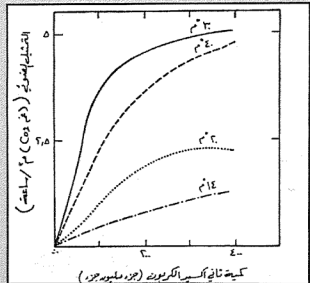
بقلم: د. علي أحمد غانم
- الجامعة الأردنية -



مداخل المصانع في البلدان الصناعية تلوث البيئة مما يؤثر على النباتات

وعلى مقدرتها على التكيف مع الظروف المناخية، فارتفاع معدل درجة الحرارة سيؤدي إلى زحف الأقاليم المناخية نحو الشمال حيث تضطر بعض النباتات لهجرة مناطقها الحالية إلى مناطق جديدة تلائم شروط نموها، ولابد من الإشارة هنا إلى أهمية الأشعة الشمسية على نمو النبات والتي قد تفوق أهمية درجة الحرارة، ولقد لوحظ ارتفاع نشاط عملية التمثيل الضوئي في منتصف النهار بالمقارنة مع فترتي الصباح والمساء.

ولقد تم إجراء تجارب ودراسات تفصيلية لأثر ازدياد CO_2 والحرارة على النبات، ولوحظ بشكل عام أن ذلك سيؤدي إلى زيادة الإنتاج النباتي. وأشارت التجارب الزراعية إلى أن زيادة CO_2 ترفع من معدل عملية التمثيل الضوئي لجميع النباتات ولكن بدرجات متفاوتة، فيزيد التمثيل الضوئي في نباتات C_3 بدرجة أكبر من نباتات C_4 ، وتعتبر الأعشاب من النباتات الأكثر استجابة لزيادة CO_2 . ويبين الشكل (١) العلاقة بين التمثيل الضوئي لنبات الذرة و CO_2 على درجات حرارة مختلفة [١].



شكل (١) العلاقة بين التمثيل الضوئي في نبات الذرة مع كمية ثاني أكسيد الكربون على درجات حرارة مختلفة.

ولوحظ أنه على درجات الحرارة المنخفضة (أقل من ١٥°م) لا يوجد استجابة لنمو النبات مع ازدياد CO_2 ، فكلما زادت درجة الحرارة زاد نشاط عملية التمثيل الضوئي ومن ثم نمو النبات. ويظهر أن أعلى معدل لعملية التمثيل الضوئي يحدث على درجات الحرارة بين ٢٠ - ٣٠°م مع ازدياد CO_2 إلى ٤٠٠ (ج م ج). وكذلك أن ازدياد CO_2 يخفض من عملية النتج في نباتات C_4 أكثر من نباتات C_3 ، حيث أن بعض النباتات تقاوم ارتفاع درجة الحرارة عن طريق تصغير أو إغلاق مسامات أوراقها مما يقلل من عملية النتج والتبخر، ويزيد من فعالية استعمال المياه - Water Use Efficiency.

وأن مضاعفة كمية CO_2 تؤدي إلى مضاعفة فعالية استعمال المياه عن طريق تقليل كميات المياه التي تستهلك أثناء نمو النبات، وتعرف فعالية استعمال المياه بأنها النسبة بين المادة الصلبة Dry Matter في النبات الناتجة من عملية التمثيل الضوئي وكمية

طريق زيادة عدد الثمار عند الحصاد ويعود ذلك إلى ازدياد عدد الإغصان [٣].

وبين الجدول التالي نسب زيادة الانتاج لبيض المحاصيل الزراعية عند مضاعفة كمية ثاني أكسيد الكربون [٤].

المحصول	الزيادة (%)	المحصول	الزيادة (%)
الرز	٩	القطن	١٠.٤
القمح	٣٨	فول الصويا	١٧
الشعير	٣٦	البندورة	١٣
الذرة	١٦	البرسيم	٤

ويرافق زيادة CO2 أيضاً زيادة في المساحة الورقية Leaf Area بسبب زيادة عدد ومساحة الأوراق [٢]، ونتيجة لاختلاف الظروف البيئية فإن النباتات في المستقبل ستكون أكبر حجماً من نباتات اليوم وتتميز بأغصان أكبر وجذور أكثر عدداً وأسماك وتمتد إلى أعماق أكبر في التربة. ولوحظ في التجارب الزراعية زيادة في نمو وانتاج الجزر والفجل [٥].

تكيف النبات:

تختلف طريقة تكيف النباتات الحولية عن الأشجار المعمرة، فيما أن تضاعف كمية CO2 في الجو تحتاج إلى حوالي ٧٠ سنة فإن النباتات الحولية تستمر بأجيال متعددة (فدورة تحسين المحاصيل الزراعية الحولية تستغرق حوالي عشرة أعوام من بداية عملية التحسين حتى تسويق الانتاج) تمكنها من التكيف مع الظروف البيئية المتغيرة عن طريق تغير خصائصها الموروثة لكي تستمر في الانتاج والتكاثر. أما النباتات التي لا تستطيع التكيف فإنها تهجر مناطقها إلى مناطق أخرى حيث تتوفر الظروف الملائمة لنموها، ويحدث ذلك للنباتات التي لا تستفيد كثيراً من ازدياد CO2 كالبرسيم وفول الصويا والذرة.

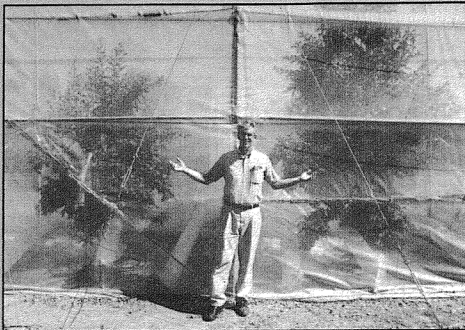
ومن النتائج الهامة للتجارب الزراعية أن مضاعفة

المياه المستهلكة بعملية النتج والتبخر [١]، وأن فعالية استعمال المياه تزداد في مجموعة نباتات C3 بسبب زيادة معدل التمثيل الضوئي وزيادة انتاج المادة الصلبة، بينما تزداد في مجموعة نباتات C4 بسبب انخفاض النتج والتبخر بسبب انغلاق مسامات الأوراق لمواجهة قساوة الظروف البيئية كارتفاع درجة الحرارة.

فإذا كانت نتائج التجارب الزراعية فاعلة في الظروف الطبيعية، فإن لازدياد فعالية استعمال المياه أهمية كبيرة في المناطق الصحراوية وشبه الصحراوية التي تقل فيها الزراعة بسبب قلة مواردها المائية. وربما يؤدي ذلك إلى امتداد نمو بعض المحاصيل الزراعية من المناطق شبه الصحراوية الى المناطق الصحراوية، ويعني ذلك أن أراضي واسعة من الصحارى العربية تصبح ملائمة لنمو بعض المحاصيل الزراعية.

ويزداد معدل عملية التمثيل الضوئي الناتجة عن زيادة CO2، فإن النباتات تستهلك كميات أكبر من مكونات التربة المعدنية والعضوية، لذلك يفضل تعويض النقص عن طريق اضافة السماد للتربة لكي تفي بحاجة النبات المتزايدة للمواد الغذائية من التربة. وأثبتت التجارب الزراعية أن زيادة ثاني أكسيد الكربون تغير من محتوى النباتات من العناصر العضوية، فوجد أن أوراق نبات فول الصويا، على سبيل المثال، تصبح غنية بالكربون وفقيرة بالنيتروجين [٢]، لذلك يستحسن اضافة سماد النيتروجين للتربة لتفي بحاجة نبات فول الصويا من النيتروجين.

فالنباتات تستجيب لزيادة CO2 والحرارة عن طريق زيادة انتاجيتها وزيادة المساحة الورقية وزيادة أعصانها بالإضافة الى زيادة عمق وسمك الجذور. فمضاعفة كمية CO2 إلى ٦٦٠ (ج م ج) ستزيد من انتاجية المحاصيل الزراعية بنسبة (٣٢٪) مع توفر عناصر التمثيل الضوئي الأخرى كالضوء والحرارة والعناصر الغذائية في التربة. فزيادة الانتاج تتم عن



الصورة تبين اختلاف حجم الشجرتين .. الشجرة الكبيرة مزروعة في جو ذي كمية مضاعفة من ثاني أكسيد الكربون والشجرة الصغيرة في البيئة العادية

CO₂ تزيد من قدرة النبات على الاستمرار في الحياة والنمو على درجات حرارة مرتفعة، بينما تموت على تلك الدرجات تحت ظروف CO₂ العادية، ولقد لوحظ بالتجربة على نبات الأفوكادو أن ثماني شجرات ماتت بعد شهر من زراعتها بتاريخ ١٩٨٦/٧/٨ في أريزونا/ الولايات المتحدة، بينما ماتت أربع شجرات من ثماني شجرات زرعت تحت ظروف مضاعفة CO₂ إلى

٦٤٠ (ج م ج) [٦].

٣ - ازدياد احتمال حدوث الحرائق في الغابات بسبب ارتفاع درجة الحرارة وتكرار حدوث الجفاف.

المصادر:

(1) Rosenberg, N., Blad, B. & Verma, S. 1983: Microclimatology: The Biological Environment, Second edition, John Wiley & Sons, NY.

(2) Strain, B. & Cure, J., 1983: Direct Effect of Increasing Carbon Dioxide on Vegetation, U.S. Department of Energy, DOE/ER-O238.

(3) Baker, J. et al., 1989: Response of Soybean to Air Temperature and CO₂ Concentration, crop sci. 29: 98-105.

(4) Kimball, B. A., 1983: Carbon Dioxide and Agricultural Yield, U.S. Water Conservation Laboratory, Arizona.

(5) Idoso, S. et al., 1987: Effects of Atmospheric CO₂ Enrichment on Plant Growth. Agric. Ecosys Environ. 20: 1-10.

(6) Kriendemann, P. et al. 1976: Vine Response to Carbon Dioxide Enrichment During Heat Therapy, Austr. J. Plant Physiol/ 3: 605-18.

(7) Paster, J. & Post, W., 1988: Response of Northern Forest to CO₂ Induced Climate Change, Nature, 334. P.58-61.

أما النباتات المعمرة كالأشجار والغابات المثمرة، فإنها تتكيف عن طريق التغير التدريجي في خصائصها بحيث تتلاءم مع الظروف البيئية الجديدة وذلك عن طريق زيادة نمو أعضائها وأوراقها وجذورها. فاستجابة الأشجار المعمرة تعتمد على توفر المياه والنيتروجين وهما العنصران الأساسيان لنمو الأشجار، ولذلك ربما تنمو بعض الأشجار في مناطق جديدة ملائمة لنموها في غير مناطقها الحالية وهذا يؤدي على أحداث تغير في توزيع الأشجار والغابات في العالم [٧].

الأضرار:

وينتج أيضا عن ازدياد كمية ثاني أكسيد الكربون في الجو أضرار على النباتات منها:

١ - ازدياد نمو الأعشاب الضارة بين المحاصيل الزراعية.

٢ - ازدياد أثر الحشرات حيث أنه في حالة نقصان محتوى الأوراق من العناصر (كالنيتروجين) فإن الحشرات تضطر لكل كميات أكثر من الأوراق حتى تحصل على حاجتها من المواد الغذائية (كبروتين النيتروجين).

شذرات الذهب

٤١٧ = شكوى

الحيوان:

قصة شكوى

الحيوان من

الإنسان من أجمل

القصص في التراث العربي، إن لم تكن أجمل قصة هادفة انحدرت إلينا من تراث القرن الرابع الملى، بآئمن الذخائر، وأعلق النفائس، وكاتبها المجهول أحد إخوان الصفا الذين تركوا أبداع الرسائل الفلسفية الحافلة بما يمثل ذهن المتحضر، ذى الشعاب المختلفة المتنوعة، ولو أتيج للرسائل من يتخصص في تحليلها، ومعرفة أصولها الفلسفية الغائرة في أطباق الفكر الإنسانى منذ شهد وجوده في مصر والصين والهند واليونان والرومان إلى حين اكتسحه المد العربي الزاخر بتياره المتموج، لو أتيج لها هذا النفر من المتخصصين لرأينا كيف تفتحت عقولنا الماضية على آفاق تشرق بالنور وتتوهج بالضياء.

أما ظلم الإنسان للحيوان فقد أحسسه مفكر عملاق من مفكري إخوان الصفا، ولم يشأ أن يعبر عن أحاسيسه في أسلوب علمي يرتب القضايا المنطقية وأصلا بها إلى النتائج الصحيحة، بل كان شاعراً عاطفياً في اتجاهه حين تخيل طوائف الحيوان قد فرزت من ظلم الإنسان، ولم تجد منصفاً تشكو إليه ما ينزل بها من الفوائد غير ملك الجن، لأنه قادر على الانتقام من الحيوان

والإنسان معاً، ففرزت الطوائف المختلفة من الحيوان والطيور والزواحف والحشرات والهوام إلى الملك العظيم في مملكته الحصينة، لتفضى بشكواها إلى عادل بصير، ومن أجمل اللوحات الفنية التى تعرض في متاحف أوربا، لوحة هذه الشكوى، إذ تأثر بالموضوع فنان حساس فرسم مشهد المحاكمة يتصدره ملك الجن بقرونة الناهضة، وعينه الملتهبة، وحوله حواريه ممن هم على شاكلته في الجهة اليمنى، وقد وقف ممثلوا الإنسان في الجهة المقابلة... أما العجيب حقاً فهو ما جمعت اللوحة الخالدة من مشاهد الحيوان والطيور والزواحف والهوام، وقد اجتمعت في مشهد واحد يقف فيه الظبي جوار الأسد، والعصفور جوار النسر، دون خوف! لوحة رائعة تحتاج إلى فنان مبدع يشرح ما بها من ظلال خالطت الأضواء ووجوه نطقت بأبلغ ما تخفى السرائر، فأين هو؟ ولا أستطيع في هذه الشذرات أن أتتبع كل ما دار في مجلس سيد الجن، ولكنى أكتفى بالتقاط بعض المشاهد دون اختيار، لأنها كلها في مستوى واحد من الإبداع.

٤١٨ = زعيم البهائم:

وقف زعيم البهائم ليقول: أيها الملك، كنا نحن وأباؤنا سكان الأرض قبل خلق آدم قاطنين في أرجائها في رغد من العيش، ثم إن الله خلق آدم وكثرت ذريته، فضيقوا علينا الأماكن، وأخذوا منا

شكونا لا نجد من يرحم، لو رأيتنا كذلك أيها الملك لرحمتنا.

٤٢٠ = شكوى الخنزير:

أما الجمل فتكلم قليلا ثم نظر الى الخنزير، وصاح به: قم أيها الخنزير واذكر ما تلقون من جور بنى آدم، وكأن الجمل كان يعلم أن مصاب الخنزير فوق كل احتمال فدعاه للإفصاح.

قال الخنزير: والله ما أقول من كثرة اختلاف القائلين في أمرنا، أما حكماء الجن فمالك يعرف ما لديهم، وأما الإنس فقد كانوا أكثر اختلافاً وأبعد اتفاقاً، إن المسلمين يقولون إننا ملعونون، ويستقبحون صورنا، ويستقذرون لحومنا، والروم يتنافسون في أكل لحومنا في قرايبيهم، واليهود يلعنونا من غير ذنب منا إليهم، ولكن لعداوة بينهم وبين النصارى، والأطباء من اليونان يتداوون بشحومنا وساسة الدواب، يخالطوننا بدوابهم وعلفها، لأن حالها يصلح بمخالطتنا، فقد تحيرنا لا ندري لمن نشكو، ومما نشكو ونتظلم، وقام غير الخنزير كثير وكثير.

٤٢١ = تأثر الملك:

وكان ملك الجان قد تأثر بما سمع، فالتفت إلى جماعة ممن حضروا مجلسه من حكماء الجن وقادتهم وقال: ألا تسمعون شكاية هذه البهائم

أسارى من الغنم والبقر والخيول والحمير، وسخرونا في الأعمال الشاقة من الحمل والركوب والدوران في الرحى والدواليب بالقهر والعذاب طول أعمارنا، فهرب منا من هرب، وشمر بنو آدم في طلبنا، فمن وقع منا في أيديهم شدوا وثاقه، ثم عذبوه بالذبح والسلخ وشق البطن وقطع المفاصل، ونتف الريش، وادّعوا أن هذا حق واجب لهم علينا، وأنهم أرباب ونحن عبيد.

سمع الملك هذه الشكوى، وأمر بطوائف الإنس فحضرت لترد على الشكوى، وكانت قاعة المحاكمة تتسع لكل حوار، يجيء بين الشاكي والمشكو، حيث أمر الملك أن يتحدث عن كل طائفة ممثل لها فتكلم الحمار والجمل والفيل والخنزير والثور وأدلى كل بمواجهه الداميات.

٤١٩ = شكوى الكبش:

فمما قال الكبش: أيها الملك لو رأيتنا ونحن أسارى في أيدي بنى آدم، يأخذون صغارنا، فيفارقون بيننا وبين أمهاتها ليستأثروا بالباقي لآولادهم، ويجعلوها مشدودة بين أيديها وأرجلها، محمولة الى المذابح والمسالخ جائعة عطشى، تصيح فلا ترحم، ثم نراها مذبوحة مسلوخة مشقوقة أجوافها مفرقة أعضاؤها ورؤوسها وكروشها وأكبادها في دكاكين القصابين، مقطعة بالسواطير، مطبوخة في القدور مشوية في التنور، ونحن سكوت لا نستطيع أن نبكى أو نشكو، فإن

وصل رسول الجن الى ملك الجوارح - وهو العقاء - فعرفه الخبر، فتأدى منادى الجوارح سيد النسور والعقبان والصقور والبزاة والشواهين والحدأة والرخم والغربان والبوم والبيغاء، وكل طير ذى مخلب مقوس المنقر يأكل اللحم، ثم عرقها الخبر وما جاء به الرسول، فقال الوزير الخاص بملك الجوارح، ليس فينا أحد يصلح لهذا الأمر غير البوم، قال الملك: ولم ذلك؟ قال الوزير: هذه الجوارح كلها تنفر من الإنس وتفرغ منهم، ولا تفهم كلامهم، ولا تحسن مخاطبتهم ولا تجاورهم إلا البوم، فإنه قريب المجاورة لهم في ديارهم الخرية، ومنازلهم الدارسة، وقصورهم البالية، فهو يعرفهم، وينظر الى آثارهم الباقية، ويعتبر بالقرن الماضية.

فسمع البوم ما قيل، فقال للملك: لا يمكن المسير الى مجلس الحكم، لأن بنى آدم يبغضونني، ويتطيرون برؤيتي ويشتمونني من غير ذنب إليهم، ولا أذية مني، فكيف إذا وقفت أمامهم في المجلس، وأظهرت الخلاف ونازعتهم في الكلام والمناظرة؟

فقال الملك، ومن يصلح؟ فقال البوم: إن ملوك بنى آدم يحبون الجوارح من البزاة والصقور والشواهين ويكرمونها ويحملونها على أكفهم، فلو بعث الملك واحداً منها لكان صواباً، وتعد مشاورة حاسمة، انتهى الأمر باختيار البيغاء لأن بنى آدم يحبونه، فابتسم البيغاء ورحب، وتوجه الى مهمته.

٤٢٢ - مشورة الثعابين:

ومن الطريف أن ملك الهوام وهو الثعبان قد

والأنعام، وما يصفون من جور بنى آدم عليها وقلة رحمتهم لها؟

قال الحكماء من الجن: سمعنا كل ما قالوا، وهو حق، ومن أجل ذلك هربت بنو الجن من بين أيديهم إلى البرارى والقفار، وروس الجبال، ويطون الأودية، وسواحل البحار، لما رأوا من قبح أفعالهم وسوء أعمالهم، ومع هذه الخصال كلها لا يتخلصون من سوء ظنهم بالجن، وذلك أنهم يعتقدون أن للجن في الإنسان نزعات وخبطات، وفزعات في صبيانهم ونسائهم وجهالهم، حتى إنهم يتعاونون من شر الجن بالتعاون والرقى والتماثم وما شاكلها، ولم يروا قط جنياً قتل إنسياً، أو جرحه أو سرق متاعه، أو نقّب داره، أو فتق جيبه أو بتر كفه، أو قطع على مسافر طريقه، أو خرج على سلطان أو أخذ أسيراً.

سمع الملك كل ذلك فخلاً للتشاور مع قضاة الجن، فكلهم أجمعوا على أن يرسل الملك رسلاً إلى جميع الحيوانات التى لم تمثل في المحاكمة، فتعرفها الخبر، وتطلب منها أن تبعث كل طائفة ممثلاً لديها يصعد بالأمها وأمالها، وصدر الأمر بتأجيل المحاكمة حتى تأتى الوفود.

٤٢٢ - لقاءات ومشاورات:

صدع المستمعون للأمر، وطافت الرسل بجميع الحيوانات والطيور والهوام والزواحف، فجعل رئيس كل طائفة يبحث الأمر، ويختار من يمثله، وينقل مشهداً من مشاهد الاختيار، حيث

النفوس، ودل على فضل الإنسان بما لا ينكره غير الجاحد، فمال ملك الجن إليه، وختم المحاكمة بقوله: الآن حصص الحق، وصدق الله الذي فضل الإنسان على الحيوان وعلى كثير من المخلوقات، فيا أيها الحيوانات أنتم أعوان الإنسان فأطيعوه ولا تعصوا له أمرا، ويا بني آدم أنتم سادة الحيوان، فعاملوه بالرفق، ولا تعتدوا، إن الله لا يحب المعتدين.

٤٢٤ - تعليق نقدي:

ونسأل: هل كان للرسالة (رسالة الانسان والحيوان) هدف غير الدعوة الى الرحمة وحسن المعاملة بين الإنسان والحيوان؟ سؤال يجيب عنه الدكتور زكي مبارك فيقول:

«كاتب الرسالة متفوق في علم الحيوان، ورسالته تجرى مجرى القصص الطريف، ولكن هذا القصص يدور حول محور واحد، وهو شرح طبائع الطير والحيوان، ولذلك نرى الكاتب يبدى ويعيد في الكلام عن خواص الكائنات الحية التي استبد بها الإنسان، وينطلق فيسرد طبائعها جنسا جنسا، ثم يمضي فينطقها بما أودعت غرائزها من ضروب الأسرار، ولا يزال يمعن في الدرس والبحث حتى يمكن القارئ من معارف جمة طريفة تشوق العقل والخيال» فالرسالة كما قال القائل:

من اللأى أمد بهن عقل

وهذهن فكر وانتقا

جمع أبناء جنسه وفيه الأفاعى والحيات والعقارب والضب والحرباء، والخنافس والعناكب والنمل والجنادب والبراغيث والقمل والصراصير وكل ما يتكون في العفونات أو يدب على رءوس الأشجار، وحين رأى ملك الهوام هذه الطوائف قال متألما: من يصلح من هذه الطوائف كى نبعثه للمناظرة وأكثرها صم بكم عمي بلا يدين ولا رجلين ولا جناحين، ولا منقار ولا مخالب، ولا ريش على أبدانها، ولا صوف ولا فلوس، وأكثرها حفاة عراة، مساكين بلا حيلة، ولا حول لها ولا قوة، وقد رق قلب الملك عليها ودمعت عيناه ثم دعا الله أن يكون لها حافظا ومعينا.

أسائل نفسي؟ كيف يتجه المؤلف الفنان بهذه الرحمة الدافقة الى طوائف الثعابين والعقارب والحيات؟ ألم تكن أسراب الحمام، وجماعات العصفائر أولى وأحق! إن خطر الثعابين أقوى من خطر الأساد والنمور، فهل أراد المؤلف الفنان أن يبدع فيأتى بما لا يخطر علي بال.

وقد لبث كل طائفة دعاء الملك الجني. وأرسلت من يمتلئها، ودار حوار عاصف شمل عدة صفحات رائعة يصعب تلخيصها لأنها من أجمل صفحات البيان العربي، والبيان يفسد بالتلخيص إذ كل لفظ له مدلول، وكل حرف لا يغني غناه سواه!

وقد انتهت المحاكمة إلى نتيجة رضى عنها طوائف الإنس، لأنها اختارت حكيمًا فارسيا أبدع الدفاع، وأتى من وسائل الإقناع ما عنت له

خشاش .. مكتشف أمريكا الحقيقي

يخطئ كثير من الكتاب والمفكرين العرب المسلمين عندما يصدقون مزاعم الغرب الذي يدعي ان الذي اكتشف أمريكا هو المكتشف الرحالة كريستوفر كولومبوس وقد قامت البلدان الامريكية وفي مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية قبل سنوات وفي ذكرى وصول كريستوفر كولومبوس وبالتحديد الى جزر البهاما بتكريم ذكراه ولسنا هنا بصدد تقويم شخصية كولومبوس مكتفيا بما ذكر من أخلاقه السيئة مايندى له الجبن وعقله المختل في المؤلفات التي ألفها المترجمون الغربيون أضف الى ذلك هذه الروايات المتناقضة التي تجعل شخصية هذا المكتشف أقرب الى الاساطير من أي شيء آخر، فمن قائل أن هدف الرحلة كانت من أجل تأسيس وطن قومي لليهود ومن قائل غير ذلك.

ولو أردنا مزيداً لأوردنا ما ذكره الباحث لطف الله قارى في ندوة الأندلس عندما قال: «عندما أبحر كولومبوس الى الغرب في رحلته الشهيرة سنة ١٤٩٢م كان معه من الآلات الفلكية بوصلة بحرية من اختراعات ملّاحي العرب وتنسب الى الملاح الشهير أحمد بن ماجد وجهاز طوره الفلكي الشهير كمال الدين بن يونس وخرائط بحرية ومزاول شمسية وجداول فلكية وخطوط رصاص لسير أغوار البحر، وكل هذه الأدوات الأخيرة من اختراعات الأندلسيين المسلمين».

فليس الهدف في مقامنا هذا دراسة رحلة كولومبوس ولكن الهدف هو احقاق الحق وهو أن المكتشف العربي الأندلسي خشخاش هو المكتشف الحقيقي للقارة الامريكية. وفي تراثنا العربي الإسلامي عشرات الإشارات إلى اكتشاف العرب للقارة الأمريكية.

فقد أورد مؤرخ الاسلام الكبير المسعودي صاحب مروج الذهب اكتشاف العرب المسلمين بقيادة المكتشف العربي العظيم خشخاش، يقول المسعودي:

وقد ذهب قوم إلى أن هذا البحر (أي المحيط الأطلسي) أصل ماء سائر البحار وله أخبار عجيبة قد آتينا على ذكرها في كتابنا «أخبار الزمان» في أخبار من غرر وخطر بنفسه في ركوبه ومن نجا منهم ومن تلف وما شاهدوا منه وما رأوا وأن منهم رجلا من أهل الأندلس يقال له خشخاش، وكان من فتيان قرطبة وأحداثها، فجمع جماعة من أحداثها، وركب بهم في مراكب استعدها في هذا البحر المحيط فغاب فيه مدة ثم انتنى بغنائم واسعة، وخبره مشهور عند أهل الأندلس».

وقد ذهب كثير من مفكرى ومستشرقى الغرب الى الاعتقاد بصحة هذه الرحلة وفي مقدمتهم المستشرق الروسي أغناطيوس كراتشكوفسكى الذي تحدث عن الرحلة وحاول قدر استطاعته تحديد توقيتها.

وقد قامت محاولة أخرى لجموعة من الناس اسمهم المغربون برحلة الى أمريكا وقد تناولها الشريف الإدريسي في كتابه «نزهة المشتاق» ترك نقلها خوف الإطالة.

إن على العرب والمسلمين أن يطلعوا على تاريخهم ليعلموا أن أجدادهم قاموا بجهود علمية في ميدان الطب والجبر والهندسة والكشف الجغرافية مما اضطر علماء أوروبا لدراسة آثارهم .

ما أحوجنا إلى إعادة الاعتبار الى المكتشف العربي الأندلسي خشخاش الذى قام برحلته العظيمة وحق لنا أن نفخر به ونذكره كما يذكر الغربيون كريستوفر كولومبوس.

بقلم : د. طاهر تونسي

مجلدات المنهل

المجموعة الكاملة ١٣٥٥ - ١٤١٦ هجرية

(٧٢) مجلدا فاخرا متوفرة في الالوان " الازرق - البني - والاسود "
للاستفسار الإتصال بإدارة العلاقات العامة بالمجلة ت : ٦٤٣٢١٢٤



يتمد حتى نهاية هذا العام

السادة دارة المنهل للصحافة والنشر المحدودة

بعد اطلاعي على شروط الاشتراك السنوي في مجلتكم (المنهل) والعرض الخاص
(ارغب في الآتي)

تفنون الشيكات أو التحويلات
باسم (مجلة المنهل)
فضلا

اشتركت سنوي (١٥٠) ريالاً .

☐

(٣) سنوات (٤٠٠) ريالاً مع الإصدارات .

☐

(٥) سنوات (٥٥٠) ريالاً وكتاب شذرات الذهب .

☐

وأرفق لكم طيه قيمة الاشتراك حسب ما هو موضح بالقسيمة .

(أ) شيك ☐ (ب) حوالة بنكية ☐

☐

مبلغ رقم بتاريخ

الاسم: _____ العنوان: _____
القطر: _____ المدينة: _____ المنطقة: _____ شارع: _____
بناية رقم: _____ شقة رقم: _____ ص.ب: _____ رمز بريدي: _____
تليفون: _____ فاكس: _____ تليكس: _____

حالة المنهل

مجلة العرب الادبية



تصدر عن دائرة المنهل للصحافة والنشر المحدودة

المركز الرئيسي : جدة رمز بريدي ٢١٤٦١ ص.ب ٢٩٢٥ ت : ٦٤٣٢١٧٤ فاكس : ٦٤٢٨٨٥٣



الإشتراك السنوي

مبلغ (١٥٠ ريالاً)

للاشتراك السنوي للأفراد تشمل الاعداد الشهرية .
بالاضافة الى العدد السنوي (الخاص) .

مبلغ (٤٠٠ ريالاً)

للاشتراك لمدة (٢) سنوات تشمل الاعداد الشهرية .
بالاضافة الى العدد السنوي (الخاص) ، وكذلك كتاب شذرات الذهب ،
و ديوان الانصاريات ، ورواية (التوأمين) .

مبلغ (٥٥٠ ريالاً)

للاشتراك لمدة (٥) سنوات تشمل الاعداد الشهرية .
بالاضافة الى العدد السنوي (الخاص) ، وكذلك كتاب شذرات الذهب .

شاملة
رسوم البريد



المتوكل للسيارات والإليات محمد نور صلاح جمجوم وأولاده



بمناسبة الاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية يشرفنا ان نرفع اسمى ايات التهاني لمقام خادم الحرمين الشريفين ولسمو ولي عهده الأمين ولسمو النائب الثاني - يحفظهم الله - وإلى الشعب السعودي الكريم بهذه المناسبة الوطنية الكبيرة داعين الله ان يعم الخير والامن والامان ربوع هذا الوطن الغالي.

406
PEUGEOT
صممت لتتمتع بفائدتها

المتوكل للسيارات والإليات
محمد نور صلاح جمجوم وأولاده



انطلق مع بيجو
٤٠٦ العائلية
الجديدة كلياً

جدة طريق مكة - كيلو ٥ - ت: ٦٨٧٢٦٢٢ / ٦٨٧٥٦٨٧ / ٦٨٧٥٤٩٧ / ٦٨٧٢٤٦٦ / ٦٨٧٢١٦٨ - فاكس: ٦٨٧٦٥٣٥ - تليكس: ٦٠١٣٦٥ - فبراس أس جي - ص.ب: ٢٥٣٨ - جدة: ٢١٤٦١ - المملكة العربية السعودية الفروع:

فرع جدة طريق المدينة: ٦٨٢٦٦٩١ - فرع مكة المكرمة: ٢/٥٤٣٣٠٣٤ - فرع المدينة المنورة: ٠٤/٨٣٦٦٢٥٥ - فرع خميس مشيط: ٠٧/٢٢٢٣٠٤١

مسابقة أرامكو السعودية السنوية الحادية والعشرون لرسم الأطفال



دعوة إلى جميع الأطفال بالمملكة

يسر إدارة العلاقات العامة بأرامكو السعودية أن تعلن عن إجراء مسابقتها السنوية الحادية والعشرين لرسم الأطفال، التي ستكون مخصصة هذا العام لموضوع

بيئتنا وكيف نحافظ عليها

وذلك إسهاماً من الشركة في توعية البنين والبنات في المملكة العربية السعودية بأهمية البيئة والحفاظ عليها، من خلال إبراز مواهبهم وإبداعاتهم الفنية.

خمسون جائزة للذين تتراوح أعمارهم بين ٨ و ١٠ سنوات
خمسون جائزة للذين تتراوح أعمارهم بين ٩ سنوات و ١١ سنة
خمسون جائزة للذين تتراوح أعمارهم بين ١٢ و ١٤ سنة

يمكن توجيه الاستفسارات عن المسابقة إلى إدارة العلاقات العامة
على الهاتف رقم ٨٧٣٩٣٠٢ و ٨٧٣٩٩٩١ مع تمييزنا للجمعية للتوظيف.

أرامكو السعودية
شركة الزيت العربية السعودية
www.saudiaramco.com

سواءً أفاضت أم لم تفيض وتبقى هذه الرسوم في حيازة إدارة العلاقات العامة التي تحتفظ بحق استخدام أي منها حسبما تراه مناسباً.
١٣- تشكل إدارة العلاقات العامة بأرامكو السعودية لجنة تحكم من ذوي الخبرة والمعرفة في الفنون لاختيار الفائزين في المسابقة، ويعد قرار هذه اللجنة نهائياً.

١٤- آخر موعد لتسليم الرسوم هو يوم ١١/١٠/١٤٢٠هـ الموافق ٢٠٠٠/٢/١٦م، ولن يدخل المسابقة أي رسم يصل بعد هذا التاريخ ما لم يتم التأكد من أن سبب التأخير هو البريد، وذلك عن طريق ختم البريد على الطرف.

١٥- ترسل جميع الرسوم إلى العنوان التالي:
مسابقة رسوم الأطفال الحادية والعشرون
إدارة العلاقات العامة - الغرفة رقم ٢٢٦٤
مبنى الإدارة الشرقي، أرامكو السعودية، الظهران ٣١٣١١

الجوائز:
خصمت الشركة للفائزين في هذه المسابقة مائة وخمسين جائزة قسمت إلى الفئات التالية:

ملاحظة مهمة:
يرجى من جميع الأطفال الراغبين في الاشتراك في المسابقة ومن أولياء أمورهم ومدرسينهم أن يقرأوا نظام وشروط المسابقة بناية، وأن يتبعوها بدقة، حتى لا تتسبب رسوماتهم.

شروط المسابقة:
١- يحق لكل طفل لا يقل عمره عن خمس سنوات ولا يزيد على أربع عشرة سنة ويتم في المملكة أن يشارك في المسابقة.
٢- يجب على الطفل الالتزام بموضوع المسابقة وهو بيئتنا وكيف نحافظ عليها.

٣- يتقدم كل طفل للمسابقة برسوم واحد فقط، على أن يكون الرسم من عمله هو دون أي تدخل أو مساعدة من الوالدين أو المدرسين أو غيرهم.
٤- يجب أن يكون الرسم معصلاً أصلياً غير منسوخ أو مشارك به في مسابقة أخرى.
٥- يجب أن يكون العمل المقدم رسماً أو ما يشبه الرسم. كأن يتخذ شكل القصاص أو اللصق للحيوانات، أو قطع القماش، أو ما شابه ذلك، ويستبعد الأعمال المصنوعة من مواد بارزة كقطع الخشب، أو قطع البلاستيك، أو الفخار، أو ما شابهها. ويمكن للطفل أن يستخدم أي نوع من الألوان أو الأختار أو ما يراه مناسباً لرسمه.

٦- يجب أن يكون اللون نفسه خالياً تماماً من أي دالة على اسم الطفل أو مدرسته.
٧- يجب أن يكون قياس الرسم ٣٥سم/ ٥٠سم وللطفل الحق في الاستئذان من هذه المساحة أحياناً أو عمودياً.
٨- يجب تنفيذ الرسم على الورق المقوى، أو تثبيته على لوح من الورق المقادى أو القماش.
٩- يجب أن يكون الرسم مرصفاً ونظيفاً.

١٠- يجب تثبيت القسيمة المرفقة بهذا الإعلان أو صورة منها، على ظهر الرسم، كما يجب ملء جميع البيانات المطلوبة فيها بدقة وموضوع.
١١- عند إرسال الرسوم يجب على مرسلها وضعها في ظروف أو ملفات ممتدة تحميها من التلف أثناء نقلها بالبريد.

١٢- تصبح جميع الرسوم المشاركة في المسابقة ملكاً لأرامكو السعودية.

مسابقة أرامكو السعودية الحادية والعشرون لرسم الأطفال	مسابقة أرامكو السعودية الحادية والعشرون لرسم الأطفال
اسم الطفل كاملاً	اسم الطفل كاملاً
تاريخ الميلاد	تاريخ الميلاد
الصف الدراسي	الصف الدراسي
اسم المدرسة	اسم المدرسة
عنوان المدرسة أو العنوان الشخصي كاملاً	عنوان المدرسة أو العنوان الشخصي كاملاً
ص.ب.	ص.ب.
المدينة	المدينة
الشارع	الشارع
الهاتف	الهاتف
نوع الحامة أو المادة الفنية المستعملة عند التنفيذ	نوع الحامة أو المادة الفنية المستعملة عند التنفيذ
موضوع أو عنوان الرسم المشارك به	موضوع أو عنوان الرسم المشارك به
التاريخ	التاريخ